

كتاب العرب قبل الاسلام

يبحث في أصل العرب وتاريخهم ودولهم وتمدنهم وآدابهم
وعاداتهم من أقدم أزمانهم إلى ظهور الاسلام

تأليف

عمر جي زيدان

ملثىء الهلال

الجزء الاول

يتضمن البحث في أصل العرب وتاريخ دولهم القديمة من القرن الخامس والعشرين
قبل الميلاد إلى ظهور الاسلام . ويدخل في ذلك تاريخ دول العمالة في بابل
ومصر وفي بطرا وتدمر وغيرها . وتاريخ العرب القحطانية في اليمن
ودولها المعينية والسبئية والحيرية وتمدنهم في . أرب وظفار
وحضرموت . واخبار عرب الشمال من عدنان وما كان
لهم من الدول في الحجاز ومشارف الشام
والعراق وحروبهم وغير ذلك

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

(الطبعة الثانية)

مطبعة الهلال بشارع نوبار عمرة ٤ بمصر سنة ١٩٢٢

المقدمة

غموض تاريخ العرب

ما برح تاريخ العرب قبل الاسلام مطلب القراء وعقبة الكتاب من صدر الاسلام الى الآن . وقد حال سقمه وغموضه دون ايفائه حقه . ويظهر مقدار ذلك الغموض على الخصوص لمن يتوخى التحقيق والضبط . أما غير المحقق فأنما يجمع ما يقال على علاقته لا يبالي بما فيه من التناقض او التضارب ولو خالف المنقول والمعقول - ذلك كان شأن أكثر الذين طرّقوا هذا الموضوع من اول عهد التدوين في اللغة العربية . على اننا لا نعرف من علماء المؤرخين وأصحاب الاخبار في أئمة التمدن الاسلامي واحداً أفرد كتاباً خاصاً في هذا الموضوع . وسنبين ذلك مفصلاً في التمهيد الذي يلي هذه المقدمة فبقي هذا التاريخ الى امد غير بعيد بمجموع غرائب وخرافات ومبالغات تتناقلها الاجيال بلا تحقيق ولا تمحيص . لا تزداد بالنقل الا اضطراباً وإبهاماً . وقد زادت في أثناء الاجيال الوسطى تلبكاً على اثر انحطاط شأن العرب وذهاب دولتهم اذ ارادوا ستر ضعفهم بما يروى عن اجدادهم فعمدوا الى التفاخر بأسلافهم الفاتحين وما كانوا عليه من المناقب العربية فزادوا اخبارهم مبالغة أو جموها وأكثروا منها بلا تعديل ولا ضبط فغلبت الاوهام فيها على الحقائق وذهب الصحيح منها بجريرة الفاسد . والقوم في أثناء تلك الظلمة مقيدو الفكر واللسان انما ينقلون ما يسمعون لا يلتفتون بمنه ولا بسره . واذا عملوا فكرتهم فلا يتجاوزون بها قيود التقاليد التي استرقت افكارهم وقطعت أسننتهم على غير قياس أو برهان — الا النذر اليسير من المفكرين

فلما انحلت تلك القيود في أثناء التمدن الحديث بما اكتشفوه من نوايس الكون وقواعد الوجود رجع الناس الى القياس وأخذوا في نبذ ما يخالف المعقول . فنبغ جماعة من المحققين نظروا في التاريخ نظر الناقد وفيهم جماعة يهمهم الاطلاع على تاريخ الاسلام فقرأوه في مصادره فادهشهم ما رأوه فيه من اعمال العرب في صدر الاسلام وما كان من اكتساحهم العالم المتمدن في ذلك العهد وهم شراد من اهل البادية لا نظام لهم ولا دربة عندهم فغلبوا الروم والفرس واستولوا على الممالكتين في بضع عشرة سنة مما لم يسمع بمثله

في تاريخ الامم قديماً ولا حديثاً ثم أنشأوا الدول ونظموا الحكومات وجندوا الجيوش . فاصبح من أقصى أمانى المحققين معرفة حقيقة ذلك الشعب فاخذوا يبحثون في توارىخهم القديمة ويطبقون ما رواه العرب على ما ذكره اليونان أو غيرهم فعرفوا اشياء لم يعرفها العرب أنفسهم فزادوا رغبة في استيضاح ذلك التاريخ باستنطاق الآثار المكتوبة وغير المكتوبة في انقاض المدائن العربية في اليمن والحجاز ومشارف الشام . ولكنهم لم يكونوا يستطيعون الوصول الى تلك الاماكن الا بالعناء الشديد فلم يقفوا الا على القليل منها كما سنقصه في ما يلي . على ان هذا القليل ازاح الستار عن كثير من الغوامض وكشف عن دول وأمم لم يعرفها العرب ولا اليونان

ومع ذلك فالكتاب المحققون ما زالوا يتهيبون التأليف في تاريخ العرب قبل الاسلام وقد حاوله غير واحد منهم ورجعوا من نصف الطريق أو اوائله حتى اصبح الناس يعدون هذا الموضوع من الطالسم التي ضاع مرها واستحال حلها . ولم يقدم على الكتابة فيه في عهد هذا التمدن الا كوسين دي برسفال المستشرق الفرنسي الشهير في واسط القرن الماضي . فوضع كتاباً في ثلاثة مجلدات خصص المجلدين الاول والثاني منه للعرب قبل الاسلام فكان له دوي في عالم المستشرقين لان المؤلف بذل جهده في تبويب الكتاب وترتيبه وايضاح مشكلاته لكنه كتبه قبل اكتشاف الآثار وحل رموزها فعول على اقوال العرب واليونان وخرجها تخريجاً يدل على ذكاء وعلم غزيرين على انه لو قدر له ان يعيد النظر فيه اليوم لفضل كتابة سواء على تنقيحه

ولم يقدم احد بعد برسفال على التأليف في تاريخ العرب على النسق الذي نحن في صده الا ما ينشره النقابون واهل البحث من النقوش التي يقرأونها او الاطلاع التي يكتشفونها او ما يتناقشون فيه من الآراء في بعض اجزاء التاريخ بناء على ما قاله اليونان او دلت عليه الآثار . ولم يكن ذلك الا ليزيد الناس رغبة في ظهور مثل هذا الكتاب حتى تبرع المغفور له اوسكار الثاني ملك اسوج منذ نحو عشرين سنة بجائزة سنوية تمنح لمن يؤلف احسن كتاب في « العرب قبل الاسلام » فتصدى لاجابة الاقتراح غير واحد من ارباب الافلام وعرضوا مؤلفاتهم في الوقت المعين على اللجنة للمنوط بها فخص تلك المؤلفات وتعيين مستحق الجائزة منها . فقررت انه ليس بينها كتاب يستحقها على مقتضى الشروط المطلوبة لكنها اختصت كتاباً منها بالذكر ألفه السيد محمود الالوسي فضائله على رفاقه واجازت لصاحبه نشره فنشره في ثلاثة مجلدات واعتبر نفسه نال الجائزة وهو كتاب بلوغ الارب في احوال العرب يشتمل على اكثر ما جاء في الكتب العربية من اخبار العرب قبل الاسلام وايامهم ومشاهيرهم واديانهم واوابدئهم وعاداتهم رتبها

موضوع هذا الجزء

في ابوابها لكنه لم يتعرض لتحصيلها وفلما تصدى للتاريخ او التمدن على النمط الجديد وكنا في أثناء ذلك قد اخترنا الخطة التي تمسينا عليها في خدمة اللغة العربية نعي نشر التاريخ وآدابه وفلسفته ودرس تاريخ الشرق ولا سيما تاريخ العرب والاسلام وآداب اللغة العربية . وقد علمنا ان درسنا لا يكون وافياً ان لم تفهم تاريخ اصحاب هذه الامة وهم الذين قاموا بالاسلام ونهضوا بالشرق . فوافق اقتراح ملك اسوج ما تمناء نفسنا ولبتنا ننتظر ما تجود به قرائح الكتاب . فلما رأينا خيبة الاقتراح كما تقدم عزمنا على درس الموضوع من كل وجوهه . فلم نقادر كتاباً او رسالة تتعلق به مما كتبه العرب او اليونان او اكتشفه الرواد من الآثار الا اطلعنا عليه وتفهمناه غير ما دار بين العلماء المستشرقين من الابحاث او المناقشات في هذا الشأن . فلم يفتنا شيء منها نشر بالانكليزية او الفرنسية او الالمانية الا طالعناه ونحن صابرون حتى يستوفي البحث حقه ويتمكن العلماء من كشف ما يكفي من الآثار لايضاح ذلك التاريخ . واذا بالفراء ياجون في افتراحهم علينا تأليف تاريخ الاسلام . ولا يكون هذا التاريخ واضحاً ان لم يتقدمه تاريخ العرب قبل الاسلام فاستخرنا الله في تأليف هذا الكتاب

وتبين لنا بعد استيعاب مواده انه لا يسمه جزء واحد فقسمناه الى جزئين الاول في تاريخ العرب يصدر الآن والآخر في آدابهم وعاداتهم يصدر في السنة القادمة ان شاء الله

موضوع هذا الجزء

فالجزء الاول الذي نحن في صده موضوعه تاريخ العرب قبل الاسلام . وقد صدرناه بتمهيد في مصادر هذا التاريخ المدونة في الكتب والمنقوشة على الآثار والمدونة اما عربية او يونانية . وذكرنا اهم المؤلفين العرب واليونان الذين تكلموا شيئاً عن العرب او بلادهم . واما المصادر المنقوشة فمنها ما وجدوه في بلاد العرب ومنها وجدوه بخارجها . وفصلنا تاريخ الاكتشافات الاثرية في اليمن وحضرموت وبطرا وغيرها . وتكلمنا عن المصادر المنقوشة خارج بلاد العرب في بابل واشور ومصر . وختمنا هذا الفصل باسماء الكتب التي استعنا بها في تأليف هذا الكتاب نسمنها حسب لغاتها ورتبناها باعتبار الهجاء . وذكرنا بجانب كل كتاب اسم مؤلفه وسنة طبعه حتى يتمكن الباحث من الرجوع اليها عند الحاجة

ثم اتينا على فصل خاص بجغرافية بلاد العرب ينسأ فيه حدودها القديمة وما كان

يسميه القدماء بقولهم « بلاد العرب » وما معنى لفظ « العرب » في اصله وكيف تبدل الآن واتسع . وبمبحثنا في من هم العرب واين هو مهد الساميين واختلاف الآراء فيه . ثم عمدنا الى موضوع الكتاب اي تاريخ العرب واعملنا الفكرة في افضل الطرق لتقسيمه . لان تقسيم الكتاب وتبويبه اكبر خطوة في تأليفه . فرأينا ان نقسمه الى ثلاثة اعصر او اطوار وهي :

اولا : الطور الأول سميناه الطبقة الاولى او العرب البائدة او عرب الشمال في الطور الاول . واردنا بهذه الطبقة اقدم امم العرب وفي جملتها الامم التي يسميها العرب بائدة ونعني بها الدول العربية التي ظهرت ودالت قبل ظهور عرب اليمن القحطانية . واطلقنا على عرب الطبقة الأولى ايضاً اسم العمالة وجعلناهم قسمين كبيرين (١) عمالة العراق وهي دولة حمورابي في بابل منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد واوردنا الادلة التاريخية واللغوية والاجتماعية على ان هذه الدولة عربية . ولا يخفى ما في ثبوت ذلك من الفخر للعرب لانه اذا صح كان العرب اسبق الامم الى وضع الشرائع وسن النظميات وترقية شؤون الاجتماع . وقد اتينا بأمثلة من رقي تلك الدولة . (٢) عمالة مصر وهم الذين يسميهم المؤرخون ملوك الرعاة او الهيكسوس وسميناهم « الشاسو » وختمنا الكلام في هذه الطبقة باخبار بقايا العمالة ومنها عاد وثمود وطسم وجديس وغيرها من البائدة عند العرب واضفنا اليها دولتين عربيتين لم يعرفهما العرب هما دولة الانباط في بطرا ودولة التدمريين في تدمر . وبمبحثنا في بطرا واصلها من عهد الادوميين . وفي الانباط واصلهم وهل هم عرب واتينا باسماء ملوكهم وسنن حكمهم ونقودهم وانتمهم واحرفهم وتمدنهم . وفعلنا مثل ذلك في التدمريين واصل تدمر وتاريخ زينوبيا واذينة وحروبها وهل هي الزباء عند العرب . وفصل في آثار تدمر وصورنا اهم انقاضها ومثالاً من نقودها

وقبل التقدم الى الكلام عن الطبقة الثانية ذكرنا امماً متفرقة في شمالي جزيرة العرب عرفها اليونان . ثم اجملنا القول في الامم التي غزت بلاد العرب في عهد الطبقة الاولى فاشرنا الى الفراعنة الذين اكتسحوها بين القرن السابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد . ثم الذين غزوها من ملوك اشور وهم ستة اولهم تغلات بلامر في القرن التاسع وآخرهم نبوخذ نصر في القرن السادس قبل الميلاد . ثم فتوح الفرس والروم وهي قليلة . ورسمنا لاخبار هذه الطبقة خريطة خاصة

ثانياً : الطبقة الثانية وقد اردنا بها سكان اليمن الذين يسميهم العرب بني قحطان ويسمون دولهم حمير والتبابعة . فقدمنا الكلام بجغرافية مختصرة ثم اتينا بقول العرب

عن دول اليمن وما يقوله اليونان عنها . وعمدنا بعد ذلك الى ما كشفه النقابون في الآثار من الدول الاخرى واخيرا بسطنا نتيجة ما وصلنا اليه بعد الجمع بين كل هذه المصادر وتمحيصها وتطبيقها فجلنا الدول التي حكمت اليمن ثلاثاً كبرى وهي الدولة المعينية والدولة السبائية والدولة الحميرية . وفصلنا احوال كل دولة على حدة باسماء ملوكها واصولها ويئسنا ان اصل الدولة المعينية من بابل هاجر اصحابها الى اليمن بعد ذهاب دولة حمورابي . واستدلنا على ذلك من المشابهة بين شكل حكومة المعينيين وديانتهم ولغتهم واسماء ملوكهم وما عند البابليين من ذلك . وذكرونا اسماء ملوك معين

واما الدولة السبائية فبحثنا اولاً في اصلها وترجع عندنا انها من جالية الحبشة نزل آباؤها بلاد اليمن قديماً وتوطنوها واتخذوا عادات البلاد ولغتها وتيمنها . حتى ظهرت فيهم دول تولت حكومتها اولاً باسم سبا ثم باسم حمير . وذكرونا اسماء ملوك كل منهما نقلاً عن الآثار وقابلنا بين ما في الآثار عن ملوك حمير وما ذكره عنهم العرب ومحضناه وعيّننا سني كل ملك منهم بالادلة والقرائن . وختمنا تاريخ دول اليمن الكبرى بالكلام عن العصر الحبشي وسردنا علائق الاحباش باليمن منذ القدم حتى فتحوها في اوائل القرن السادس الميلاد وبسطنا سبب ذلك الفتح عند العرب وعند اليونان

ثم ذكرنا دول اليمن الصغرى فبدأنا بالاذواء والاقبال واثبتنا دولاً عرفها اليونان ولم يعرفها العرب وهي الجبائية والقنانية وغيرها . واخيراً وصفنا تمدن اليمن القديم وقسمنا الكلام فيه الى عدة ابواب في النظام الاجتماعي والصناعة والزراعة والتعدين والعمارة والتجارة والحضارة والدين واللغة والكتابة وتركنا الكلام في الثلاثة الاخيرة للجزء الثاني من هذا الكتاب . اما تلك ففصلناها واتينا بامثلة من نقود اليمن وصورنا مدينة مأرب بعد خرابها وبقايا حرم بلقيس وانهاض غمدان . ووصفنا قصور اليمن وافردنا فصلاً خاصاً للاسداد وخصوصاً سد مأرب اوسيل العرم المشهور . ورسومنا له خريطة واضحة تظهر فيها هندسة ذلك الخزان العظيم وسبب تهدمه . ورسومنا لتاريخ هذه الطبقة خريطة خاصة ذكرنا فيها البلاد التي كانت عامرة على عهدها

ثالثاً : الطبقة الثالثة اردناها العرب العدنانية او الاسماعيلية او عرب الشمال في الطور الثاني . مهدنا الكلام في اصولهم والفروق بينهم وبين القحطانية من حيث البدارة والحضارة واللغة والدين . واوردنا اقدم اخبار العدنانيين من ايام التوراة الى ظهور الاسلام واوضحنا تفرقهم وعلائقهم بشجر الانساب من قضاة وريسة ومضر وغيرها . وذكرونا دول قضاة وسائر اخبارها وايامها وحروبها تكلمنا عن دول القحطانية خارج اليمن

وقبل التعميم الى اخبارها وايامها وحروبها تكلمنا عن دول القحطانية خارج اليمن

مفي سنة والمناذرة وكندة وغيرها ولنا رأي في انسابها . وبحثنا في كل دولة بحثاً دقيقاً جمعنا فيه بين ما قاله العرب وما قاله اليونان والسريان او دلت عليه الآثار والنقوش أو ارشدتنا اليه القرائن . واوضحنا ذلك كله بالخرائط والرسوم والجداول . وفي الختام اتينا على اخبار المدنانية اهل البادية وايامهم وكيف تخلصوا من سيطرة اليمى حتى جاء الاسلام وافردنا فصلاً لحضر العدنانية في مكة . ورسومنا لهذه الطبقة خريطة خاصة تعرف بها اما كن القبائل في نجد والحجاز ومشارف الشام والمراق وعيننا اسماء الامكنة التي وقعت فيها الحروب بين تلك القبائل وغير ذلك

وتد بذانا الجهد في تحقيق ما كتبناه وضبطه على ما وصل الينا علمه مما بين ايدينا من الكتب او النقوش . مع علمنا ان ما بقي مدفوناً من اخبار هذه الامم تحت الرمال اكثر كثيراً مما كشف لنا . ولذلك فلا نستغرب اذا رأينا بين مكتشفات المستقبل ما يحملنا على تعديل رأينا في بعض النقط المبهمة . واذا اتج بحثنا في هذا الموضوع فائدة فالفضل راجع الى رجال الهمة والنشاط الذين عرضوا حياتهم للخطر في التنقيب عن الآثار وحملها الى العالم المتتمدن . وللذين حلوا رموزها واستخرجوا كنوزها من العلماء المستشرقين

ولا ينبغي لنا ان ننسى الفائدة التي استفدناها من دار الكتب الخديوية وما كان يهده لنا حضرة ناظرها الدكتور مورتس تسهياً للوقوف على الكتب اللازمة للمطالعة او المراجعة او يرشدنا الى ما صدر منها حديثاً وغاية ما نرجوه من وراء ذلك ان تزيد مواضع الاصابة في هذا الكتاب على مواضع الخطأ . ولا نقول ان كل خطأ سهو جري به القلم بل نعتز ان ما نجعل اكثر مما نعلم وما تمام العلم الا لمن علم الانسان ما لم يعلم

(سنة ١٩٠٨)



تمهيد

في

مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام

سقم هذا التاريخ

ليس في تواريخ الأمم الراقية اسقم من تاريخ العرب قبل الاسلام حتى تهيب الكتّابون الخوض فيه لوعورة مساكنه وتناقض الافوال فيه . وبعكس ذلك تاريخهم بعد الاسلام فانهم لم يغادروا خبراً من اخباره أو رواية أو واقعة إلا دونوها وفصلوها مكانهم شغلوا بهذا عن ذلك أو لعلمهم ارادوا محو مفاخر الجاهلية واقامة مجد الاسلام مكانها . ولذلك لا تجد لهم كتاباً خاصاً بتاريخ العرب قبل الاسلام واذا ذكروا شيئاً من اخبارهم انما يريدون به العبرة والموعظة كاخبار عاد وثمود بما تحتويه من غضب الله على قوم خالفوا انبياءه . وان التبابعة مع ضخامة ملكهم صاروا الى البوار . ولذلك رأيتهم يبالغون في تعظيم تلك الامم ليعظم القصص الذي وقع عليها حتى اصبحت اخبارهم اشبه بالخرافات منها بالحقائق . واكثر مبالغت العرب في القبائل البائدة حتى سبق الى اذهان المحققين من غير المسلمين انها موضوعة ولولا ورود بعضها في القرآن والحديث لقال المسلمون ذلك ايضاً . على ان ورود اسمائها وبعض اخبارها في كتب اليونان وغيرهم اثبت وجودها وجاءت الاكتشافات الاثرية بما يؤيد ذلك مع اظهار المبالغة في روايات العرب

ويحسن بنا في هذا المقام ان نجمل الكلام في مصادر تاريخ تلك الامة على اختلاف الاعصر واللغات . وهي تقسم الى مصادر مدونة في الكتب او منقوشة على الآثار . والمدونة في الكتب إما عربية او غير عربية . وهذه إما عبرانية او يونانية او غيرها . والمصادر المنقوشة إما في اليمن أو الحجاز او وادي النيل او ما بين النهرين او الشام او غيرها واليك البيان :

المصادر الكتابية او الكتب المدونة

١ - الكتب العربية

اقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب واقربها الى الصحة القرآن فقد جاء فيه ذكر بعض القبائل البائدة كماد وثمود وبعض اخبار ملوك اليمن كسيل العرم وغيره . واذا قرأت تلك الاخبار فيه لا تجد فيها شيئاً من المبالغات التي وصلت اليها في كتب التاريخ بل تجد ما ذكره القرآن صحيحاً تؤيده الاكتشافات الحديثة كما ايدت معظم اخبار النوراة مما ستره في اما كنه من هذا الكتاب . ويدلك ذلك على ان تلك المبالغات او الخرافات ادخلها اهل الاغراض او الظالمين ممن دخل الاسلام من اليهود او المجوس او غيرهم لان العرب كانوا يستفتونهم في تفسير ما اغمض عليهم فيفتونهم بما تعودوه في كتبهم من المبالغة في ضخامة الاجسام وطول الاعمار . فالقرآن لما ذكر عاداً قال « عاد ارم ذات العماد » فادخل المفسرون في شرحها وتفسيرها مبالغات رواها كتب الاخبار وعبد الله بن سلام اليهوديان ، وهب بن منبه المجوسي ^(١) وغيرهم فوصل اليها من اخبارها ان رجالها كانوا طوالاً كالنخل لم يكن للطبيعة تأثير على ابدانهم لغلاظها ومئاتها وان عاداً تزوج الف امرأة ورأى اربعة آلاف ولد من صلبه ورأى البطن العاشر من اعقابها وعاش ١٢٠٠ سنة وخلفه اكبر اولاده فعاش ٨٥٠ سنة وعاش اخوه ٩٠٠ سنة ^(٢) ونحو ذلك

فهذه المبالغات ادخلها اليهود في اخبار العرب قياساً على ما في كتبهم كالتلمود وغيره وناهيك بامثالها في كتب المجوس . فقد كان الفرس القدماء يبالغون في اعمار اسلافهم واطوال اجسامهم فدخل كثير من هذه المبالغات في التاريخ بطريق التفسير او الرواية . وحفظت بعد الصدر الاول لاقتصار العرب يومئذ على الاسناد تفادياً من انتفاء الأئمة في رواياتهم محافظة على صحة ما يروى من الاحاديث والاقوال فأفاد الاسناد في ضبط الحديث والتفسير ولا كنهه اضرر باستيفاء الخرافات القديمة على حالها . ولما نشأت العلوم اللسانية واشتغل المسلمون بها واطلموا على كتب المنطق والفلسفة وتعمدوا الدليل والقياس اخرجوا اكثر هذه الخرافات من تفاسيرهم ولم يلتفتوا الى تنقيح التاريخ منها ولم يختص العرب ولا اليهود او غيرهم من المشاركة بادخال الخرافات على التاريخ فقد كان ذلك شأن الامم القديمة بما يمتور كل خبر تنوقل اجيالاً بالسمع . اعتبر ذلك بما

(١) تاريخ المدن الاسلامي ٦٥ ج ٣ (طبعة رابعة) (٢) المسعودي ١٧٩ ج ١

كان عند اهل الاحياء الوسطى في اوربا من حوادث لا تقل غرابة عن مبالغات الف ليلة ليلة — ادخلوا بعضها في تراجم مشاهيرهم فذكروا ان الاسكندر المقدوني لقي في اثناء فتوحه اقواماً رؤوسهم كرؤوس الكلاب او الطيور او غيرها وابدانهم كالتنانين او نحوها . غير ما روي عن عجائب البحار كالحيات التي تبتلع السفن الكبرى او تقابلها . وعرائس الماء او الاسماك بوجوه المذارى الجميلات او وجوه الشبان او الشيوخ والسماك ذي الرؤوس السبعة وغير ذلك من الخرافات التي لم يتصل العرب الى مثلها في تواريخهم

وقد العرب اليهود وغيرهم في كثير من طرق العلم فاقبسوا منهم رد كل امة الى أب من آباء التوراة حتى المغول والترك والفرس فردوا نسب الفرس مثلاً الى فارس ابن ناسور بن سام وقالوا عن اهل الصين انهم من ولد عابور بن يتويل بن يافث بن نوح^(١) وقس عليه تحليل اسماء البلاد وردّها الى اسماء مؤسسيها بما يشبه قول اليهود ان مصر مثلاً بناها مصرايم واشور بناها اشور . وقد ينسبون بناء البلد الى حادثة او ظرف فعندهم مثلاً ان دمشق سميت كذلك لانهم دمشقوا بناءها والاندلس من التدليس وان الحمزة والنون زائدتان : ويثرب من قولهم « ولا تثريب » والحيرة من « تحير » والعراق من عرق القرية وفس الى ذلك اسماء الاشخاص . والواقع ان اندلس محرفة من « وندلوسا » نسبة الى الواندال قوم سكنوا الاندلس قبل الاسلام . ويثرب محرفة من الغالب من « اربيس » اسم بعض بلاد مصر . والحيرة من « حيرتا » في السريانية اي المعسكر والعراق من لفظ فارسي « ايراه » وهي ابران من اصل واحد فعربها العرب « عراق » ومن هذا القبيل قولهم « يعرب » من تكلم بالعربية « وسبا » سميت بذلك لتفرقها او لكثر السبي وامثلة ذلك كثيرة لا تحصى

مصادر اخبار العرب

واقبس مؤرخو العرب اخبار الجاهلية من عدة مصادر

١ : من اشعار العرب وامثالهم واقوال كانت شائعة بين العرب في صدر الاسلام يتناقلونها نظماً او نثراً ويدخل فيها اخبار البدو وايام العرب وحروبهم ووقائعهم وعاداتهم واخلاقهم فدوتوها في جملة ما دونوه نقلاً عن الرواة كالاصمعي والبيهقي وغيرهما وقد ضاع اكثر ما دونوه

٢ : من الآثار الحميرية لانهم كانوا في صدر الاسلام يقرأون الخط المسند وكان في اليمن جماعة من علماء الفرس عندهم العلم والحكمة فاخذوا عنهم وعن الآثار تاريخ

الذين واخبار السد وغيره واقدم من دون ذلك ابن اسحق في السيرة النبوية

٣ : من اخبار اليهود بالحجاز واليمن وغيرهما

٤ : من كنائس النصارى بالعراق فقد كان في الحيرة لما ظهر الاسلام كتب في السريانية والفارسية واليونانية اقتبس المسلمون كثيراً منها . واكثر الذين اشتغلوا بتدوين التاريخ في صدر الاسلام من الاعاجم لاشتغال العرب بالسياسة او الحرب (١) واكثر ما اخذوه من الحيرة مختص بتاريخ الفرس والانباط والروم وقد نقلوا كثيراً من كتب اليهود والفرس واليونان والمصريين ضمنوه تواريتهم وربما اشاروا الى ذلك في عرض الكلام

فما عرفه المسلمون من اخبار العرب قبل الاسلام منقول عن هذه المصادر وقد وصل اليها مختلطاً غامضاً وقام من المسلمين بعد نضج تمدنهم غير واحد من المؤرخين النقاد بن كبن الاثير وياقوت وغيرهما فانتقدوا كثيراً من اخبار العرب . فذكر ياقوت مثلاً خبر مدينة النحاس ثم قال « ولها قصة بعيدة عن الصحة لفارقتها المادة والابري من عهدتها انما اكتب ما وجدته في الكتب المشهورة » ولما ذكر مطبخ كسرى ومائدته وقصته الغريبة قال « انها بالكذب اشبه منها بالصدق » ولما ذكر ناعطاً وانها قصر على جبلين يسير الراكب في ظله اربعة فراسخ قال « وهذا من المحال » وقس عليه كثيراً من نقده لكنه لم يتعرض للمبالغات المتعلقة بالدين وهو السبب في بقاء كثير من المبالغات ونسبة كثير من الوقائع الى الانبياء فكل مدينة فخيمة يذهبون بناءها الى سام بن نوح او الى سليمان بن داود او الى بلقيس او اسكندر ذي القرنين .

مصادر احوال العرب

وقد ساعد على زيادة الالتباس والاختلاط في روايات العرب الخط العربي وكان يكتب اولاً بلا نقط ولم يكن عندهم ما يميز بين الباء والتاء والتاء أو بين الجيم والحاء والحاء أو بين السين والشين فيكتبون « بلقيس » مثلاً حروفاً بلا نقط فتقرأ بلقيس او يلقيس او نلقيس او بلقيش الخ وفس عليه ما يختلف به قراءتها بنقل النقط واختلاف مواضعها . فوقع بسبب ذلك التباس في قراءة الامماء وظهر اثره في اختلاف المؤرخين والنسائين في اسماء الاشخاص والقبائل والاماكن — فمن امثلة ذلك ان ابن خلدون يسمي احد ملوك حمير افريقش والمسهودي وابو الفداء يسميانه افريقس وابن خلدون يقول الملائط والمسهودي الملائط وابن خلدون يقول ناشر النعم والطبري يسميه ياسر انعم او ياسر بنعم والمسهودي نافس النعم ويسميه ابن الاثير ياسر بن عمرو وانعم

(١) تاريخ المدن الاسلامي ٤٩ ج ٣ (طبعة رابعة)

الانمامة . وابن خلدون يقول كلاي كيرب والطبري وابن الاثير يسميانه ملكي كيرب
والمسعودي وابو الغداء يسميانه كلي كيرب . وابن خلدون يسمي والد بلقيس البشرح
والطبري يسميه ايلي شرح وابن الاثير ايل شرح . وبلقيس يسميها بعضهم بلقيمه
وبعضهم يدعوا أحد أبناء حمير وائل وغيره يدعوه وائل . فاعتبر ذلك أيضاً في
الاسماء الاعجمية وما قد يأول اليه من تبديل الاعلام وتشويش الاخبار . وعلى
هذا المبدأ تحول اسم « قايين » الى « قاييل » و « شارل » الى « طالوت »
و « جليات » الى « جالوت » و « قورح » الى « قارون » و « نففور » او نيسوفورس
الى « ينفور »

ولا يخفى ان ذلك الحلل قد يتطرق الى الافعال والاسماء المشتقة فيغير المعاني
ويبدلها والظاهر ان تاريخ الطبري المطبوع بأوروبا منقول عن نسخة خطية غير منقطة
كأما او بعضها لان الناصر ملأ الكتاب بالحواشي لايضاح ذلك الاختلاف في القراءة^(١)
ومن أسباب الحلال في أخبار العرب تناقل الخبر أجيالاً على الالسنه بغير تدوين او
ضبط فيعرض له تحريف لا يخطر بالبال . يشبهه ما يحدث لهذا العهد بين الامم التي
لا تكتب كالاسكيه ومثلاً فانهم يصفون الرجل الانكليزي باباغ من وصف العرب
عاداً وابناؤه فيقولون « انه عظيم الهامة له أجنحة اذا نظر الى الرجل قتله بنظره وانه
يبتلع كلب الماء لقمة واحدة » فهذه المبالغة لا تنفي وجود الانكليز ولا كنها تدل على
قوتهم وشدة يسمهم فقس على ذلك مبالغات العرب ويندر ان يضعوا شيئاً من عند
أنفسهم ولا تكن يغلب ان ينقلوه على علاته . وقد يشبهه عايمهم الرجل بالآخر كقولهم
ان اول من حكم الرومان او غسطس قيصر وانت تعلم انه ليس اول من حكمهم واسكنه
اول قياصرتهم . فهذا وأمثاله مما يروونه عن الامم البعيدة عنهم لا يخلو من حقيقة يجب
تجريدتها منها . ولا ينبغي احتقار رواياتهم اذ قد يكون فيها الصحيح مبالعاً فيه فاذا قالوا
ان سبا بن قحطان حكم ٤٨٠ سنة فلا ينبغي لنا ان نبتذ هذا القول لبعده عن
المعقول بل نؤوله الى ان المراد « دولة سبا » او « امة سبا »

ومن اسباب التعقيد والالتباس نسبة الحادثة الى غير صاحبها فاذا اشتهر رجل بمقبة
نسبوا اليه كل ما ينطوي تحت تلك المقبة . فالفتح ينسبون اليه كل فتح عظيم والحكيم
يروون عنه كل حكمة كما ينسبون كل بناء الى سليمان او ذي القرنين . وينبغي الانتباه الى
ذلك في تحقيق الحوادث — لما فتح اراهم باشا الشام واشتهر بالصرامة والشدة كان
من جملة ما ذكروه من أدلة ذلك ان امرأة شكت اليه جندياً اغتصبها لبناً شربه فامر

الباشا يقرر بطنه حتى اذا تحقق جنايته كان البقر قصاصاً له والا قتل المرأة . فلما بقر بطنه وجد اللبن فيه . وهذه الحسكية ذكرها ابن بطوطة في رحلته قبل ابراهيم باشا بنيف وخمسماية سنة وهو ينسبها الى امير اسمة بكك سلطان ما بين النهرين في ايامه (١) وقد اتفق كثير من امثله ذلك للعرب في اخبارهم القديمة فهم ينسبون بناء سد مأرب الى كل عظيم من عظماء الذين

ومن أسباب الاختلال مزج الدين بالتاريخ فترى في ما يروونه عن القدماء أكثر ما يراد به اظهار التقوى والارهاب من العقاب والتنبية الى زوال الدنيا فقد ذكروا كثيراً من مدافن حمير وقرأوا ما عليها من الآثار وتناقلوه فوصل الينا محشواً بمبالغات يراد بها العظة او الوعيد

واذا قرأت ما كتبه مؤرخو العرب عن تاريخ الجاهلية رأيت عجباً من الخلط والتناقض والاختلاف . ومن هذا القبيل اختلافهم في الانساب وهو كثير في كتبهم ولم يتفق النسابون الا في القليل من انساب الملوك او الامراء او انهم لا يتفقون غالباً الا في انساب قريش . اما في انساب الملوك الاخرين فيختلفون كثيراً فان ابن خلدون وابن اسحق يقولان في نسب تبع اسعد ابي كرب انه اسعد بن عدي بن صيفي والطبري وابن السكيت وابن حزم وابن الاثير يقولون انه اسعد بن كليكرب بن زيد القرن ابن عمرو بن ذي الاذعار بن ابرهة ذي المنار الرائي بن قسيس بن صيفي وبين هذين القولين بون عظيم . وهم في اختلاف في نسب زيد بين ان يكون ابن سلمة بن مازن ابن منبه بن صعب بن سعد العشيرة او ابن منبه بن صعب بن سعد او ابن صعب بن سعد . وابن خلدون وغيره يقولون ان يشجب ابن يعرب ويقول ابن اسحق ان يعرب هو ابن يشجب ونسابة اليهود يقولون ان عرب اليمن من نسل حام والعرب يقولون انهم من نسل سام

واغرب من ذلك انهم يختلفون في نسب قحطان نفسه فمنهم من جملة ابن عابر ابن شالح بن ارفكشاد بن سام وبعضهم جملة ابن يمن بن قيدار وآخرون زعموا ان قحطان من نسل اسماعيل والاكثر على انه كان قبل اسماعيل باجيال . وقد صرح ابن خلدون ان العرب تتصرف في الاسماء الاعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وهو ما يؤيد قولنا . ومن امثلة ذلك اختلافهم في ذي القرنين بين ان يكون الصعب ابن مدائر من ملوك اليمن او اسكندر المكدوني بن فيليب او غيرها

واختلفوا في نسب الحرث الرائي اول ملوك التبابعة عندهم فقال ابن اسحق انه ابن عدي بن صيفي وابن السكلي يقول ابن قيس بن صيفي والسهيلي يقول انه ابن همال ابن ذي سدد بن الملطاط بن عمر بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل . والمسعودي يقول انه ابن شداد بن الملطاط بن عمر . وأغرب من ذلك ان الواحد منهم قد يقول في نسب الواحد قولين مختلفين فالطبري يقول في موضع ان الحرث الرائي من نسل سبا الاصغر ويقول في موضع آخر ما يؤخذ منه غير ذلك . واختلفوا في نسب افريقش أحد ملوك التبابعة فقال ابن خلدون انه ابن ابرهة بن الحرث الرائي وقال ابن حزم انه اخو الحرث الرائي وقد ذكروا ان الرائي حكم ١٢٥ سنة وابراهيم حكم ١٨٠ سنة فتكون بداية حكم افريقش بعد بداية حكم اخيه بثلاثمائة وخمس سنين ناهيك بمدة حكمه هو فربما عاش على حسابهم خمسمائة سنة او اكثر . وقس على ذلك اختلافهم في نسبة القبائل بعضها الى بعض فيزعم بعضهم ان قبيلة انمار من بني قحطان وبعضهم يقول انها من عدنان

على ان هذا التناقض او الخلط لا يخلو من حقيقة تاريخية على المؤرخ الباحث تجريدها من تلك الشبهات

ما وصل اليه من اخبار العرب

ثم ان ما كتبه المسلمون في تاريخ الجاهلية على قلة العناية في تحقيقه لم يصل اليه منه الا فصول في معدمات كتب التاريخ العامة ولم يصلنا شيء مما كتب في هذا الشأن قبل القرن الثالث للهجرة . واقدم ما وصل اليه من اخبار الجاهلية على يد مؤرخي المسلمين فصول نشرها عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ في السيرة النبوية المشهورة تطرق اليها في سياق كلامه عن النسب النبوي رواها عن محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥١ هـ وهي قاصرة على نسب العرب الاسماعيلية وشيء عن الفساسنة والمناذرة وقصة سد مأرب واستيلاء تبارق اسعد على اليمن وغزوة يثرب الى ملك ذلك نواس وقصة أصحاب الاخدود في نجران واستيلاء الحبشة على اليمن وعام القيل وخروج الحبشة من اليمن . ودخول الفرس اليها وشذرات عن ولد نزار ومضر كقصة عمرو بن لحي صاحب الاصنام وكلام في اوابد العرب وعاداتهم وبضعة فصول في عرب الحجاز وتاريخ مكة الى بيت عبد المطلب جد النبي فظهور النبي . وهذا كله لم يستغرق اكثر من ستين صفحة من سيرة ابن هشام

وعاصر ابن هشام جماعة من الرواة اشهرهم ابو عبيدة والاصمعي وتوفوا في اوائل

القرن الثالث للهجرة وهم أصل ما تنوّل من اخبار العرب وأشعارهم وآدابهم وعاداتهم ويتمخل ذلك بعض تاريخهم لكنهم لم يتركوا شيئاً مدوناً . وبلي ابن هشام ابن قتيبة صاحب كتاب المعارف (توفي سنة ٢٧٦ هـ) وفيه فصل في انساب العرب حسب التسلسل والتعاقب بلا حوادث الا شذرات عن اليمن وغسان والحيرة . ونحو ذلك الزمن ظهر اليعقوبي المشهور بابن واضح المتوفى سنة ٢٧٧ هـ والف تاريخاً في جزئين الاول في التاريخ القديم وفي جملة فصل في قدماء العرب

وبلي هؤلاء طبقت نبغت في القرن الرابع للهجرة اولهم الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ فقد صدر كتابه الكبير بفصول في اخبار عاد ونمود وملوك اليمن والحجاز . وفعل مثل ذلك المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ في الجزء الاول من كتابه مروج الذهب . ومن دون تلك الاخبار بشكل تاريخ حمزة الاصفهاني المتوفى في اواخر القرن العاشر الميلاد له كتاب موجز في سني ملوك الارض ذكر فيه شيئاً عن انساب حمير ودول العرب من غسان ولخم وكندة فضلاً عن ملوك الفرس وغيرهم واعا هو يهتم بسنة الولاية والوفاة . وعاصر هؤلاء اثنان من كتاب الادب ذكرا شيئاً عن حوادث الجاهلية وهما ابن عبد رب صاحب العقد الفريد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ فهؤلاء وشعراء الجاهلية هم مرجع المؤرخين في ما كتبوه عن العرب قبل الاسلام . وعاصر هؤلاء كاتب له شأن كبير في هذا الموضوع تبي الحمداني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » ويعرف بابن الحائك فقد وصف تلك الجزيرة كما كانت في ايامه وصف عالم محقق لم يغادر شاردة ولا واردة . وله كتاب آخر عظيم الاهمية اسمه « الاكليل » لم يوجد منه الا قطعة نشرها المستشرق موثر وفيها وصف ابنية اليمن وآثار ملوكها كما كانت في ايامه

ثم جاء البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ صاحب جغرافية معجم ما استعجم فصدر كتابه بمقدمة حسنة في هذا الموضوع غير ما جاء في تضاعيف الكتاب . وعقبه ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فضمن كتابه فوائد كثيرة مشتقة واخذ ابن الاثير عن الطبري . وعن ابن الاثير اخذ ابو الفداء و اضاف شيئاً من تاريخ الجاهلية اخذه من سواه . واهم من كتب في تاريخ الجاهلية بعد هؤلاء واطال ابن خلدون فقد جمع في الجزء الثاني من تاريخه الكبير خلاصة ما قاله المتقدمون الذين ذكرناهم فافرد لكل دولة او أمة فصلاً فجاء ما كتبه اوفى من سواه ولكنه لا يزيد بجملة على مئة واربعين صفحة بقطع هذا الكتاب وهو اطول ما كتبه القدماء عنهم

ويعدُّ من المصادر العربية لتاريخ العرب قبل الاسلام أيضاً اشعار الجاهلية المجموعة في مثل حساسة ابي تمام وجمهرة ابي زيد وكامل المبرد وطبقات ابن قتيبة ونحوها . وافيدها في هذا الموضوع القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميري من اهل القرن الخامس للهجرة ذكر فيها ملوك حمير والاذواء والاقبال متسلسلة . ومن قبيل الفوائد التاريخية الامثال العربية واجمعها كلها كتاب مجمع الامثال للميداني

٢ — الكتب غير العربية

والمصادر غير العربية لتاريخ الجاهلية اقدمها التوراة وفيها شيء عن احوال الامم العربية في سفر التكوين وجاء ذكر بعض ملوكهم وقبائلهم في سفر الايام وسفر نحemia وسفر المكابيين وغيرها وهو قليل

ويلى التوراة تاريخ هيرودوتس الرحالة اليوناني ابي التاريخ المتوفى في اوائل القرن الخامس قبل الميلاد وقد جاء ذكر العرب فيه عرضاً في اثناء الكلام عن الحروب بين الفرس والمصريين على عهد قميز في القرن السادس قبل الميلاد . ثم بروسوس مؤرخ الكلدان المتوفى نحو سنة ٣٠٠ ق م ذكر منهم دولة حكمت بابل . ثم ثيوفراست واراتوستينيس واغانارشيدس وديودورس الصقلي وكلهم من مؤرخي اليونان وجغرافيتهم قبل الميلاد ذكروا بعض قبائل العرب ومدنهم . وفي اوائل النصرانية نبع ' ترابون الرحالة اليرباني المتوفى سنة ٢٤ م فافرد للعرب فصلاً خاصاً في الكتاب السادس عشر من مؤلفه الجغرافي ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم على عهده ووصف كثيراً من احوالهم التجارية والاجتماعية وحملة اليوس غالوس الشهيرة لفتح جزيرة العرب وما كان من فشله في نحو اربعين صفحة . وجاء بعده برييلوس ثم بليزيوس ثم يوسيفوس الاسرائيلي وكلهم توفوا في القرن الاول للميلاد . وقد ذكر يوسيفوس شيئاً عن عمالقة مصر في كتابه آثار اليهود . وفي أواسط القرن الثاني للميلاد نبع بطليموس القلوذي قالف جغرافيته الشهيرة جمع فيها كل ما عرفه اليونان قبله من احوال العالم كما فعل ياقوت بجغرافية العرب . وخصص بطليموس جزءاً من كتابه لبلاد العرب فذكر مدنها وقبائلها وعين الاماكن باعتبار الدرجات طولاً وعرضاً بشرح وافٍ ووصف كثيراً من احوال العرب التجارية وغيرها . ويليه اريان وهيروديان واوسايبوس واثناسيوس وزينوفون وهيرونيوموس وفيلوسترجيوس وبروكوبيوس واستفانوس ما بين سنة ١٦٠ و ٥٦٧ للميلاد . وكل منهم اورد شيئاً من

أحوال العرب عرضاً لا يخلو من فائدة وانما المرجع في ما وصل اليها من كتابة اليونان عن العرب الى استرابون وبلينيوس وبريلوس وبطليموس فانهم جمعوا ما قاله سواهم وفصلوه . ولهؤلاء المؤلفين على تشمت ما كتبوه فضل كبير على تاريخ العرب فانهم اوضحوا كثيراً من غوامضه فذكروا دولاً وقبائل واما كن لم يعرفها . ورخو العرب على الاطلاق كدولة الانباط والمعينيين والسبأيين وغيرهم مما سنأتي على تفصيله وهذا جدول باسماء علماء اليونان الذين ذكروا العرب او تاريخهم او ما يتعلق بهم مرتبة حسب سني وفاتهم اذ قد يجي ذكر احدهم في اثناء الكلام فيجب على القارى ان يعرف سنة وفاته

الاسم	سنة الوفاة	الاسم	سنة الوفاة
هيرودوتس	٤٠٦ ق م	ابولودورس	١٣٠ ب م
ثيوفراست	٣١٢ » »	بطليموس القلوذي	١٤٠ » »
بروسوس	٣٠٠ » »	اريان	١٦٠ » »
ارسطون	٢٥٠ » »	هيروديان	٢٥٠ » »
يرانوستينس	١٩٤ » »	اوسابيوس	٣٤٠ » »
اغاثارسيدس	١٤٥ » »	اثناسيوس	٣٧٣ » »
ديودرس الصقلي	٨٠ » »	زينوفون	٣٥٩ » »
سترابون	٢٤ ب م	هرونسيوس	٤٢٠ » »
بلينيوس	٧٩ » »	فيلوسترجيوس	٤٢٥ » »
بريلوس	٨٠ » »	بروكوبيوس البيزنطي	٥٦٥ » »
يوسيفوس	٩٣ » »	ستيفانوس	٥٦٧ » »

المصادر المنقوشة على الآثار

١ - في بلاد العرب

قد رأيت في ما تقدم انه ليس في الكتب العربية او غيرها مما كتبه القدماء كتاب وافٍ بتاريخ العرب قبل الاسلام وانما هي تنف متفرقة يجتمع منها تاريخ ناقص كما كان تاريخ مصر القديم قبل حل القلم الهيروغليفي وقراءة الآثار المنقوشة به . وكما

كان تاريخ بابل واشور قبل حل القلم المسماري او الاسفيني . وللعرب آثارٌ ربما لا تقل أهمية عن آثار مصر وبابل قد طمرتها الرمال في اليمن والحجاز وغيرهما عليها نقوش حميرية مكتوبة بالقلم المسند او نقوش آرامية مكتوبة بالقلم النبطي او غيره لو اتيسح كشفها ودرسها لانجلي تاريخ العرب القديم انجلاء حسناً كما انجلي تاريخ الفراعنة وتاريخ بابل واشور . ولكن الوصول الى تلك الصحاري القاحلة شاق وفيه خطر . على ان ذوي الهمة والغيرة من اهل اوربا لم يذخروا وسعاً في كشف ما تيسر من الآثار بأنحاء مختلفة من بلاد العرب شمالاً وجنوباً فوضحوا كثيراً من خفايا ذلك التاريخ وكشفوا اسماء ملوك ودول لم يكن العرب ولا اليونان يعرفونها . ولايضاح ذلك نذكر تاريخ التنقيب عن تلك الآثار ونقسم الكلام فيها الى قسمين : آثار الجنوب باليمن وحضرموت وآثار الشمال في الحجاز ومشارف الشام

آثار اليمن وحضرموت

الفضل الاكبر في فتح طريق الاكتشاف ببلاد العرب للجرمان من اواسط القرن الثامن عشر . وكان السبب في ذلك ان الافرنج في اسفارهم الى الهند عن طريق البحر الاحمر ومصر سمعوا ما يتناقله اهل شواطئ اليمن وحضرموت عن آثار الابنية المدفونة في رمال تلك البقاع وعليها كتابة لم يستطع اليهود ولا العرب قراءتها . واول من خطر له تحقيق ذلك والبحث في تلك الآثار وقراءتها عالم الماني اسمه ميخائيلس من اسرة عريقة في العلم والفلسفة واللاهوت وُلد في هال سنة ١٧١٧ وتوفي سنة ١٧٩١ وكان فيه ميل الى نبد التقاليد والعمل باحكام العقل والبحث عن الحقائق ويمدونه الحلقة الموصلة بين اهل التقليد واهل النظر . وانتقل سنة ١٧٤٦ الى غوتنجن وتعين استاذاً للفلسفة فيها وظل هناك حتى مات . ولسكنه كان كثير العلائق بسائر الممالك بما حازه من الشهرة العلمية وقد قربه الملوك والامراء فتمنحه ملك اسوج رتبة نايت مع لقب سير . وكان كثير العناية في البحث عن آثار التوراة فبلغ مسامعه ما يتناقله الناس عن بلاد اليمن فاقترح على فريدريك الخامس ملك الدنمارك سنة ١٧٥٦ تشكيل لجنة تذهب لارتباد تلك البقاع فاجاب اقتراحه وامره بتشكيلها . فشكها من خمسة علماء برئاسة كارستن نيبوهر وجعل غرض تلك الرحلة تحقيق بعض المسائل المتعلقة بالتوراة من حيث الجغرافية وعادات الشرق والمحصولات الوارد ذكرها في التوراة وبعض الاوثقة التي كانت وما زالت تفد على الشرق ونحو ذلك

تشكلت اللجنة من الاساتذة فون هافن عالم باللغات الشرقية وفورسكال عالم بالتاريخ الطبيعى والدكتور كرامر طبيب الوفد وبورنفيند الرسام الحفار واخيراً

نيبوه الجغرافي . فاقام الجماعة من كونهاجن في اول سنة ١٧٦١ فمروا بازمير فالاستانة وعرجوا بمصر ومنها بالبحر الاحمر الى اليمن فوصلوها في آخر سنة ١٧٦٢ وفي اواسط السنة التالية توفي فون هافن في مخا وفورسكال في برسم فشق ذلك على الباقين واعتقدوا فساد اقليم اليمن وخافوا على انفسهم فظلوا في طريقهم الى بومباي . فتوفي في ذلك الطريق بورنفايند ثم كرامر سنة ١٧٦٤ في بومباي ولم يبق الا نيبوه فلم يتمكن من الايقال في بلاد اليمن . ولما رجع كتب في رحلته كتاباً وصف فيه ما شاهده او سمعه عن بلاد العرب طبع غير مرة ونقل الى معظم لغات اوربا وهو اول كتاب يبحث في آثار العرب القدماء ومن جملة ما قاله « ان مدينتي ظفار وحدافة فيها نقوش لا يقدر اليهود ولا العرب على قراءتها »

وفي أوائل القرن التاسع عشر وفق شامبليون الفرنسي الى حل الهيروغليف المصري فعلقت آمال المستشرقين بحل كتابة اليمن واخذت الحمية المستشرق الالماني زتسن فساغر الى اليمن سنة ١٨١٠ مستضيئاً بما قاله نيبوه فلم يجد حدافة ولكنه عثر في ظفار على ثلاثة نقوش نسخ واحداً منها ونقل الآخرين ورجع الى مخا فوجد هناك خمسة نقوش لم يستطع نسخ غير اثنين منها ونظراً لتسرع في النقل لم يستفد العلماء من تبعه . وشاع ذلك في اهل الرحلة فاصبح الضباط الانكليز المسافرين الى الهند اذا مرت سفائنهم بشواطئ اليمن بحثوا في آثارها فعثروا ضابط منهم اسمه واستد سنة ١٨٣٨ على نقوش حميرية في صخر من بقايا قلعة يقال لها حصن غراب واهتم العلماء بقراءة ذلك النقش فذهبوا فيه كل مذهب ولم يضبطوا قراءته الا بعد اعوام

وكان مع واستد على تلك الباخرة ضابط اسمه كروتندن وجد في صنعاء بضعة نقوش قيل له انها محمولة من خرائب مأرب التي كان فيها السد المشهور ووقف غير هؤلاء على امثال هذه القطع مما لا اهمية كبرى لها . فالباديء بالتنقيب عن آثار اليمن الالمان ثم الانكليز ثم آتى دور الفرنسيين وكانت خدمتهم اوسع مجالاً واكثر عمراً . واول من اقدم على ذلك ارنو (Arnaud) اخترق اواسط اليمن سنة ١٨٤٣ وعاد معه ٥٦ نقشاً نقلها عن آثار صنعاء والحربية ومأرب وحرم بلقيس . وكان ارنو صيدلياً لامام صنعاء وله معرفة بالموسيو فرسند فنصل فراسا بجدة فاشار فرسند عليه ان يذهب لاكتشاف آثار مأرب التي يتحدث الناس باخبارها وهي من عواصم مملكة اليمن الكبرى . فاطاعه واصطحب قافلة اظهر لرجالها الفقر والمسكنة فقاسى في تلك الرحلة مرّة المذاب من الخوف والتعب لانهم كانوا يكلفونه ما لا طاقة به ثم استغشوه واختلفوا في ماهيته ولم يتركوا له فرصة ينسخ فيها النقوش او يطبعها فكان يفعل ذلك سرّاً تحت

خطر القتل . وقد أثر الاقليم في عينيه فاصيب برمد ذهب بصره فعماد الى صنعاء انعمى
 فارسل ما كان قد نسخه الى صديقه فرسئل . وقد نشرت أخبار تلك الرحلة ونقوشها
 بالمجلة الاسيوية في عدة أجزاء منها . وفي بعض هذه الاجزاء خريطة سد مأرب وهو
 أول من تمكن من مشاهدة آثار ذلك السد . وقد حل نقوش ارنو التي نحن في صدها
 المستشرق اوسياندر الشهر سنة ١٨٤٥



ش ١ — يوسف هاليبي

وتكاثر النقوش عندهم ولكنهم لم يكتفوا بما حلوه منها فتشكلت للعمل في هذا
 السبيل جمعية الآثار السامية (Corpus inceptorum semitorum) واهتم ناظر
 المعارف في باريس بارسال المستشرق هاليبي سنة ١٨٦٩ م في الطريق الذي مشى فيه
 ارنو قبله فسار حتى بلغ مأرب ورجع وجمع ٦٨٠ نقشاً اكثرها لسوء الحظ منقول
 باحرف عبرانية فقلل ذلك من أهميتها . وانما اضطر هاليبي لنقلها على هذه الصورة
 التماساً للسرعة وخوفاً من مفاجأة العرب له وهو ينقل او يرسم . وكان اذا رأى نقشاً
 وأراد نقله تظاهر بالرقاد او احتال باظهار الصلاة ونقل ما ينقله خلسة . واكتشف
 هاليبي في رحلته هذه بلاد الجوف التي مرت بها اليوس غالوس الفاتح الروماني ولم يكن
 الجغرافيون يعرفونها ولا يعرفها أهل صنعاء أنفسهم مع قربها منهم . وارتحل من
 الجوف الى نجران واكتشف « معين » عاصمة دولة المعينيين التي ذكرها اليونان
 بين دول اليمن والعرب لا يعرفونها وسيأتي تفصيل خبرها . وقرأ في النقوش التي

اكتشفها اسماء عدد غفير من ملوك الين واهلهم وبلادهم وقبائلهم لم يكن معروفاً من قبل



ش ٢ - ادوارد غلازر

ثم عاد الامان الى الاهتمام بآثار الين مثل اهتمامهم بسائر أحوال الشرق واكثرهم شاء في خدمة هذه الآثار ادوارد غلازر فقد ارتاد أواسط الين مراراً وصل في بعضها الى مأرب نفسها وهو ثالث افرنجي وطئها وتفقد آثارها وعاد سالماً . وقد نقل معه نحو الف نقش منها ومن غيرها بينها نقوش في غاية الاهمية بعضها تاريخي يذكر بناء سد مأرب وتصليحه وبعضها غير ذلك ولم ينشر منها الا القليل . والف كتاباً في تاريخ بلاد العرب القديمة وجغرافيتها لم ينشر منه الا الجزء الثاني وهو القسم الجغرافي سنة ١٨٩٠ والناس في شوق عظيم للاطلاع على سائر النقوش وعلى القسم التاريخي من كتابه . على انه الف كتباً اخرى عن الحبشة وغيرها كلها بحث ودروس

وحاول الوصول الى مأرب جماعة غير هؤلاء الثلاثة فأتوا في الطريق منهم هوبر الفرنساوي ولانجبر النمساوي ^(١) . ومن الانكليز الذين ارتادوا جنوبي جزيرة العرب ثيودور بنت كشف في حضرموت آثاراً هامة وكذلك هريس وغيره ^(٢)

ففي متاحف اوربا ومكاتبها الان عدد كبير من آثار الين بعضها منقوش على الحجر او البرونز في ألواح او أحجار وبعضها منقول بالرسم او الطبع يزيد عددها على الفين نشر منها جانب كبير في المجلات الشرقية الالمانية والفرنساوية والانكليزية . واشهر الذين اشتغلوا في حلها اوسياندر وهاليفي ومورتمان ومولر وغلازر وديرنبورغ وهومل .

ولهذا الاخير كتاب باللغة الالمانية في نحو اللغة الميعنية والسبائية (الحميرية) وصرفها وقراءتها جزيل الفائدة

آثار شمالي جزيرة العرب

اما شمالي جزيرة العرب فقد أصابها مثل حفظ الجنوب من حيث اهتمام المستشرقين بارتياحها فمئروا فيها على آثار هامة ووقفوا على بقايا دولة الانباط التي لا يعرف العرب عنها شيئاً ولها في تاريخ اليونان ذكر كثير . وكتابتها تعرف بالنبطية وجدوا منها نقوشاً كثيرة على آثار بطرامدينة الانباط وآثار الحجر مدينة نمود (مدائن صالح) واكتشفوا في العلا وحوران وغيرها آثاراً عليها نقوش بالمسند (الخط الحميري) مع بعض التغير فسموه باسماء اصطاحوا عليها منها الآثار الصقوية في جبل الصفا بحوران والاحمانية والثمودية فضلاً عن آثار تدمر وغيرها مما سيأتي تفصيله في مكانه

واشهر الذين ارتادوا شمالي بلاد العرب او اكتشفوا آثارها أو قرأوا نقوشها بوركهارت وغراهام ووترشتاين وبلغراف وفوجيه ووادنتن ودوتي وادبتن وبلنت ودوسو فضلاً عن هاليفي ومولر وليتمن وهومل وديرنبورغ وغيرهم من الذين اشتغلوا باحوال اليمن . والآثار التي اكتشفها هؤلاء وغيرهم في شمالي جزيرة العرب ليست عربية وانما هي سامية بعضها فينيقي والبعض الاخر آرامي عمروا عليها في فينيقية ومواب وزنجري وتيما وفي بطرا والعلاء والحجر والصفا وبصرى وتدمر

واقدم النقوش التي اكتشفوها في هذه الاماكن لا يتجاوز تاريخها القرن التاسع قبل الميلاد وأحدثها في القرن الثالث بعده . وهي مكتوبة بافلام مختلفة أشهرها الفينيقي والآرامي والنبطي والتدمري والمسند . واكثرها أدعية او أخبار محلية وقتية او دينية قلما افادت التاريخ على اجماله الا من حيث ورود اسماء بعض الملوك او القواد أو الالهة التي تساعد على تحقيق الحوادث المدونة في الكتب

وبالجملة ان ما اكتشفوه من الآثار المنقوشة في بلاد العرب على قلة وسائط الاكتشاف قد اوضحت كثيراً من الحقائق التاريخية وذكرت دولاً وحوادث لم يذكرها التاريخ العربي ولا اليوناني



المصادر المنقوشة خارج بلاد العرب

ونريد بها آثار بابل واشور ومصر وفينيقية وقد يتبادر الى الذهن ان هذه الآثار بعيدة عن احوال العرب وتاريخهم ولكنهم وقفوا في آثار بابل على نقوش بالحرف المسماري استفادوا منها شيئاً كثيراً عن تاريخ العرب القديم على عهد العماقة او العرب البائدة مما لم يذكره العرب ولا اليونان ولا وجدوه في نقوش بلاد العرب باليمن او الحجاز او غيرها . فاستدلوا مثلاً من قراءة آثار بابل واشور على تأييد ما ذكره بروسوس مؤرخ تلك الدول من قيام دولة عربية تولت بابل بضعة قرون في الالف الثالث قبل الميلاد . وآثار مصر ايدت سيادة العماقة على مصر نحو ذلك الزمن على ما انفصله في مكانه . فضلاً عما كان من اكتساح المصريين والاشوريين لبلاد العرب بعد ذهاب سيادة هؤلاء عن دينك البلدين

الخلاصة

فقد عولنا في تأليف هذا الكتاب على ما كتبه العرب بعد تمحيصه وتثقيحه وعلى ما جاء في النوراة وما كتبه اليونان والرومان وما استخرجه علماء الآثار من قراءة النقوش في بلاد العرب جنوباً وشمالاً وما استخرجوه من آثار بابل واشور ومصر الى هذا العام (١٩٠٨) - لم نغادر كتاباً يبحث في شيء من ذلك بالمرية او الانكليزية او الفرنسية او الالمانية الا طالعناه وتفهمناه . وهذه أهم الكتب التي استعنا بها في تأليف هذا الكتاب نذكرها بحسب لغاتها ورتبها باعتبار الابجدية :

اولاً - الكتب العربية

اسم الكتاب	اسم مؤلفه	مكان طبعه وسنته
الاغاني ٢٠ جزءاً	ابو المرحج الاصفهاني	بولاق ١٢٨٥ هـ
تاريخ سني الملوك	حمزة الاصفهاني	ليبسك ١٨٤٨ م
» الامم والملوك ١١ ج	الطبري	ليدن ١٨٨٥ هـ
» اليعقوبي	ابن واضح اليعقوبي	» ١٨٨٣ هـ
السيرة النبوية ٣ ج	» هشام	بولاق ١٢٩٥ هـ
صفة جزيرة العرب	ابو محمد الهمداني	ليدن ١٨٨٤ م
طبقات الشعراء	ابن قتيبة	» ١٩٠٢ هـ
المعبر وديوان المبتدا والخبر ٧ ج	ابن خلدون	بولاق ١٢٨٤ هـ

اسم المؤلف	اسم الكتاب	مكان طبعه وسنته
ابن عبد ربه	العقد الفريد ٣ اجزاء	مصر ١٣٠٥ هـ
ابن الاثير	الكامل ١٢ جزءاً	» ١٣٠٢ هـ
المبرد	»	» ١٢٨٦ هـ
ابن دريد	كتاب الاشتقاق	غوتنجن ١٨٥٤ م
البلخي	» البدء والتاريخ ٤ ج	شالون ١٩٠٧ هـ
ابن قتيبة	» المعارف	مصر ١٣٠٠ هـ
النعالي	لطائف المعارف	ليدن ١٨٦٧ م
ابو الفداء	المختصر في اخبار البشر ٥ ج	القسطنطينية ١٢٨٦ هـ
المسعودي	مروج الذهب جزآن	مصر ١٣٠٤ هـ
ياقوت الحموي	المشترك وضعاً	غوتنجن ١٨٤٦ م
»	معجم البلدان ٦ اجزاء	ليبسك ١٨٧٠ هـ
البكري	معجم ما استمعهم جزآن	غوتنجن ١٨٧٧ هـ
القلقشندي	نهاية الارب في قبائل العرب	خط
هيرودوتس	هيرودوتس	بيروت ١٨٨٧ هـ

ثانياً — الكتب الانكليزية

Alexander, Biblical Literature, 3 vol.,	Philadelphia.	1866
Babylonian Expedition, vol. III	..	1905
Bent, The Sacred City of the Ethiopians,	London.	1893
Browne, Literary Hist. of Persia, 2 vol.,	..	1906
Brugsch Bey, History of Egypt Under the Pharaohs 2 vol.,	..	1881
Burton, The Land of Midian,	..	1879
.. The Gold mines of Midian,	..	1878
Clare, Library of Universal History, 8 vol.,	New York.	1897
Clay, Light on the Testament from Babel,	London.	1907
Cooke, North Semitic Inscriptions,	Oxford.	1903
Doughty, Travels in Arabia Deserta,	Cambridge.	1888
Edwards, The Hammurabi Code,	London.	1901
Forster, Historical Geography of Arabia, 2 vol.,		1811
Gibbon, Roman Empire, 2 vol.,		

Harris, Journey through the Yaman,	London,	1893
Heeren, Historical Research, II,	Oxford,	1833
Hill, With the Bedwins,	London,	1891
Josephus, Antiquities of the Jews,	"	"
Journal of the Royal Asiatic Society, several volumes,	"	1834—1907
King, Egypt and Western Asia in the light of recent discoveries,	"	1907
Margoliouth, Mohamed & the Rise of Islam,	"	1905
Msapero, The Dawn of Civilisation in Egypt & Chaldaæ,	"	1891
Merril, East of the Jordan,	New York,	1881
Nicholson, Literary Hist. of the Arabs,	London,	1907
Old Testament and Semitic Studies. 2 vol.,	Chicago,	1908
Palgrave, Personal Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia,	London,	1873
Plate, Ptolemy's knowledge of Arabia,	"	1815
Rawlinson, Five great Monarchies, 4 vol.,	"	1867
Redhause, Were Zenobia and Zebba'u Identical ? (J. R. A. S.)	"	1887
Sharpe, History of Egypt, 2 vol.,	"	1885
Sprenger, The Campaign of Aelius Gallus (J. R. A. S.),	"	1873
Smith, Dictionary of the Bible, 8 vol.,	New York,	1868
Universal History, vol. XVIII,	London,	1718
Wellsted, Travels in Arabia, 2 vol.,	"	1838
Wilkinson, The Ancient Egyptians, 2 vol.,	"	1878

ثالثاً - الكتب الفرنسية

Arnaud, Plan de la Digue & de la Ville de Mareb, J. A. 7me, Serie. IV	Paris,	1871
" Relation d'un voyage à Mareb, J. A. 1me. serie, V	"	1815
Berger, Histoire de l'Ecriture dans l'Antiquité,	"	1891
" l'Arabie avant Mohamed d'après les Inscriptions,	"	1885
Desverger, Histoire de l'Arabie,	"	1847
Dussaud, Les Arabes en Syrie avant l'Islam,	"	1907
Duval, La litterature Syriaque,	"	1900
Ganneau, La Province romaine de l'Orient, (Et. Arch. Ar. II),	"	1897
Goeje Hadramut, Revue Coloniale Internationale, II,	"	1887

Halévy Etudes Sabéennes, J. A. 7me. Serie,	I. II. IV, Paris,	1873—74
„ Essai sur les Inscriptions du Saba,	J. A. 7me. S. X & XVII, Paris,	1877—81
Journal Asiatique, plusieurs volumes,	„	1822—1907
Labourt, Le Christianisme dans l'Empire Perse,	„	1907
Lenormant, Manuel de l'histoire Ancienne de l'Orient, 3 vol.,	„	1869
Maspero, Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient, 3 vol.,	„	1899
Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes, 3 vol.,	„	1847
Renan, Histoire des Langues Semitiques,	„	1855
Strabon, Geographie, 4 vol.,	„	1886
Vogué, Syrie centrale, 3 vol.,	„	1877
Volney, Voyage en Syrie et en Egypte, 2 vol.,	„	1798

رابعا - الكتب الالمانية

Blan, Die Wanderung der Sabacischen Volkerstamme (Z. D. M. G.)		1868
Baedeker's Palastina und Syren,	Leipzig,	1991
Brunnow & Pomarzauski, Die Pronvincia Arabia, 3 vol.,	Strasburg,	1906
Euting, Nabatäische Inschriften aus Arabien,	Berlin,	1881
Glaser, Der Damme von Marib, O. M. O. XXIII,		1897
„ Abessiner in Arabien & Africa,	München,	1895
„ Skizze der Geschichte und Geographie Arabien von den ältesten Zeiten, Band II,	Berlin,	1890
„ Südarabische Streifragen,	Prag,	1887
„ Zwei Inschriften über den Dammbruch von Marib, (Mith. Vordras. Ges.),		1887
Grimme, Weltgeschichte in Charakterbildern, Mohamed, München,		1904
Hommel, Südarabische Chrestomatie,	„	1893
„ Der Gestirn dienst den alten Araber & die alter Ra hitische	„	1901
Kremer, Die Südarabische Sage,	Leipzig,	1866
Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitische Epigraphik, Weimar,		1893
Mordtman, Himjarische Inschriften und altertümer in den Kon. Mus.,	Berlin,	1893
Müller, Die Burgen und Schlösser Südarabiens nach dem Jklil des Hamadani, 2 heft.,	Wien,	1881

Müller, Südarabische Altertümer in künsthistorischen	Hohemuseum, Wien,	1899
Nielson, Die altarabische Mondreligion und die	Musaische Überlieferung	Strasburg, 1904
Noeldeke, Die Ghassanische Fürsten ans dem	Hause Gafna's,	Berlin, 1887
Rothstein, Die Dynastie der Lahmidin in Alhira,	"	1891
Sprenger, Die alte Geographie Arabiens,	Bern,	1873
Wellhausen, Reste Arabischen Heidentum,	Berlin,	1897
Weber, Arabien vor dem Islam,	Leipzig,	1901
Wustefeld, Genea. Tab. der Arabischen Stämme	und Familien,	Göttengen, 1852
Zeitschrift Der D. M. Gesel.,	Berlin, 1845	1907

هذه أهم الكتب التي استعنا بها في تأليف القسم التاريخي من هذا الكتاب فضلا عما رجعنا اليه من الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والاثريّة وغيرها وسنشير في ذيل الصفحات الى بعض هذه المصادر ونكتفي غالباً بذكر اسم المؤلف الا اذا كان اسم الكتاب غالباً على شهرة مؤلفه فنذكر اسم الكتاب . واذا كان له غير كتاب ذكرنا بجانب اسمه ما يميز أحدها من الآخر فبعد أن طالعنا هذه الكتب وتفهمناها وقابلنا بينها نمثل انما تاريخ العرب قبل الاسلام على شكل بسطناه في هذا الكتاب ربما خالف ما ذهب اليه سوانا في بعض الاحوال ولا سيما في التاريخ القديم لقلة النصوص الصريحة فمولنا على الاستنتاج والقياس . ومتى زادنا الباحثون من استخراج آثار بلاد العرب وبابل واشور يزداد هذا التاريخ وضوحاً . لان الباقي تحت الرمال من تلك الآثار اكثر كثيراً مما كشفوه لكثرة الاعاصير السافية في جزيرة العرب التي تقذف الرمال الى الاودية فتتراكم فيها بتوالي الاعوام حتى تجعلها سهولاً . وكل ما وصل اليها خبره من انقراض تلك البلاد وجدوه ظاهراً على القمم التي لم تغطها الاعاصير — فما قولك اذا نقبوا عما في السهول والودية . وقد يكون ما يكتشفونه ناقضاً لبعض ما ذهبنا اليه فيصلح في حينه



جغرافية بلاد العرب

مرودها

إذا أريد ببلاد العرب جزيرتهم فقط فحدودها الطبيعية اربعة : شرقي شمالي يبدأ في الجنوب بخليج فارس من شواطئ عمان فالبحرين الى مصب الفرات ودجلة ثم على طول الفرات الى أعالي سوريا . وغربي شمالي يمتد من الفرات شرقي سوريا وفلسطين الى خليج العقبة . وشرقي جنوبي على طول البحر الاحمر الى باب المندب . وجنوبي غربي هو بحر العرب على شواطئ اليمن وحضرموت والشحر الى شواطئ عمان . أما العرب فكانوا يدخلون في جزيرتهم برية سيناء وفلسطين وسوريا . فحدودها عندهم تبدأ من قنسرين في الشمال على شاطئ الفرات وهو رأس حدها الشرقي ويمتد مع الفرات في مسيره جنوباً شرقياً حتى يصب في البحر عند البصرة والابلة ومنها على شاطئ خليج فارس مطيفاً على سفوان وانقطيف وهجر واسياف البحرين وقطين وعمان . ثم ينمطف غرباً جنوبياً بشواطئ بحر العرب على الشحر وحضرموت الى عدن وينمطف شمالاً غربياً على شواطئ البحر الاحمر الى خليج ابلة وساحل راية الى القلزم (السويس) ومنها الى بحر الروم ويسير فيه على شواطئ فلسطين وسوريا فيمر بسواحل عسقلان والاردن وبيروت الى قنسرين حيث بدأ . فهي عندهم تشتمل على شبه جزيرة سيناء وفلسطين وسوريا وذلك اقرب الى التحديد الطبيعي لان الاصل في الحدود ان تكون انهرأ او ابجرأ او جبالات عالية على انا اذا اردنا بجزيرة العرب البلاد التي كان يسكنها العرب على الاطلاق فنرى حدودها تختلف باختلاف الاعصر والدول فقد كانت في الزمن القديم تمتد من ضفاف الفرات غرباً الى ضفاف النيل لان بعض قبائلهم كانت على عهد الفراعنة تضرب خيامها في البادية بين النيل والبحر الاحمر . وكان المصريون من قديم الزمان يعتبرون كل ما هو شرقي بلادهم الى حدود بابل بلاد واحدة يسكنها العرب على ما سنبينه في ما يلي . ونكتفي الآن بالحدود المعروفة وهي الفرات من قنسرين بخليج فارس فبحر العرب فالبحر الاحمر بخليج العقبة فحدود فلسطين وسوريا الى الفرات

أقسامها

واختلفت أقسامها أيضاً باختلاف العصر فكانوا يقسمونها قسدياً باعتبار طبائع اقاليمها الى البادية في الشمال والحاضرة في الجنوب . والبادية تشمل القسم الشمالي من تلك الجزيرة من مشارف الشام الى حدود نجد والحجاز . والقسم الجنوبي يشمل سائر جزيرة العرب وفيها الحجاز ونجد واليمن وغيرها . ثم أضاف اليونان الى هذين القسمين قسماً ثالثاً سموه العربية الحجرية Arabia Petra نسبة الى بطرا في وادي موسى جنوبي فلسطين فاصبحت بلاد العرب عند بطليموس القلوزي ثلاثة أقسام : البادية Arabia Petra والحجرية Arabia Deserta والسعيدة Arabia Felix ومما ذكره بطليموس من مدنها في ذلك العهد تيماء وحويطة ودوماته (دومة الجندل) واوراننا (حوران) وغيرها في البادية . وبطرا وبصرى وجرش وعمان واذرع وليزا وغيرها في العربية الحجرية . وسبا ومأرب وظفار وحضرموت وعمان والحجر وغيرها في العربية السعيدة . غير ما ذكره من أسماء القبائل والامم ومنها ما لم يعرفه العرب — وظل تقسم بطليموس مرعياً في ادربا الى عهد غير بعيد

اما العرب فيقسمونها الى أقسام طبيعية باعتبار المواضع واقليمها . واساس تقسيمها عندهم جبل السراة وهو أعظم جبال جزيرة العرب عبارة عن سلسلة جبال تبدأ في اليمن وتمتد شمالاً الى أطراف بادية الشام فتقسم جزيرة العرب الى شطرين غربي وشرقي : فالغربي وهو أصغرهما ينحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل الى شاطئ البحر الاحمر وقد صارها بطاً او غاراً فسموه الغور او تهامة . والقسم الشرقي اكبرهما يمتد شرقاً وهو على ارتفاعه مسافة طويلة الى أطراف العراق والسماء فسموه نجداً لذلك السبب . وسموا الجبل الفاصل بين تهامة ونجد « الحجاز » وهو جبال تنخللها المدن والقرى . وجعلوا ما تنتهي به نجد في الشرق حتى يصل الى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان وما والاها ويسمونها العروض وسموا القسم الجنوبي وراء الحجاز ونجد بلاد اليمن وحضرموت والشحر

فجزيرة العرب تقسم بهذا الاعتبار الى خمسة أقسام كبرى الحجاز وتهامة ونجد والعروض واليمن وكل منها يقسم الى أقسام اختلفت اسمائها وحدودها باختلاف العصر والدول فالحجاز يشمل كل شمالي جزيرة العرب والطائف وجدة وينبع وغيرها . واليمن يشمل معظم بلاد الجنوب ويمدون حضرموت والشحر منها واشهر مدنها الآن صنعاء وشبوة وغيرها . وتقسم اليمن الى مخاليف واحدها مخاليف وسنعود الى ذلك في اثناء تارخها

العرب

إذا قلنا « العرب » اليوم أردنا سكان جزيرة العرب والعراق والشام ومصر والسودان والمغرب . أما قبل الاسلام فكان يراد بالعرب سكان جزيرة العرب فقط لان أهل العراق والشام كانوا من السريان والكلدان والانباط واليهود واليونان وأهل مصر من الافباط وأهل المغرب من البربر واليونان والفندال وأهل السودان من النوبة والزنوج وغيرهم . فلما ظهر الاسلام وانتشر العرب في الارض توطنوا هذه البلاد وغلب لسانهم على ألسنة أهلها فسموا عرباً

أما في التاريخ القديم على عهد الفراعنة والاشوريين والفينيقيين فكانوا يريدون بالعرب أهل البادية في القسم الشمالي من جزيرة العرب وشرقي وادي النيل في البقعة الممتدة بين الفرات في الشرق والنيل في الغرب ^(١) وبدخل فيها بادية العراق والشام وشبه جزيرة سيناء وما يتصل بها من شرقي الدلتا والبادية الشرقية بمصر بين النيل والبحر الاحمر . وكان وادي النيل هو الفاصل الطبيعي بين ليبيا في الغرب وبلاد العرب في الشرق . وكان المصريون يسمون الجبل الشرقي الذي يحد النيل في الشرق جبيل العرب او بلاد العرب وبسمون الجبل الغربي جبيل ليبيا

ولفظ « عرب » في التاريخ القديم كان يرادف لفظ « بدو » أو بادية « في هذه الايام وهو معنى هذا اللفظ في اللغات السامية ومنها العبرانية « البادية » يقابلها في اللغة العربية « العاربة » في وادي موسى والاعراب سكان البادية خاصة ولا مفرد لها . على ان العرب كانوا يسمون جزيرتهم « عربية » ^(٢) ولما تحضر بعض قبائل العرب قديماً واقاموا في مدن اليمن والحجاز وحواران وغيرها لم يعد لفظ « العرب » محصوراً في « البدو » فتنوع معناه كما تنوع مسماه فاضطروا الى كلمات تميز بين الحاليين فاستعملوا لفظ « الحضر » لاهل المدن و « البدو » لاهل البادية . ولم يبق للفظ « العرب » من معنى البداوة الآن الا في مثل قولهم اعرابي كما تقدم . وكان السبأيون (دولة سبأ) الى تاريخ الميلاد اذا ذكروا بعض قبائل الحضر وبدوها قالوا « القبيلة الفلانية واعرابها » . وكان أولئك العرب أو البدو سكان تلك البادية في شمالي جزيرة العرب يقسمون الى قبائل وبطون وعمائر كما كان حالها قبل الاسلام وبعده

(١) هيرودوتس ١١٢ (٢) ياقوت ٦٣٣ ج ٣

أما جنوبي جزيرة العرب بين خليج فارس والبحر الاحمر فكان اليونان القدماء يمدونه من اتيوبيا (الحبشة) فيجملون الحبشة واليمن وضماف خليج فارس اقليماً واحداً يسمونه « اتيوبيا آسيا » ^(١) وسكانه أمم وقبائل تعرف بأسماء خاصة بها كالسبائيين والحجريين والمعينيين وغيرهم كما سيأتي

وما لبث اليونان ان استبدوا بالتمدن الشرقي واقاموا في الاسكندرية على عهد البطالسة حتى غيروا تلك الاسماء واطلقوا على الجزيرة كلها اسم بلاد العرب وقسموها الى أقسامها الثلاثة التي تقدم ذكرها . ثم قسمها العرب الى خمسة أقسام وسموا أهلها على الاجمال عرباً بالطلاق الجزء على الكل كما أطلق الجغرافيون لفظ « آسيا » على قارة آسيا وكانوا يريدون بها على عهد اليونان آسيا الصغرى . واطلقوا أفريقيا على القارة كلها وكانت اسم جزئها الشمالي فقط . ولنفس هذا السبب اطلق اليونان على أهل جزيرة العرب لفظ ساراسين Saracen وهو اسم قبيلة من سكان اعالي الجزيرة يظن بعضهم انها منحوتة من « الشرقيين » لان تلك القبيلة كانت تقيم في شرقي جبل السراة . ^(٢) ولذلك ايضاً يعرف العرب عند السريانيين باسم « طاية » نسبة الى طيء احدى قبائلهم . وعلى هذا القياس يسمي العرب اهل اوربا « افرنج » وهو في الاصل اسم امة منهم هم « الفرانك » ويعرف السوريون اليوم بأسماء تختلف باختلاف المهاجر فهم يسمون في الاسنانه « حلبية » لان اقدم من نزح اليها منهم الحلبيون ويسمون في العراق البيارتة نسبة الى بيروت . وفي مصر « الشوام » نسبة الى الشام لان أهلها أقدم من هاجر الى مصر من السوريين

مهم العرب

واين هو مهد الساميين

استطاع المؤرخون في هذا العصر ان يسموا الشعوب التي تتفاهم بالعربية والعبرانية والسريانية والحبشية والتي كانت تتفاهم بانفيزيقية والاشورية والآرامية « شعوباً سامية » نسبة الى سام بن نوح لان هذه الامم جاء في التوراة انها من نسله وسموا لغاتهم اللغات السامية . ولا خلاف في ان هذه اللغات متشابهة في الفاظها وتراكيبها وانها من أصل واحد يسمونه « اللغة السامية » كما تشابه فروع اللغة اللاتينية او فروع السنسكريتية فيقال

مثلاً ان اللغتين الايطالية والاسبانية اختان امهما اللغة اللاتينية وان الفارسية والاوردية اختان امهما السنسكريتية كما يقال ان لغات العامة في الشام ومصر والمغرب والحجاز اخوات امهن اللغة العربية الفصحى . فهذه الامهات لا تزال محفوظة يمكن رد بناتها اليها اما ام اللغات السامية فلا وجود لها الآن وقد ظن بعض فلاسفة اللغة انها للعبانية وزعم غيرهم انها العربية وغيرهم انها البابلية ولا تخرج أقوالهم عن حد التخمين واختلفوا ايضاً في موطن الساميين الاصلي ولهم في ذلك ابحاث طويلة لا فائدة من ايرادها ويقال بالاجمال انها ترجع الى اثنتين - الاول : رأي أصحاب التوراة ان مهد الانسان في ما بين النهرين ومنه تفرق في الارض فاشتق من الساميين الاشوريون والبابليون في العراق والآراميون في الشام والفيثيقيون على شواطئ سوريا والعبرانيون في فلسطين والعرب في جزيرة العرب والاثيوبيون في الحبشة . ومرجعهم في اثبات ذلك الى أقوال التوراة . ولا يقول هذا القول من علماء هذا العصر الا قليلون (١)

أما المستشرقون فنظروا في ذلك باعتبار اللغات واشتقاقها قرأت طائفة منهم مشابة بين اللغات السامية والحامية (لغات افريقيا) فذهبوا الى أن مهد الساميين في افريقيا ونظراً لقرب الحبشة من بلاد العرب اقلها ولغة قالوا ان مهد الساميين الحبشة ومن أصحاب هذا المذهب سالت وريتر . وذهبت طائفة أخرى وفي مقدمتها سبرنجر وشريدرو ونكلر الالمانيون وروبرتسن سميث الانكليزي ان مهد الساميين جزيرة العرب ومنها تفرقوا في الارض كما تفرقوا في صدر الاسلام . ولهم على ذلك أدلة وجيهة بعضها لغوي والبعض الآخر اجتماعي أو اخلاقي وتطرف بعضهم بذلك حتى حصروا ذلك المهد في بادية الشام الى نجد . ومن أدلتهم على صحة مذهبهم ان اللغة العربية أقرب اخواتها الى اللغة السامية الاصلية وان في العبرانية والآرامية آثار الحياة البدوية وهي عربية

وذهبت طائفة أخرى زعيمها اغنازيو جويدي المستشرق الايطالي ان مهد الساميين في جنوبي الفرات اسند أقواله الى أسباب جغرافية طبيعية تتعلق بتفرق النبات والحيوان واسماؤها في اللغات السامية . وتوسع آخرون في آرائهم من هذا القبيل فقالوا ان أصل الساميين في الحبشة وانهم عبروا الى جزيرة العرب من بوغاز باب المندب الى اليمن قبل زمن التاريخ وتكاثروا هناك وانتقلوا من اليمن الى الحجاز ونجد والبحرين ثم نزلت

(١) Ency. Brit. Art. Arabia. & Dussaud, 18

لما نفا منهم الى فلسطين وفيها الفلسطينيين القدماء وطائفة الى العراق وأهل العراق ومثذ السومريون أو الاكاديون^(١) وهم طورانيون (من جنس المغول) وقد تمدنوا وتحضروا . وطائفة الى فينيقية فغلب الساميون على تلك البلاد وانشأوا ذول بابل واشور وفينيقية وفلسطين وغيرها . ويرى أصحاب هذا المذهب ان العبرانيين نزحوا من الحجاز والاراميين من نجد لان آرام معناها الجبال ونجد جبلية . ويستشهدون على صحة رأيهم بما ذكره هيرودوتس عن نزوح الفينيقيين في الاصل من شاطئ خليج العجم

ويقال بالاجمال ان مسألة مهد الساميين لا تزال من المسائل الغامضة التي يجب تركها حتى تتسع معارفنا بما يكشفونه من الآثار العربية والاشورية والبابلية وغيرها . ومهما يكن من أمر ذلك المهد فان الامم التي تفرقت منه كانت تتكلم عند تفرقها لغة واحدة هي اللغة السامية الاصلية ثم تغيرت تلك اللغة حسب الاقاليم وعلى مقتضى ناموس الارتقاء وتباعدت الفاظها وتراكيبها ولا تزال تشترك في خصائص تميزها عن سواها من اللغات الارية والطورانية

البداءة غذاء الحضارة

فلندع البحث في ما هو قبل التاريخ ونأت الى زمن التاريخ فيظهر لنا ان أقدم الامم السامية التي تمدنت وخلفت آثاراً البابليون تمدنوا في الالف الثالث قبل الميلاد^(٢) وهو الزمن الذين نزح فيه الفينيقيون من خليج فارس الى سوريا^(٣) على ما يظن . وكانت بابل بلاد حضارة وتمدن قبل ذلك الحين باحيال وسكانها السومريون^(٤) . فقام الساميون اولاً في غربها ببادية العراق والشام وهم قبائل رحل يعيشون على السائمة والغزو مثل بدر هذه الايام هناك وكما كان بنو لحم وغسان في صدر الاسلام . فكان السومريون يستعينون بهم في محاربة اعدائهم كما كان الفرس والروم يستعينون بالخميين والغساسنة لان الغلبة كانت يومئذ للقوة البدنية . والحضارة تبعث على الرخاء والترف والانتعاش بالملذات والاركان الى الراحة فتذهب تلك القوة وتأول الى الضعف . والبداءة تقوي الابدان وتربي النفوس على الاستقلال فلذلك كان أهل الحضارة أو المدن يستعينون بأهل البداءة أو الحبال في ما يحتاج الى جهد . حتى اذا شاخت الدولة المتحضرة خلفها جيرانها البدو أو الجبليون بالفتح أو نحوه وقاموا مقامها واقتبسوا طادات أهلها وديانتهم . ثم لا يلبثون أن يدركهم الهرم فيخلفهم سواهم من أهل البادية سئة

(١) Grimme, 10 & 14 (٢) Clay, 75 (٣) هيرودوتس ٤٦٨

(٤) King, 135—143

الله في خلقه . كان اهل البادية أو الجبال مصدر الغذاء للمدن يحيون أهلها بالنزول
بينهم والتزوج فيهم ويربون لهم الماشية والساعة لغذائهم وركوبهم . وكان المدن
مهلك الابدان والعقول يأتيها البدو بنشاطهم واقتهم فلا يلبثون ان يحضروا ويركنوا
الى الرخاء حتى تحل عزائمهم ويتولاهم الضعف ويتفشى فيهم الذل فيأتي من يقوم
مقامهم . وقد يتسرب ذلك الغذاء تدريجاً بمن يفد على المدن من أهل الجبال المجاورة
كما يجري في سوريا لهذا العهد فان مدنها تجدد قواها بمن ينزلها من أهل لبنان .
واذا تأملت النهضة الاخيرة في الشام رأيت القائمين بها اكثرهم من أهل ذلك الجبل
النشيط

هذا هو شأن العالم من قديم الزمان حتى الآن — فالعراق أو ما بين النهرين
بلاد خصب ورخاء نزلها الطورانيون قديماً جاؤوها وهم أهل بادية أو جبال فطاردوا
قوماً كانوا فيها من أهل الرخاء لم يصلنا خبرهم وانشأوا فيها تمدناً حسناً واتخذوا آلهة
وشرائع واستنبطوا كتابة صورية تحولت بتوالي الاجيال الى الشكل المسماري المعروف .
ولما تحضروا وغلب عليهم الرخاء جاءهم الساميون من البادية وغلبوهم على ما في ايديهم
واخذوا آلهتهم وشرائعهم وزادوا فيها أو حسنها . وقد تدرجوا في التغلب والتحضّر
على الاسلوب الآتي :

كان الساميون في اعالي جزيرة العرب وقد خيم بعضهم في البادية بين العراق والشام
فالقيمون منهم قرب الفرات كانوا يتسربون تدريجاً الى المدن المجاورة . فمن تحضر
منهم هناك خدم دولتها في الحروب أو غيرها مما يحتاج الى قوة بدنية ثم يندمج في أهلها .
وكان سكان المدن يسمون أهل تلك البادية « آرايين » ^(١) أي أهل الجبال . وأهل
ما بين النهرين يسمونهم « عمورو » أي أهل الغرب لان بلادهم واقعة غربي الفرات
وهو اسمهم القديم في بابل . وقد يراد بالعمورو أهل غربي الفرات من بدو وحضر
الى البحر المتوسط ^(٢) ثم سموهم « عريبي » أو عرب ومعناها ايضاً في اللغة السامية
الاصلية « الغرييون » وكانوا يسمون بلادهم « مات عريبي » أي بلاد الغريين أو
بلاد العرب وبما أن تلك البلاد صحراء بادية صار لفظ « عرب » في اللغات السامية
يدل على البادية ايضاً ومنها تدرج في العبرانية والاعرابي في العربية كما تقدم .
وبهذا المعنى اسمهم المصريون القدماء ايضاً « شاسو » أي البدو أو أهل البادية
كما سيأتي

ويشبه ذلك ما حدث في مصر لهذا العهد فانهم يعبرون عن الشمالي عندهم بالبحري

لان البحر في شمالي بلادهم وعن الجنوب بالقبلي ومدلوله في الاصل جهة قبلة الكعبة .
ومنها تسمية شرقي الدلتا بالشرقية وأهلها شرقاوية وما يليها الى الغرب « الغربية »
ويسمون اهل شمالي افريقيا مغاربة لانهم في غربي بلادهم
تلك كانت عادة القدماء في تسمية الامم بمساكنهم بالنظر الى غروب الشمس أو
شروقها . ولذلك كان العبرانيون يسمون العرب « أهل المشرق » 'צָרָא דְּמַגְרָא لان مقامهم
في تلك البادية يقع شرقي فلسطين

أقسام تاريخ العرب

اصطلح مؤرخو العرب ان يقسموا تاريخ العرب قبل الاسلام الى قسمين : العرب
البائدة والعرب الباقية . ويريدون بالبائدة القبائل القديمة التي بادت قبل الاسلام .
والباقية عندهم قسمان (١) العرب القحطانية من حمير ونحوها من أهل اليمن وفروعها
(٢) العرب العدنانية في الحجاز وما يليها . واختلف نظر الباحثين في العرب من هذا
القبيل اختلافاً كثيراً لا فائدة من ذكره

وقد تبين لنا بدرس أحوال العرب وتاريخهم من اقدم ازمانهم الى ظهور الاسلام
انهم مروا بثلاثة أدوار كبرى . كانت السيادة في الدور الاول أو القديم لقبائل القسم
الشمالي من جزيرة العرب واكثرهم من العرب البائدة . وفي الدور الثاني المتوسط
كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي واكثرهم من القحطانية . والدور الثالث
أو الاخير عادت السيادة فيه الى الشمال وينتهي بظهور الاسلام واكثر قبائله من
العدنانية . فلا بأس اذا تابعنا القدماء في تقسيمهم مع ما يقتضيه ذلك من التعديل في
أثناء الكلام

فنقسم هذا التاريخ الى ثلاث طبقات

(١) العرب البائدة أو عرب الشمال في الطور الاول

(٢) القحطانية أو دول الجنوب

(٣) العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني

فنتقدم للكلام في كل منها

الطبقة الاولى

العرب البائدة

أوعرب الشمال في الطور الاول

يقول العرب أن هذه الطبقة تشتمل على عاد وثمود والعمالة وطسم وحديس واميم وجرحم وحضرموت ومن ينتمي اليهم ويسمونهم العرب العاربة وانهم من ابناء سام - قال ابن خلدون « وكان لهذه الامم ملوك ودول في جزيرة العرب وامتد ملكهم فيها الى الشام ومصر في شعوب منهم ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة القرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين . ثم كان لكل فرقة منهم ملوك واطام وقصور الى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان » ^(١) وقال في مكان آخر « ان قوم عاد والعمالة ملكوا العراق » ^(٢)

واذا تدبرت ما نقله العرب عن القبائل البائدة رأيتهم يقسمونهم الى قسمين العماليق من نسل لاوذ بن سام وسائر القبائل البائدة من نسل أرم بن سام ^(٣) قال ابن خلدون « كان يقال عاد أرم فلما هلكوا قيل ثمود أرم فلما هلكوا قيل عمرو أرم فلما هلكوا قيل سائر ولد أرم ارمان » ^(٤)

فالعرب يعدون العرب البائدة ساميين من نسل أرم أي آراميين الا العمالة فيقولون انهم من نسل لاوذ بن سام أخي أرم ويقولون انهم ملكوا العراق « بابل » ثم نزحوا منها الى جزيرة العرب . فهذا القول على اختصاره يوافق خلاصة ما وصلنا اليه بعد النظر في ما اكتشفه العلماء في بابل واشور من النقوش أو قراؤه في كتب اليونان وغيرهم .

وايضاحاً للموضوع نقدم الكلام في العمالة لانهم في اعتقادنا أصل سائر العرب البائدة أو هو اسم يشملهم جميعاً

(١) ابن خلدون ١٨ ج ٢ (٢) ابن خلدون ٢٥٩ ج ٢ (٣) حرة ١٢٢ و ١٢٨

(٤) ابن خلدون ٧٨ ج ٢

العمالقة

يريد المؤرخون بالعمالقة قدماء العرب وخصوصاً أهل شمالي الحجاز مما يلي جزيرة سيناء الذين فتحوا مصر باسم الشاسو (البدو أو الرعاة) ويسمىهم اليونانيون « هيكسوس ». وأصل لفظ « العمالقة » مجهول والغالب في نظرنا أنهم نحتوه من اسم قبيلة عربية كانت مواطنها بجهات العقبة أو شماليها حيث كان العماليق على قول التوراة ويسمىها البابليون « ماليق » أو « مالوق »^(١) فاضاف اليها اليهود لفظ « عم » أي الشعب أو الامة فقالوا « عم ماليق » أو « عم مالوق » فقال العرب عماليق أو عمالقة ثم أطلقوه على طائفة كبيرة من العرب القدماء فجاءناهم بهذه التسمية وقد تقدم ان النسابين يرجعون بانساب العرب البائدة الى ارم وينسبون العماليق الى أخيه لاوذ وهم في خلاف كثير من هذا القبيل . وسنعول على ما شهدته التاريخ من أحوال هذه الامة وما كان لها من السلطان في ذلك العهد . وكان للعمالقة دولتان كبيرتان احدهما في العراق والاخرى في مصر

العمالقة في العراق

اقدم من ذكر سيادة العرب على العراق كاهن كلداني اسمه بروسوس من أهل القرن الرابع قبل الميلاد عاصر الاسكندر وبعض خلفائه . وكان عالماً باللغة اليونانية فنقل تاريخ بلادها وجعل كتابه هدية الى انطيوخوس ملك سوريا . وقد ضاع ذلك الكتاب وانما عرفه الناس من نصوص نقاها عنه ابولودوروس وبوليسنور من أهل القرن الاول قبل الميلاد وعنهما نقل اوسابيوس وسندسوس . ويبدأ بروسوس تاريخه بالحليقة حتى ينتهي الى ايامه . وقد وضع للدول التي توالى على ما بين النهرين جدولاً هذا نصه :

اسم الدولة	عدد ملوكها	سنة حكمهم
دول قبل الطوفان	١٠	٤٣٢ ٠٠٠
دول بعد الطوفان	٨٦	٣٤ ٠٨٠
دولة مادي	٨	٢٢٤

دول أخرى	(ضاعت أرقامها)	
دولة الكلدان	٤٩	٤٥٨
دولة العرب	٩	٢٤٥
دولة الاشوريين	٤٥	٥٢٦

وقد انتقد المؤرخون هذا الجدول لما في قسمه الأول من المبالغات وغدثوه خرافياً
الآ كلامه عن دولة مادي وما بعدها فقد عدوه تاريخياً . وفي جملة ذلك دولة العرب
التي يقول بروسوس ان عدد ملوكها تسعة وسني حكمها ٢٤٥ سنة تأتي بعد دولة الكلدان
وتنتهي بدولة الاشوريين . ودولة العرب المشار اليها توافق ما يسميه المؤرخون الآن
الدولة البابلية الأولى او دولة حمورابي نسبة الى حمورابي الشهير أكبر ملوكها وصاحب
أقدم كتب الشريعة في العالم ^(١) والممول عليه اليوم ان حمورابي هذا من أهل القرن
الثالث والعشرين قبل الميلاد . وبروسوس لم يذكر دولة العرب بتفصيل يدل على كيفية
تسلطها على بابل بالفتح او بالصلح او بالغزو

وللمستشرقين أقوال في دولة حمورابي هذه هل هي دولة العرب التي ذكرها
بروسوس ؟ واختلفت آراؤهم في ذلك . وقبل التقدم الى ابداء رأينا في هذه الدولة
نذكر فذلك من تاريخ تلك البلاد وأحوالها في أول أمرها

حكومة ما بين النهرين قديماً

كانت حكومة ما بين النهرين قديماً أقرب الى شغل الاقطاع منها الى الدولة
المنظمة فكانت تقسم الى امارات او مشيخات تفصل بينها مجاري الماء او الجداول أو
الاقنية المشتقة من الفرات ودجلة تتألف كل مشيخة من هيكل وكنة عليهم رئيس
يسمونه « باتيسي » هو الحاكم وصاحب الاقطاع وتحت نائب يباشر الحكومة وله قصر
او قصور لخاصته من الشرفاء وحول تلك القصور أكواخ او بيوت صغيرة يقيم فيها
العمال والفلاحون . وتسمى تلك « المملكة » الصغيرة باسم اله ذاك الهيكل . فكان
في ما بين النهرين عشرات او مئات من أمثال هذه المشيخات او الممالك الصغيرة يتفاوت
رؤساؤها قوة وسطوة بتفاوت مواهبهم . فيتفق ان يطمع أحدهم بحيرانه ويكون فيه
الاستعداد للفتح فيغلب على بعضهم او كلهم وينشئ دولة يذيع خبرها ويبقى ذكرها ^(٢)

فيصبح ذلك الرئيس ملكاً عاماً تعرف دولته باسم اله هيكله وتبقى سائر المشيخات او الامارات او الممالك الصغيرة مستقلة بامورها الدينية تحت سيطرته — ذلك كان شأن ما بين النهرين قبل تمدنها . فلما نزلها السومريون والاكاديون عمم كل منهما سطوته على احد قسميها الشمالي والجنوبي وفتحوا ما حواليهما

ولما جاءها الساميون نزلوا أولاً في القسم الشمالي منها ثم الجنوبي وانتشروا انتشاراً كثيراً . ثم نبغ سرجون الاول سنة ٣٨٠٠ ق م واستقل بمملكة بابل هو وابنه نرام سين . ويؤخذ من نصب اكتشافه هناك في العام قبل الماضي . ان هذا الملك سامي العنصر لانه كتب فتوحه بلغة سامية . فيكون الساميون قد شاركوا السومريين في الحكم من ذلك العهد البعيد (١)

وامتدت سلطة سرجون وابنائيه من بلاد الفرس في الشرق الى البحر المتوسط وجريزة سيناء في العرب واسم هذه الجزيرة عندهم مغان (او ممان) . ولسرجون هذا في آثار بابل حكاية عن ولادته ونشوته تشبه قصة موسى . وارتقت بابل في ايامه ارتقاء عظيماً وتوالى عليها بعده ملوك ودول لا عمن لذكراها هنا حتى ضعف امر السومريين فاتيح الساميين الاستبداد في السلطة . وأول ملوكهم اسمه « سامو ابي » أي « سام ابي » أو « ابن سام » هو رأس دولة حمورابي او الدولة البابلية الاولى

دولة حمورابي

او الدولة البابلية الاولى

من سنة ٢٤٦٠ ق م - ٢٠٨١ ق م

استولى سامو ابي اولاً على شمالي بابل نحو سنة ٢٤٦٠ ق م وكان جنوبها يومئذ في حوزة ملك عيلامي . وخلف سامو ابي ابنه « سامو ليلا » وانتقل الى بابل فاتخذها كرسياً لمملكته وهو اول من فعل ذلك . وتوالى بعده خلفاؤه من امرته كما سيأتي حتى أفضى الملك الى حمورابي وهو سادسهم فناهض العيلاميين في الجنوب وعليهم ملك اسمه في آثار بابل « كدرلاقر » وهو « كدرلاعومر » التوارة . والظاهر ان كدرلاعومر فتح بابل اولاً ثم غلبه حمورابي في السنة الثلاثين من عمره وذهب بدولة

العيلاميين ثم مشى حمورابي بفتوحه غرباً الى البحر المتوسط ودخلت آشور في حوزته. وخلف حمورابي ملوك من اشرته آخرهم « شمشوديتانا » خرجت السيادة منه الى دولة أخرى حكمت ٣٦٨ سنة ثم دولة القاصية Kassites سنة ١٨٠٠ ق م وفي ايامها خرجت سوريا وفلسطين من سلطة بابل واستقلتا . واستقلت آشور بحكومتها. واول من استقل بها رؤساء حكومتها

وكانت بابل عاصمة غربي آسيا لا يثبت امير على امارته الا بعد ان يشخص اليها وينال التصديق انه « ابن بعل » كما أصبحت رومية بعد انحلال المملكة الرومانية وبنفاد في أواخر الدولة العباسية . وفي أثناء ذلك قامت بين آشور وبابل منازعات تغلبت فيها آشور سنة ١٢٨٠ ق م ففتح تغلات تذيب بابل وأصبحت من ذلك الحين ولاية آشورية. وأخيراً دخلت آشور كلها في ساطة كورش الفارسي سنة ٥٣٨ ق م ^(١)

فالآراميون الذين نزلوا بادية العراق والشام تسرب بعضهم الى العراق على جاري العادة في تغذية المدن من نتاج البادية وتحضروا وتولى بعضهم الملك في الالف الرابع قبل الميلاد ^(٢) وظل سائرهم في البادية غربي الفرات تستعين بهم الدولة عند الحاجة وامتازوا عن اخوانهم المتحضرين باسم أهل الغرب (عمورو ثم عربي) كما تقدم : واختلفت لغة المتحضرين منهم عن لغة البدو كما اختلفت لغة العرب الذين نزلوا الشام ومصر بعد الاسلام عن لغة الذين ظلوا في البادية

وفي اواسد الالف الثالث قبل الميلاد دخل الآراميون في دور جديد فتدرجوا في الرقي بما امتازوا به من النشاط فحازوا الارضين وملكوا الاقطاع وفي جملة المالكين « سموابي » جد عائلة حمورابي فاستعان بابناء قبيلته في توسيع دائرة سلطته . وفعل خلفاؤه فعله حتى امتد لواء سلطانهم على معظم المدن العامرة في غربي آسيا وعرفت دولتهم بالدولة البابلية الاولى وعدد ملوكها ١١ ملكاً حكموا ثلاثة قرون بين القرن ٢٤ و ٢١ قبل الميلاد وهذه أسماء ملوكها ومدة حكمهم ^(٣)

اسم الملك	مدة حكمه	من سنة ق م	الى سنة ق م
ساموايي	٣١	٢٤١٦	— ٢٣٨٥
ساموليلو	١٥	٢٣٨٥	— ٢٣٧٠

(١) Ency Brit. ed. London, suppl. art. Babel (٢) King, 228

(٣) Maspero, Hist. Anc. II, 27

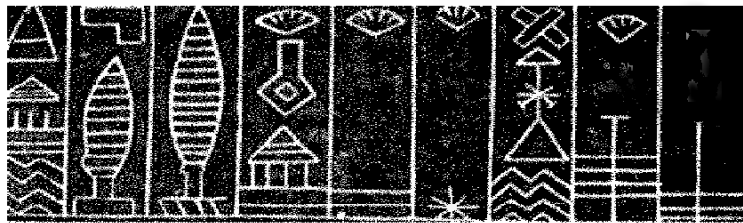
٢٣٣٥	—	٢٣٧٠	٤٥	زابوم
٢٣١٧	—	٢٢٣٥	١٨	اميل سين
٢٢٨٧	—	٢٣١٧	٣٠	سينموبليت
٢٢٣٢	—	٢٢٨٧	٥٥	هورابي
٢١٩٧	—	٢٢٣٢	٣٥	شمسوايلونا
٢١٧٢	—	٢١٩٧	٢٥	ايشوع
٢١٤٧	—	٢١٧٢	٢٥	عمي ديتانا
٢١١٣	—	٢١٤٧	٣٤	عمي صادوقا
٢٠٨٢	—	٢١١٣	٣١	شمسوديتانا
				(المجموع) ٣٣٤



ش ٣ - هورابي بين يدي اله الشمس

هذا ما اورده ماسيرو عن ملوك هذه الدولة وقد خالفه كلاي في بعض التفاصيل من حيث مدات الحكم^(١) مما لا يعتد به بالنظر لما نحن فيه وفي اثناء هذه الدولة ظهر ابراهيم الخليل وهاجر من اور الكلدانيين . وقد بلغت قمة مجدها في ايام حورابي فانه كان فاتحاً عظيماً ومصلحاً كبيراً ومن جملة البلاد التي فتحها « سومر » او « شومر » أي بلاد السومريين فصار من جملة ألقابه « ملك بابل وشومر » فذهب بعضهم لذلك ان حورابي هذا هو « امرافيل » ملك شنعار الوارد ذكره في الاسحاح الرابع عشر من سفر الخليفة لتقارب اللفظ والمعنى لان حورابي تكتب ايضاً « امورابي » « وامورافي » . وشومر تقلب الى « شينار » او شنعار بسهولة^(٢) والزم من متقارب بين الملاكين

كان السومريون قبل هذه الدولة قد اتخذوا ديناً ووضعوا شريعة واخترعوا كتابة ولهم لغة خاصة . فلما غلبهم الحورايون اقتبسوا تمدنهم ونظاماتهم كما فعل العرب المسلمون بعدهم بدولة الفرس . وكان الحورايون في اول دولتهم يستخدمون اللغة السومرية في المكاتبات ثم اهلوها بالتدريج حتى ذهبت وذهب معها العنصر السومري^(٣) وبقي العنصر السامي كما تقلب العنصر العربي بمصر والشام بعد الاسلام بتغلب اللغة العربية . ولكن الحورايين استبقوا الخط السومري وهو القلم المساري لانهم استخدموه في تدوين لسانهم وزادوا فيه احرفاً لم تكن في السومرية



ش ع - القلم المساري القديم على عهد السومريين لا يزال شكله سورياً وكان القلم المذكور في أصل وضعه سورياً مثل الهيروغليف المصري كما ترى في الشكل الرابع ثم تشوّه شكله بالاستعمال وباستخدام المسامير في طبعه على الطين فصار على هذه الصورة

اما المسلمون فاهملوا الاقلام التي كانت شائعة قبلهم في العراق وفارس والشام ومصر وهي الفهلوي والكلداني والقبطي وغيرها ونشروا قلماً حملوه معهم كان يستخدمه عرب مشارف الشام وأعلى الحجاز هو الحرف النبطي وتكيف بتوالي الاجيال حتى صار الى الحرف العربي المعروف وعم العالم الاسلام العربي وغير العربي اما تمدن السومريين فاقبسه الحورابيين وورقوه وزادوا فيه كما فعل المسلمون بتمدن الروم والفرس واكثرهم عناية في ذلك حورابي فانه جمع الشرائع ونظمها وبوبها فعرفت باسمه وقد رتبها في ٢٨٢ مادة وجدوا نسخة منها سنة ١٩٠١ في بلاد السوس منقوشة بالحرف المسماري على مسلة من الحجر الاسود الصلب طولها سبع اقدام وتدل تلك الشريعة على تقدم تلك الامة في سلم الاجتماع الى ارقى ما بلغت اليه تلك العصور ولا سيما في شروط الزواج والطلاق والتبني والارث. واليك خلاصة ذلك :

نظام الاجتماع

﴿ طبقات الناس ﴾ كان الناس في ذلك العصر ثلاث طبقات الاحرار والعبيد وطبقة متوسطة بينهما عبرنا عنها بالموالي على نحو ما كان عليه العرب في صدر الاسلام فان المولى عندهم ارقى من العبد وادنى من الحر. واسم المولى عند البابليين « ماشنكك » وفسرها الاب شاييل المستشرق الشهير بما يقابل لفظ « مسكن » العبرانية ومعناها صعلوك او فقير (مسكين) وقد يتبادر الى الذهن انهم يريدون بهذه الطبقة من الناس العامة غير الاشراف والكننة وأبنائهم يعبرون عن العامة بلفظ آخر هو في لسانهم « مار اومية » أي ابن الامة او الصانع . فربما كان اقرب الى ما يعبر عنه عند الرومان بلفظ (Plèbe) على ان المولى عند البابليين كان يقتني العبيد ويملك الارضين وقد يتزوج من بنات الاحرار ولكنه احط منزلة وافل مسؤولية منهم في نظر القضاة . فالجروح اذا مات من جرح وكان حراً فالدية نصف من فضة واذا كان مولى فالدية ثلث من فضة . واذا عاج طبيب مريضاً وشفي على يده وكان حراً دفع عشرة شواقل فضة واذا كان مولى دفع خمسة شواقل او كان عبداً فشاقلين . واذا كسر احد عظم رجل حراً يكسر عظمه فاذا كان المكسور عظمه مولى يغرم الضارب مناً من الفضة واذا كان عبداً فنصف من وقس على ذلك . ويشبه هذا ما كان عليه اليهود في عصر التوراة فقد ذكروا لهم ثلاث طبقات الاحرار والعبيد وطبقة بينهما يسمونها بالعبرانية (جرّ او غرّ) وقد ترجموها بلفظ « غريب او اجنبي وكثيراً ما كان اهل التقوى من اليهود يسمون انفسهم بهذه الكلمة مضافة الى اسم الله او انلك فيقولون مثلاً « غرّ ملك » او « غرّ عشتروت » على نحو ما يراد من قولنا عبد الملك او

مولى اللات . ولكن الماشنكك عند البابليين أرقى في الحياة الاجتماعية من الفرعنداليهود
 ﴿ المرأة والزواج ﴾ العادة في الامة المؤلفة من طبقات متباينة ان أهل كل طبقة
 تتزوج فيما بينها ويندر ان يحصل الزواج بين طبقة وأخرى الا ما قد يقتضيه الاحرار
 من الجوارى على سبيل التملك . ولكن يؤخذ من شريعة حمورابي ان العبيد عند
 البابليين قد يتزوجون من بنات الاحرار زيجة شرعية ولكن يظهر ان ذلك خاص
 بعبيد القصر المملوكي أو من مجرى مجراهم . والزواج في كل حال لا يعتبر نافذاً عندهم
 الا بعقد مكتوب شأن أرقى الامم المتقدمة اليوم . والمحافظة على الحقوق الزوجية شرط
 واجب . وعقاب الزنا القتل ذبحاً أو غرقاً الا اذا التجأت المرأة الى رجل آخر وزوجها
 غائب في أسر واپس عندها ما تقتات به فان شريعتهم تحبذ لها المعيشة في بيت ذلك
 الرجل عيشة الزوجين حتى اذا عاد زوجها من اسره عادت اليه واذا كانت قد ولدت
 اولاداً من ذلك تركتهم له . أما اذا كان غياب الزوج فراراً من الحرب أو نحوه فاذا
 عاد لا ترجع اليه امرأته رغيباً في الشجاعة

ومن شروط الزواج عندهم ان الرجل يقدم للفتاة مالاً من قبيل المهر الشائع في
 الشرق يسمونه « حق العروس » اي ثمنها وهي تأتي من بيت أبيها بمال يسمونه المهر
 (الدوطة) . فكان البابليين ألفوا في حقوق الزواج عندهم بين عادات الشرق والغرب .
 والمهر وحق العروس كلاهما للمرأة ويحفظان باسمها الى حين الحاجة . واذا لم تتزوج
 الفتاة تأخذ ١١ من أبيها كأنه حق مفروض لها منذ الولادة . واذا لم تأخذ مهرها فلها
 سهم في الارث وكذلك حق العروس للساب فانه يعين للغلام من صغره ليقدمه الى
 عروسه عند زواجه

والطلاق عندهم في يد الرجل فاذا أراد تطليق امرأته وقد ولدت اولاداً دفع اليها
 مهرها وقال لها أنت طالق فتطلق . ولكنها تتولى تربية اولادها بنفسها ولها في مقابل
 ذلك حصة من دخل زوجها . فاذا شب اولادها استولت على سهم مثل اسهمهم من
 الارث واذا لم يكن له اولاد منها دفع اليها حق العروس وارجع اليها المهر وطلقها . على
 ان المرأة اذا ابتضت زوجها لا يعجزها طلاقه بالحق فانها تقول له « لست لك » ويتقاضيان
 الى البكاهن أو القاضي فاذا كان زوجها مخطئاً اخذت مهرها ورجعت الى بيت أبيها
 واذا كانت دعواها افتراء تطرح في الماء . والرجل ليس مطلق الحرية في الطلاق فهو
 لا يستطيع تطليق امرأته اذا كانت مريضة بل يتزوج سواها اذا أراد وتبقى هي في
 بيته باقي حياتها وهو يعولها . واذا ابت البقاء في بيته دفع اليها مهرها واعادها الى
 بيت أبيها

والزواج وثيق العرى عند البابليين فان الزوجين حقوقهما متبادلة وواجباتهما مشتركة وكل منهما مسئول عن الآخر حتى في الحقوق المدنية . فاذا كان على احدهما دين فلا آخر مسئول به . فاذا تأخر الرجل عن وفاء دين عليه قبض الدائن على امرأته حتى تفيه . وكذلك المرأة اذا كانت مديونة وعجزت عن الدفع فالدائن يقبض على زوجها حتى يفيه حقه ولو كان الدين قبل الزواج . الا اذا تعاهد الزوجان ان لا يسأل احدهما عما على صاحبه من الدين قبل الاقتران . أما الدين الذي يحدث بعد الزواج فحما متضامنان فيه

وليس للرجل عندهم أن يقتني سرية الا اذا لم تلد امرأته اولاداً فاتخاذ السرية لاجل النسل فقط ولذلك فالمرأة قد تأتي الى زوجها بجمارية تلد اولاداً فلا يجوز له حينئذ ان يقتني سرية . على ان الجارية ولو ولدت له اولاداً فليس لها حقوق الزوجة ولا منزلتها واذا ادعت ذلك فلمولاتها ان تكبلها بالحديد وتعيدها الى منزلة الاماء . فالمرأة عندهم مساوية للرجل في الحقوق تمناعى كثيراً من أعماله التجارية والزراعية فضلاً عن أشغالها المنزلية وهي تنظم في سلاك الكهان . وكهانة النساء عندهم أربع درجات (١) الكهانة الكبرى ولا يشترط فيها البتولية ولا تمنع الكهانة من مهرها الذي هو حق لها من بيت أبيها واسم كهانة هذه الدرجة في اللغة البابلية « نينان » أي السيدة المقدسة ويشترط في سيرتها الطهارة والقداسة ولذلك كانت الحكومة تحميها وتدافع عن صياتهن (٢) كهانة العذارى واسمها « كالآتي » وليس لصواحبها مهر من آبائهن (٣) الكهانة المقدسة ويشترط فيها البتولية فصواحبها لا يتزوجن ويستولين على ثلث سهم الولد من الارث (٤) النذر لمروداخ فصاحبة النذر المذكور كالـكهانة المقدسة لكنهما ترث من أبيها ارثاً كاملاً

﴿ التبنّي ﴾ كان التبنّي شائعاً عند البابليين في عصر حمورابي فاذا لم يرزق احدهم اولاداً وكان في نفسه ميل الى البنين لغرض من الاغراض اخذ من بعض الوالدين طفلاً يريه عنده ويتبناه . ولهم في التبنّي شروط حسنة من جملة رعاية حرمة الوالدين فاذا تبني احدهم غلاماً ثم أذى ابويه يرجع الغلام الى بيت أبيه . ويشترط في ثبوت حق التبنّي ان يسمى الولد باسم الوالد الجديد فاذا رباها ومماها باسمه لا يسترجع . واذا كان المتبنّي صانعاً فعليه ان يعلم الولد صناعته فاذا فعل ذلك فالولد له . واذا تبني الرجل ابناً ومماها باسمه ثم تزوج الرجل وولد له اولاد وأراد ان يخرج ذاك الولد من بيته فلا يستطيع ذلك الا اذا اعطاه ثلث حصة الولد من مال أبيه غير المقار على ان الرجل عندهم كان يتبرأ احياناً من ابنه لصلبه ولكنه لم يكن يستطيع ذلك الا بين يدي القاضي

فيقول القاضي « انا اتبرأ من ابني » فينظر القاضي في الاسباب فاذا لم يجد مسوغاً لرفض الطلب واذا وجد مسوغاً اجل الحكم لعل الاب يرجع عن عزمه فاذا لم يرجع اجاز له التبرؤ منه . واولاد الرجل من جاريته لا يكونون اولاده شرعاً الا اذا دعاهم اولاده فاذا قبل ذلك كان لهم ما لاولاد الزوجة من حقوق الارث واذا لم يدعهم فلا يرثون ولكنهم يعتقدون

﴿ الارث ﴾ لا يميز البابليون في حق الارث بين الذكر والانثى ولكن للوالد ان يمنع بعض اولاده من الارث اذا ثبت ما يستدعي ذلك على انهم كانوا يختلفون عن سائر الامم بمسألة المهر وحق العروس . فان الرجل اذا ولد له اولاد فاول ما يفعله ان يفرض للذكور حق العروس وللاناث المهر (الدوطة) فمن تزوج منهم في حياة والده اخذ حقه أو مهره فاذا توفي الاب فلا نزاع من اولاده ان يستولوا على حق العروس او المهر فضلاً عن اسهمهم من الارث . ثم ان المهر الذي تأتي به المرأة من بيت ابيها يكون ملكها وحدها ويورث على مقتضى ذلك . فاذا تزوج رجل امرأة وولدت له اولاداً وتوفيت فمهرها لاولادها واذا توفيت ولم تلد اولاداً فالمهر يرجع لابيها وليس لزوجها . والهبة كانت عندهم نحو ما هي عندنا الآن فاذا وهب الاب شيئاً لحد أو لاده ثم مات فتقسم تركته على الاولاد وتبقى الهبة لصاحبها

التجارة ونظام الحكومة والعالم

﴿ التجار ﴾ والتجارة كانت عندهم قانونية بمقود وصكوك وعندهم شروط للرهن وانوديعة مما لا يقل عما عند الامم المتعدنة اليوم مع مراعاة حال تلك الايام . فالبيع بلا عقد باطل والدين بلا صك لغو . ومن شروط اقتضاء الدين عندهم اذا عجز المدين عن تأدية ما عليه ان يقبض الدائن على امرأة المدين وأولاده فيخدمون في بيته حتى يستوفي حقه فاذا لم يفوه يخدمون ثلاث سنوات ثم يطلقون

وما يعد من حسنات التجارة في ذلك العهد البعيد ان الحكومة هي التي تتولى تسعير السلع أو تقدير اجور الصناع واصحاب المهن حتى الاطباء والبيطرة فقد فرضت للطبيب اجرة وللبناء اجرة وللنجار اجرة والقت عليهم تبعة ما يقع على يدهم من الخطر أو الضرر فالطبيب اذا عالج مريضاً يسكن من معدن فالتلف عينه بها تقطع يده والبناء اذا بني بيتاً وسقط على صاحبه فقتله يقتل البناء . واذا سقط البيت ولم يقتل صاحبه بناء البناء من ماله واذا بنى النجار سفينة جاءت مختلة فهو مسئول عن تصليحها وقس على ذلك اجور الرعاة والملاحين والدواب والسفن وغيرها مما يطول شرحه وكانت ادارة الحكومة منظمة في عهده هذه الدولة وفيها برید لضبط المواصلات وممراتها

وقد كشفوا في آثار زيارا انقاض مدرسة لتعليم الاطفال وهذه أول مرة سمعنا بمدرسة مثل هذه في التمدن القديم اي منذ اربعة آلاف سنة وكان فيها (قرמידات) عليها دروس للاطفال والاحداث في الحساب والهجاء وجداول الضرب ومعجمات ونحوها (١) واكتشفوا كثيراً من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار والقرايميد واكثرها للحواري وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية . ومن اكبر ادلة الرقي في ذلك العهد ان المرأة كانت متمتعة بحريةها واستقلالها مثل نساء هذا التمدن وكن يتعاطين المهن القلبية وانخرط جماعة منهن في خدمة الدواوين والمصالح الاميرية (٢)



ش ه - انقاض مدرسة حورائية منذ ٤٠٠٠ سنة

فاذا صح ان هذه الدولة عربية كما سنبينه في الفصل الآتي كان العرب اسبق اعم الارض الى سن الشرائع وتنشيط العلم وانهم بلغوا في نظام الاجتماع ما لم يبلغ اليه معاصروهم وادركوا من الرقي الاجتماعي ما لا يزال بعض الامم المتقدمة في هذا العصر بعيدين عنه وما زالت الدولة البابلية الاولى (الحورائية) قائمة حتى غلبت على امرها كما تقدم نخرج بعض اهل الدولة فراراً من ذلك الغالب الى اخوانهم في جزيرة العرب وانشأوا في اليمن دولة عربية عرفت بدولة المميزين كان لها شأن كبير في تاريخ اليمن قبل دولة سبا وحير كما سيأتي كلامنا عن الطبقة النائية او العرب الفعطانية او دول الجنوب — يوافق ذلك قول العرب ان العماقة وغيرهم من العرب البائدة جاؤا جزيرة العرب من ابل لما زاحمهم فيها بنو حام (٣)

هل دولة حمورابي عربية

ان قولنا « دولة حمورابي عربية » لا يتبادر منه الى ذهن القارئ انه مثل قولنا « دولة الاسلام عربية » واذا صحت عربية تلك فلا يستلزم ان تكون لغتها مثل لغة القرآن ولا ان عاداتها وديانتها مثل ما لعرب قريش فان بين الدولتين ٢٧ قرناً والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالي العصور

لا خلاف في ان دولة حمورابي سامية الاصل ولكنهم اختلفوا في نسبتها الى فرقة من الفرق السامية وعندنا انها من بدو الاراميين وهم عرب ذلك العصر او العالقة والادلة على ذلك :

١ : ان بروسوس مؤرخ الكلدان ذكر بين الدول التي حكمت بابل دولة سماها « عربية » وذكر عدد ملوكها وسني حكمها كما تقدم . ودولة حمورابي اقرب دول بابل عهداً من الزمن الذي عينه بروسوس للدولة العربية . وعدد ملوكها وسنو حكمها تقربان مما لتلك فقد ذكر لتلك الدولة تسعة ملوك حكموا ٢٤٥ سنة وظهر من الآثار ان ملوك دولة حمورابي ١١ ملكاً حكموا ٣٣٤ سنة والفرق بين الحاليين اقل من الفرق بين قول العرب عن دولة حمير وبين ما ظهر من احوالها بعد قراءة الآثار الحجرية في اليمن

٢ : ان سكان بادية العراق كانوا يعرفون عند اهل بابل باسم « عمورو » أي ابناء المغرب . وهذا الاسم يشمل كل من سكن غربي الفرات من الامم السامية وفيهم الآراميون في الشام وبدوهم في باديتهما . وفي التاريخ القديم ان السكنعانيين اكتسحوا فلسطين في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وأخرجوا أهلها الاصليين ووافق ذلك نزول بدو الآراميين وانشاء تلك الدولة فيها واسمهم عمورو كما تقدم ثم سموهم « عربيي » ومعناها أهل المغرب ايضاً . والطبري يسمي جد العالقة « عرب »

٣ : ان بين لغة بابل التي خلفتها دولة حمورابي في ما بين النهرين واللغة العربية مشابة لا توجد بينها وبين سائر اللغات السامية — منها اولاً حركات الاعراب (الرفع والنصب والجر) فلها في لغة بابل كما هي في العربية تماماً ولا وجود لها في سائر اللغات السامية قديماً ولا حديثاً الا آثاراً منها في لغة بطرا وتدمر^(١) لان أهلها

(١) Encey. Brit XXI 651 art. Sem.

من بقايا العمالقة وسيأتي بيان ذلك . ثانياً التنوين فانه في البابلية ميم وفي العربية نون وهما تبدلان . ثالثاً علامة الجمع في البابلية « ون » كما في العربية وهي « ين » في السريانية و « يم » في العبرانية . رابعاً صيغ الافعال في البابلية أقرب الى الصيغ العربية مما الى سائر اللغات السامية . خامساً ان بعض الاسماء التي سقطت بعض حروفها بالاستعمال في السريانية والعبرانية لا تزال محفوظة في البابلية كما في العربية مثل « انف » فانها كذلك فهما وقد سقطت نونها في العبرانية والسريانية و « عنب » فانها بالنون في العربية والبابلية وبدونها في العبرانية والسريانية . ومما يستحق الالتفات ان معظم هذه الخصائص تشترك فيها العربية والبابلية (الاشورية) دون اللغة السريانية او الكلدانية مع ان هذه متخلفة عن البابلية . ولكن يظهر ان الكلدانية فقدت هذه الخصائص بتوالي الاجيال بالحضارة وحفظها العرب لبداوتهم . لان اللغة مع خضوعها لناموس الارتقاء في التنوع والتغير فهي أحفظ لنفسها في البادية مما في المدن بل هي تتغير بالانتقال من البداوة الى الحضارة وليس بتوالي الازمان عليها ^(١)

٤ : ان اسماء ملوك هذه البائدة عربية التركيب والمعنى مثل « ساموابي » أي « ابي سام » و « شمسو ايلونا » أي الشمس هما ^(٢) وقد عثروا في آثار هذه الدولة يابل على اعلام كثيرة تشبه الاعلام العربية مشابة كاية لفظاً ومعنى . ولا يخفى ما لهذا الدليل من قوة الحجة لان كل امة تمتاز بتسميات خصوصية وتعرف جنس الرجل من معرفة اسمه فاذا كان اسمه نقولايديس او قسطنطينديس مثلاً عرفنا انه يوناني واذا كان اسمه فرحيان او لكيجيان او كركور عرفنا انه ارمني . وبمثل ذلك نعلم ان وطسن وجكسن وروبرتسن من اسماء الانكليز ووستنفيلد وشيلرونيوفلد من اسماء الجرمان وبازيه وهاشت وفلاماريون من اسماء الفرنسيين . حتى انك تعرف مسقط رأس الرجل من اسمه . وعلى هذا القياس نحكم على عربية دولة حمورابي اذا كانت اسماء رجالها عربية وهذا جدول من اسماءهم وما يقابلها من الاسماء العربية في اليمن وغيرها ^(٣)

Dussaud, 108 (١)

King, 240 (٢)

Babylonian Expedition vol. III (٣)

الاسماء البابلية	يناباها في العربية	أي الامم العربية
ابي يشوع	ايشع	سبأ
عمي زادوقا	عم صدق	سبأ
يدح ايلو	يدع ايل	»
شمسو	شمس	» والصفا
عبد ايل	عبد ايل	»
عبدو	عبد	»
خليلو	خليل	»
يديح	يدع	»
يديحت	يدعت	»
اخي ود ايل	ود ايل	»
عزيرو	عزرائيل	»
ملك ايلو	ملك ايل	»
نفسان	نفس	»
بلال	بلال	عدنان
د، بك	مدركة	»
نكارو	نكور	»
قرانو	قرين	»
صمصمة	صمصمة	»

٥ : ان معبودات البابليين كثيرة الشبه في اسمائها واسماء الذين ينتسبون اليها باقدم آلهة العرب في اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع كما ستفصله في كلامنا عن اديان العرب قبل الاسلام

٦ : ان الحمورايين اتخذوا بابل قصبة لمملكتهم على حدود البادية قرب المسكان الذي اختاره الاخمينيون كرسياً لدولتهم « الحيرة » بعد ذلك بنحو ثلاثين قرناً والماكن الذي اختار العرب المسلمون في ايام بداوتهم « الكوفة » عملاً برأي عمر حتى « لا يكون بينه وبين المسلمين ماءً فاذا أحب ان يركب راحته اليهم ركبها »

العلاقة في مصر

أودولة الشاسو (هيكسوس)

من سنة ٢٢١٤ — ١٧٠٣ ق م

الساميون في مصر

من الاقوال الشائعة ان سكان وادي النيل القدماء من الشعوب الحامية نسبة الى حام او كوشية نسبة الى ابنه كوش كما كان سكان وادي الفرات ودجلة من الشعوب الطورانية . وقد نشأ الساميون في البادية بين هذين الوادين كما تقدم وأخذوا يتسربون اليهما والى العامر بينهما على شواطئ البحر المتوسط في سوريا وفلسطين وتدرجوا في ذلك من التسرب الى المهاجرة فالفتح والاستيلاء في بابل وفلسطين والشام اما مصر فقد نزع الساميون اليها من عهد قديم جداً . ويؤخذ من الاكتشافات الأثرية الأخيرة ان العصر الحديدي بمصر يبدأ بدخول الساميين اليها . أي ان المصريين قبل دخول الساميين لم يكونوا يعرفون الآلات الحديدية . فانهم الساميون بالحداثة في اقدم ازمنة التاريخ المصري ولعالم حملوا اليهم ذلك من وادي الفرات عن تمدن سومري الاصل اكتسبه الساميون بالجاورة قبل فتح بابل وحملوه الى مصر . ولما استدلون به على قدم نزوح الساميين الى مصر ان اقدم الهة المصريين « فتاح » سامي الاصل ^(١) جاء الساميون بمصر من الشرق اما بطريق برزخ السويس أو بالبحر الاحمر ولذلك ما برح المصريون منذ القدم يسمون بلاد العرب « الارض المقدسة » أو « ارض الآلهة » وعرفوا من الساميين عدة شعوب سموها كلها منها باسم واطلقوا عليهم جميعاً لفظ « عامو » أو « آمو » وهو سامي الاصل معناه الشعب (الامة أو العامة) وذكروا انهم نزلوا أطراف الدلتا وشرقيها بجوار بحيرة المنزلة . ولا تزال بعض الاماكن هناك تعرف باسماء سامية ^(٢) وفي هيلوبوليس (عين شمس) أدلة كثيرة على أصل سامي في عمرانها ^(٣) . وكانوا يميزون الشعوب السامية باسماء خاصة منها « خار » أو « خال » يريدون به الفينيقيين

وكانوا يسمون أهل البادية من الساميين « شاسو » أي البدو وهم العرب والعربي

(١) King, 40, 43 & 93 (٢) Brugsch, I, 14 & 230 (٣) King 134

عند البابليين والمعنى واحد . وكان الشاسو ينتقلون في بادية مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر كما ينتقل فيها بدو هذه الايام . وكان المصريون القدماء يسمون هذه البادية « تشر » أي الارض الحمراء تميزاً لها عن وادي النيل واسمه « كيكي » الارض السوداء ^(١) ولم يكن الشاسو يقتصرون في مضاربهم على تلك الصحراء بل كانوا يزحلون بينها وبين جزيرة سيناء وما وراءها وربما اتصلوا باخوانهم بدو العراق لانهم جميعاً من أصل واحد و « شاسو » و « عرب » بمعنى واحد

وكان للعرب في جزيرة سيناء وما يليها سيادة وحكومة من أقدم أزمنة التاريخ . فقد جاء في آثار بابل ان زرام سين بن سرجون المتقدم ذكره حارب قبيلة في تلك الجزيرة واسمها مغان سنة ٣٧٥٠ ق م واسر اميرها وحمل بعض أحجارها ^(٢) الى بلده . وجاء في تلك الآثار ايضاً ان رجال هذه القبيلة كانوا يشتغلون بنقل التجارة برّاً الى بابل نحو سنة ٢٥٠٠ ق م ^(٣) وكذلك قبيلة ماليق المتقدم ذكرها . ويظهر ان الشاسو كانوا قبل نزولهم بادية مصر يقيمون في أرض مديان وراء جزيرة سيناء لان لفظ الشاسو يطابق ايضاً على تلك الارض وهي قديمة في التاريخ جاء ذكرها في آثار بابل سنة ٣٧٥٠ ق م

دولة الشاسو

فهؤلاء البربر (أو الرعاة) كانوا ينتقلون في شرقي وادي النيل كما كان بدو الاراميين ينتقلون في شرقي وادي الفرات وكان الشاسو كثيراً ما يسطون على المصريين في مدنهم او يقطعون عليهم السابلة للغزو والنهب من عهد مينا اول ملوكهم ^(٤) والمصريون يدفعون هبماتهم وبعدونهم من الاشقياء واهل الدعارة والسلب ويحتقرونهم اكنهم كانوا يخافونهم وكثيراً ما كان الفراعنة يستعينون بهم في حروبهم بعضهم على بعض لما كانوا يعرفونه فيهم من الشدة والشجاعة مثل سائر أهل البادية

ظل الشاسو دهوراً على ما تقدم حتى سنحت لهم فرصة وثبوا بها على مصر وملكوها . وكيفية ذلك ان سنهات بن امنمحت ملك مصر لما مات ابوه في أواخر الدولة الثانية عشرة المصرية فرّ الى فلسطين من وجه أوسرتسن الذي خلف أباه . وقبلما كان المصريون يخرجون من وادي النيل قبل ذلك الحين . وتزوج سنهات هناك ابنة ملكها عموانشي وتولى بعض أعمال الشام . ولما شاخ سنهات نال المقو وعاد الى بلده

(١) Brugsch, I. 16 (٢) King, 158 (٣) Grimme, II

(٤) Brugsch, I. 51

نجر ذلك الى علائق متبادلة بين البلدين . ففي عهد أوسرتسن الثاني شخص الى مصر ملك عربي اسمه ايدشع وزار خنومت أمير ولاية أورينكس في مصر الوسطى وترى ذلك منقوشاً على قبر هذا الملك في بني حسن . وبعد قليل خرج أوسرتسن الثالث لفتح فليمطين انتقاماً من ملكها فتحاكت المصالح وتقم الساميون جملة على المصريين فاغتنم العمالقة هذه الفرصة ووثبوا على مصر السفلى وملكوها بضعة قرون نحو الزمن الذي تملك به العرب بابل

فهي نهضة عربية منذ نصف واربعة آلاف سنة تشبه نهضة العرب في صدر الاسلام - واللام أدوار تثب فيها وتعلب . فاغتنم العمالقة ضعف دولة النيل ودولة القرات كما اغتنم المسلمون ضعف الروم والفرس بعد ذلك بثلاثين قرناً . وكانت مصر على عهد الشاسو مضطربة وحكامها في ضعف وانقسام كما كان الروم في أواخر دولتهم . ووجد الشاسو في مصر السفلى من ينصرهم من أبناء لسانهم « الحار » أو الفينيقيين كما وجد المسلمون في الشام والعراق من الامم السامية المغلوبة على أمرها كالانباط والعبرانيين . ففتح العمالقة الوجه البحري الى منف وتقهقر الفراعنة الى الصعيد في أوائل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وما زالت مصر في حوزتهم الى أول القرن الثامن عشر وعرفت دولتهم بدولة البدو واليونان يسمونهم هيكسوس Hyksos والعرب يسمونهم العمالقة أو العرب البائدة وأما ما يعلمه العرب من اخبارهم فهو « ان بعض ملوك القبط استنصر ملك العمالقة بالشام لعنده واسمه الوليد بن دوح ويقال ثوران بن اراشة بن قادان بن عمرو بن عملاق فجاء معه وملك مصر واستعبد القبط ومن ثم ملك العماليق مصر ويقال ان منهم فرعون ابراهيم وهو سنان بن الاشل وفرعون يوسف وهو الريان بن الوليد وفرعون موسى وهو الوليد بن مصعب . وذكر آخرون ان الريان بن الوليد يسميه القبط تقراوش وان وزيره كان اطفير وهو العزيز صاحب قصة يوسف الخ . » (١) . فهذه الرواية مع اختلاطها واختصارها تشبه ما قرأوه على الآثار عن الفرصة التي ستمتحت للعمالقة حتى وثبوا على مصر

هل الشاسو عرب

أول من نبه الاذهان الى أن الشاسو المشار اليهم عرب يوسفوس المؤرخ الاسرائيلي المتوفى في أواخر القرن الأول للميلاد نقلاً عن ماثيون المؤرخ الاسكندراني المتوفى في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد بعرض كلامه عن نشوء دولة الشاسو قال :

« واتفق على عهد تياوس احد ملوكنا ان الاله غضب علينا فاذن لقوم لا يعرف اصلهم جاؤا من الشرق وتجاسروا على محاربتنا وغلبونا على بلادنا واذلوا ملوكنا واحرقوا مدننا وهدموا هياكلنا وآلهتنا وساموا الناس ذلاً وخسفاً فقتلوا الرجال وسبوا النساء والاولاد ثم نصبوا عليهم ملكاً منهم اسمه « سلاطيس » اقام في منفيس وضرب الجزية على مصر اعلاها واسفلها واقام الحامية في المعقل لدفع الاشوريين عن وادي النيل اذا طمعوا به وبني مدينة اوارس في ولاية صان لهذه الغاية وحصنها بالابراج والقلاع والاسوار . واكثر من حاميها حتى بلغ عددهم ٢٤٠ ٠٠٠ وكان سلاطيس يأتي اليها في الصيف لجمع الحنطة ودفع رواتب الجند وتمريضهم بالحرب . وبعد ١٣ سنة من حكمه خلفه ملك اسمه ييوس وحكم ٤٤ سنة وجاء بعده اباخناس حكم ٣٦ سنة وسبعة اشهر ثم ابوفيس ٦١ سنة ويانياس ٥٠ سنة وشهراً واخيراً حكم اسيس ٤٩ سنة وشهرين . وهؤلاء الستة اول من حكم من ملوكهم ولم يكفوا عن تخاربة المصريين لانهم كانوا يلتمسون ابادتهم . وكانت هذه الامة تسمى هيكسوس Hyksos اي ملوك الرعاة لانها مؤلفة من « هيك » باللغة المقدسة ملك و « سوس » « راعي » ولكن البعض يقولون انهم عرب » (١)

ويرى بروكش ان لفظ هيكسوس ترد في الاصل الهيروغليفي الى لفظين هيك وشاسو الاول ملك والثاني « بادية » او « بدو » وان الهيكسوس هم البدو الذين كانوا ينتقلون في اجراء الشرقية أي العرب ولم يعثروا على اسم هذه الدولة في الآثار المصرية ولا وقفوا الا على النزر القليل من آثارها . وجاء في الآثار ان اقواماً غرباء تسلطوا على مصر السفلى حتى اخرجهم ملوك طيبة وكانوا يسمون بلغة العامة « مين » او « منتي » من بلد اسمها بلسانهم « اشر » ويريدون بها الشام ولكنها اقرب الى اشور . اما في اللغة المقدسة (الهيروغليفي) فاسمهم روتنو او لوتنو وهم اهل الشام في اصطلاحهم . فالظاهر ان تلك الدولة كانت مؤلفة من الشاسو والفينيقيين وغيرهم من اهل الشام وكانهم ساميون وربما كان فيهم فرقة من عمالقة العراق

ولا خلاف في ان العنصر السامي تكاثر بمصر على عهد الشاسو من اليهود وغيرهم ولكن سلطتهم انحصرت في الوجه البحري وظل المصريون متسلطين في الصعيد كما ظل الروم بعد الفتح الاسلامي متسلطين في القسطنطينية وقد سنحت للفراعنة فرصة اخرجوا فيها العماليق من بلادهم ولم يستطع الروم ذلك مع المسلمين . والارجح في

(١) Josephus, Wars of the Jews, I. 19

اعتقادنا ان العماليق لم يتوارثوا الحكم بمصر وانما كانوا يتناهبونه على غير نظام . وربما اقتسم الساميون تلك السيادة فاستولى الفينيقيون وهم من حضر الساميين (خار) على منازلهم بجوار المزالة واستولى العماليق وهم بدو الساميين على اطراف الدانا . ولم يصل اليها من امماء ملوكهم الا الذين عاصروا العائلة الخامسة عشرة وواحد من السادسة عشرة وواحد من السابعة عشرة ذكرهم مانيشون مع سني حكمهم على هذه الصورة :

اسم الملك	مدة الحكم	اسم الملك	مدة الحكم
سلاطيس	١٣ سنة	يانياس	٥٠ سنة
بيون	٤٤ »	اسيس	٤٩ »
اباخناس	٣٦ »	ابابي الاول	٠٠ »
ابوفيس	٦١ »	ابابي الثاني	٠٠ »

وكانت مصر السفلى لا تزال عرضة للفيضان يغمرها الماء كل عام وتعطل بها الاعمال ولم يستطع المصريون اخراجهم منها ولا كنهم منعوم من الصعيد وهي اكثر عمراناً وثروة . ولم يقبض الشاسو على لتمدن المصري كما قبض اخوانهم الجورايون عمالة العراق على التمدن السومري أو الاكادي . ولم يكن لهم تأثير في العمران المصري كما كان لاولئك قبلهم وكما كان للعرب المسلمين بعدهم

وقد عني الدكتور بروكش المشار اليه في درس هذه المسألة وخلاصة ما رآه ان الملوك الغرباء الذين يسميهم المصريون « منتي » حكموا شرقي مصر مدة طويلة وقصة ملكهم زوان وهوار واواريس على فرع بلوسيوم ر فيها حصونهم وقد تطبع اولئك الغرباء بطباع المصريين واقتبسوا عاداتهم وتكلموا لسانهم وكتبوه وقلدوهم بنظام الحكومة وكانوا يحبون العمارة فاستخدموا المصريين في بناء المدن على النمط المصري الا تماثيل كبرائهم فجعلوا لها شرفاً في الرأس والذقن وغيروا لباسها وكانوا يعبدون الاله نوب والالهين ست وسوتخ وسموه نوب (الذهب) وهو عند المصريين اصل الشرور وبنوا لها في زوان واواريس معابد فخمة ونحتوا التماثيل بشكل ابي الهول وغيره على حجارة من الصوان . وكانوا يؤرخون من زمن ملك لهم اسمه (نوب) فبلغ تاريخهم بعده ٤٠٠ سنة واقتبس المصريون من مخالطة العمالة معارف كثيرة ولا سيما من حيث الابنية فأخذوا عنهم اشكالا جديدة وبعد ابي الهول المجنح من مبتكراتهم على ان الآثار التي وقت للناس من بقايا هذه الدولة قليلة ولعل السبب في ذلك ان

الفراعنة الذين جاءوا بعدهم محوا أسماءهم عن تلك الآثار إلا اسمين قرأوها « رعاً كنن من عائلة أبوبي و « نوبتي » أو « نوب » ومعه موظف اسمه « ست اليهوئي » فالاسم الاول ينطق بلغة ممفيس « افوفي » يقرب بلفظه من ابوفيس الذي ذكره مانيتون . ومع غموض أخبار هذه الدولة وفق المرحوم دي روجيه حل رموز قطاعة من البردي في المتحف البريطاني هي مخبرة بين أبوبي المذكور ونائب من نوابه مصري جاء فيها انتقاد هذا الملك لانه اختار « ست » الاله للمعبادة دون سواء وتكريم سوتخ وانه اجبر الوطنيين على اداء الخراج في حديث طويل أورده بروكش^(١) ويؤخذ من ابجاث بروكش ايضاً ان يوصف الصديق جاء مصر في زمن نوب سنة ١٧٥٠ ق م وان في أيامه حدثت المجاعة

فالرعاة أو الشاسو ساميون بدليل ما تقدم وبما عثروا عليه من الاسماء السامية المنقوشة على الآثار في عهدهم ودخول الفاظ سامية اخذوها عن اليهود وغيرهم وادخلوها في لسانهم كالرأس والسكان والبركة والبيت والباب وغيرها ومن أسماء الحيوانات الجمل والفرس ومن أسماء الناس عديروما وبعل مهور وبيت بعل وغيرها — لكننا نرجح كونهم عرباً للأسباب الآتية :

- ١ : ما ذكره يوسفوس نقلاً عن مانيتون كما تقدم
- ٢ : ما رواه العرب في كتبهم عن عمالة مصر وقد نقلناه
- ٣ : ان هيك شاسو كانوا يظنون معناها ملوك الرعاة ثم وجدوا انها « ملوك البدو أو كنية »^(٢) وهم العرب
- ٤ : ورد في الآثار المصرية ان الهيكسوس جاؤا قديماً من بلاد العرب
- ٥ : ان الاسماء التي كانت الساميون يعرفون بها تنتهي بالضم وهي حركة الاعراب للرفع مثل قولهم عامو ولوتنو وشاسو وذلك خاص من اللغات السامية بالعربية والبابلية
- ٦ : ان المصريين لم يكونوا يستخدمون الخيل والمركبات الا بعد دولة الرعاة^(٣) والعرب انما غلبوهم بها^(٤)
- ٧ : ان المصريين ما زالوا بعد خروج العمالة من بلادهم وهم يناصبونهم العداء ويخرجون اليهم في أرضهم كما فعل رمسيس الثاني وتحتمس . والعرب كانوا يهاجمونهم

(١) Brugsch, I. 274 (٢) Brugsch, II. 102 (٣) Maspero, II. 51

(٤) king, 140

في بلادهم وبضايقونها بغزواتهم وكلما استنصرهم فأنح على مصر نصروه كما فعلوا بنصرتهم
الفرس

وجملة القول يرجح ان عمالة العراق ومصر من بدو الآراميين او اللاوذيين .
فاذا صح ان مهد الساميين جزيرة العرب فهم من جملة من نزح منها الى الشام والعراق
في الزمن القديم وظلوا على بداوتهم في الصحراء . واذا كان منبت الساميين ما بين
النهرين أو غيرها فالساميون وجدوا في القرن الاربعين او الخمسين قبل الميلاد في
بوادي الشام والعراق وسينا ومصر فسكن بعضهم المدن وظل البعض الاخر بدواً
حتى اتبع لهم الاستيلاء على العراق في القرن ٢٥ ثم مصر في القرن ٢٣ ق م .
وكان المصريون قبل العمالة محصورين في بلادهم لا يعرفون عن سائر العالم شيئاً
فاصبحوا بعد خروجهم اصحاب خيل ومركبات فحملوا على سوريا وفلسطين وجزيرة
العرب وبابل كما سنذكره

بقايا العمالة

بعد خروجهم من العراق ومصر

لما خرج عمالة العراق من بين النهرين وعمالة مصر من وادي النيل تفرقوا في
جزيرة العرب قبائل وانحاذاً وانشأوا دولاً في اليمن والحجاز وسائر جزيرة العرب
ومنها القبائل البائدة وهم الذين يعرفهم العرب . او لعل هذه القبائل من بدو الآراميين
الذين لم يدخلوا العراق ولا مصر وهي ترجع بانسابها الى ارم . واهم القبائل البائدة
عند العرب عاد وثمود وطسم وجديس . ونضيف اليها دولاً ذات شأن لم يعرفها العرب
نعتي الانباط خلفاء الادوميين في جزيرة سينا الى فلسطين ودولة تدمر بين الشام
والعراق كما سيأتي

عاد

وارم ذات العماد

عاد من الامم الآرامية ولذلك سميت أيضاً « عاد ارم » وجاء ذكرها في القرآن
« عاد ارم ذات العماد » فالتبس على المؤرخين لفظ « ارم » وظنوا ذات العماد صفة
له فزعموا انه اسم مدينة بناها عاد اختلفوا في مكانها . فقال بعضهم انها الاسكندرية

وقال آخرون دمشق وربما ذهبوا الى ذلك أيضاً لان ارم من اسماء دمشق
بالعبرانية . وذهب غيرهم انها في اليمن وانت شداداً ابن عاد بناها لينافسها
قصور الذهب والفضة في الجنة التي تجري من تحتها الانهار - قالوا انه كتب الى
عماله أن يجمعوا جميع ما في أرضهم من الذهب والفضة والدر والياقوت والمك والعنبر
والزعفران فيوجهوا به اليه . ثم وجه الى جميع الممادين فاستخرج ما فيها من الذهب
والفضة ثم وجه ثلاثة من عماله الى الغواصين فاستخرجوا الجواهر فجمعوا منها أمثال
الجبال وحمل جميع ذلك اليه ثم وجهوا الحفارين الى معادن الياقوت والزرجد وسائر
الجواهر فاستخرجوا منها أمراً عظيماً فأمر بالذهب فضرب أمثال اللبن ثم بنى بذلك
المدينة وأمر بالدر والياقوت والجزع والزرجد والعقيق ففصص به حيطانها وجعل
لها غرفاً من فوقها غرف بعمد جميع ذلك بإساطين الزرجد والجزع والبازنات ثم
أجرى تحت المدينة وادياً ساقه اليها من تحت الارض أربعين فرسخاً كهيئة القناة
العظيمة ثم أمر فاجرى في ذلك الوادي سواقٍ في تلك السكك والشوارع والازقة
وأمر بحافتي ذلك النهر وجميع السواقي فطابت بالذهب الاحمر وجعل حصاه أنواع
الجواهر بألوانه ونصب على حافتي النهر والسواقي أشجاراً من الذهب مثمرة وجعل
نمرها من تلك اليواقيت والجواهر وجعل طول المدينة ١٢ فرسخاً وعرضها مثل ذلك
وصير سورها عالياً وبني فيها ٣٠٠٠٠٠ قصر مرصفة ومرصمة وبني لنفسه في وسط
المدينة على شاطئ ذلك النهر قصراً منيعاً يشرف على تلك القصور . وجعل بابها
بشرع الى الوادي ونصب عليه مصراعين من ذهب مفضضين بأنواع اليواقيت وأمر
بأخذ بنادق المسك والزعفران فألقيت في تلك الشوارع . وجعل ارتفاع تلك البيوت
في جميع المدينة ٣٠٠ ذراع والسور ٣٠٠ ذراع مفضضاً خارجه وداخله بأنواع
اليواقيت وغيرها وبني خارج السور كما يدور ٣٠٠٠٠٠ منظره بلبن الذهب لينزلها
جنوده مكث في بنائها ٥٠٠ عام (١)

ففي هذه الاقوال مبالغات لم يسمع بمثلا في المعقولات وإنما عمدوا اليها لاعتقادهم
ان « ارم » مدينة ورأوا ابنية الروم في الشام والقراغة بمصر فارادوا ان تكون مدينة

عاد أعظم منها وأنخم . والصحيح في اعتقادنا ان « ارم » اسم القبيلة فقالوا عاد ارم كما قالوا ثمود ارم^(١) والقبائل البائدة كلها عند العرب من نسل ارم ويعرفون بالارمان^(٢) كما تقدم . ويؤيد ذلك ان اليونانيين ذكروا في جملة قبائل اليمن حوالي تاريخ الميلاد قبيلة يكتبونها باسمهم Adramite وقد يتبادر الى الذهن ان المراد بها « حضرموت » ولكن هذه يكتبونها باليونانية Xaramot وباللاتينية Charamotite وقد أوردوا ثلاثة مآ . فلو ارادوا قبيلة واحدة لما ذكروها معاً فالارجح ان Adramite يراد بها العادريون او العاديون

والعرب يضربون المثل بقدم عاد ويريدون انها أقدم من العماقة ولا سبيل الى تحقيق ذلك لان ما ذكروه عنها محشو بالمبالغات والخرافات كقولهم ان طول الرجل منهم ٧٠ ذراعاً الى مئة ذراع ورأس أحدهم كالقبة العظيمة وعينه تفرخ بها السباع . ولم يذكروا من ملوكها الا بضعة أولهم عاد قالوا انه عاش ١٢٠٠ سنة وانه تزوج الف امرأة وولد له اربعة آلاف ولد ذكر اصلبه . واعتدل بعضهم فجعل عمره ٣٠٠ سنة ولا تخاف هذه الخرافة من حقيقة فالظاهر ان العرب كانوا يسمعون بقدم هذه الامة ولا يعرفون من ملوكها الا نفرأ قليلاً فجعلوا أعمارهم طويلة لتسع ذلك القدم وترتب على طول أعمارهم تعدد الزوجات

ويقال نحو ذلك في ما ذكروه من أعمار خلفاء عاد وهم شديد وشداد . والى شداد هذا ينسبون أعظم أعمال هذه الدولة ويقولون انه فتح كثيراً من بلاد الشام والعراق ومصر والهند قولا مبهماً لم نجد في أخبار تلك الامم ما يؤيده او لملمهم يريدون بهاد بعض العماقة . والقرآن ذكر عاداً في سياق العبرة بما أصابهم من القصاص لتكذيبهم هوداً وهو نبي منهم دعاهم الى عبادة الله وترك ما كانوا يبدونه من الحجارة والاشخاب قابوا قاصبهم فحط ثلاث سنوات عقبيه زوابع وأعصار نزلت بهم فاهدكهم والقصة ملخصة في سورة الاعراف . وبقي هود وجماعة ممن آمن بدعوته أقاموا حيناً وعرفوا بهاد الثانية ويزعمون انهم هم الذين بنوا سد مأرب وظل حكمهم الف سنة

(١) ابن خلدون ٧١ ج ٢ (٢) حزة ١٢٢ و ١٢٨

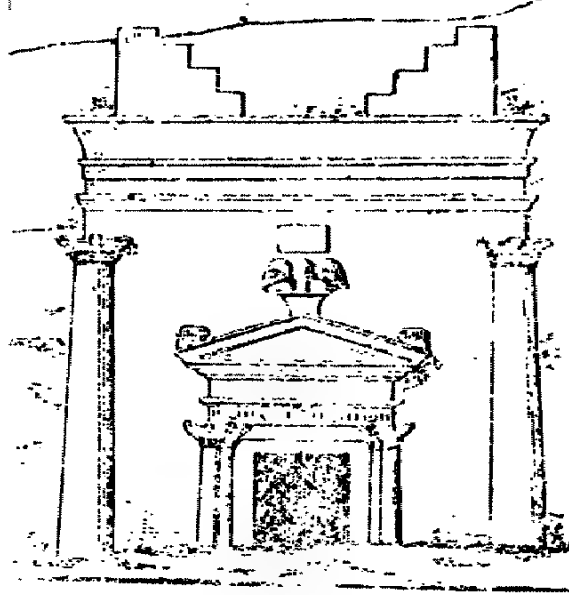
حتى غلبهم القحطانية فليجأوا الى حضرموت حتى انقضوا (١)
وعثر النقبون في آثار بلاد العرب على تنف من بقايا كثير من الدول القديمة
وعرفوا كثيراً من أحوالهم الا عاداً فانهم لم يروا لها ذكراً . على ان العرب
تعودوا اذا رأوا اطلالا قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها ان يسموها « ثادية »
وجاء في معجم ياقوت بمادة جش قوله « جش ارم جبل عند آجا احد جبلي طيء
أملس الاعلى سهل ترعاه الابل والحير كثير السلاء وفي ذروته مساكن لمعاد ارم
فيه صور منحوتة في الصخر » وقال في مادة صير « والصير جبل بأجا في ديار
طيء كهوف شبه البيوت » ولعل بين تلك النقوش وهذه البيوت نسبة فعمى أن
يوفق الرواد الى كشفها وقراءتها كما قرأوا مثلها في حوران والملاء ومعدان صالح
وتبما واليمن

نمود

ذكرت نمود في القرآن مع عاد لان المراد بهما واحد من حيث العبرة والموعظة
فبعد ان ذكر خبر عاد عطف على نمود فقال « والى نمود أخاهم صالحاً قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من الله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية مذكروها
تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وإن كنوا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصوراً وتسكنون الجبال بيوتاً
فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال للملاء الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لمن آمن منهم اذلمون ان صالحاً مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فمقرروا الناقة وعتوا عن أمر
ربهم وقالوا يا صالح مائتنا بما تمدنا ان كرت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في
دارهم جائعين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربِّي ونصحت لكم ولكن
لا تحبون الناصحين »

(١) وترى قصة عاد مطولة في ابن خلدون ٤ - ٢ وبقوت ٢١٢ ج ١ واني امدت

هذا خبر ثمود ولم يزد المؤرخون عن ان وسعوه وشوهوه بمبائعات لا قائدة من ذكرها. والمشهور في كتب العرب ان ثموداً كان مقامها في الحجر المعروفة بمداين صالح في وادي القرى بطريق الحاج الشامي الى مكة وقد وصلت السكة الحديدية الحجازية الى الحجر في سنة ١٩٠٧ وكان اليهود يسكنونها قبل الاسلام^(١)



ش ٦ - قصر البنت في الحجر (مداين صالح)

على ان ارتباطها بماد يقتضي تقاربهما بالمكان ولذلك قالوا ان ثموداً كانت في اليمن قديماً فلما ملكت حمير اخرجوها الى الحجاز^(٢) ولم يكشف لنا حتى الآن ما يؤيد هذا القول . وذكرت ثمود في جملة البلاد التي غلبها سرجون الاشوري سنة ٧١٥ قم^(٣) في الحجاز ويؤخذ من سياق الوصف انها كانت بجوار مكة اي جنوبي الحجر وجاء ذكرها في كتب اليونان نحو تاريخ الميلاد وبعده وعينوا مكانها في الحجر وهم يسمونها ثموديني Thamudeni والحجر يسمونها Agra . وبجانب الحجر مكان يسميه العرب فج الناقة فسماء بطليموس Badanata وذكر أبو اسماعيل ضاحب كتاب فتوح الشام ان ثموداً ملأوا الارض بين بصرى وعدن^(٤) فلعلها كانت في طريق هجرتها

(١) البكري ٣٠ (٢) ابو الفداء ٧٠ ج ١

(٣) Clay, 338 (٤) فتوح الشام لابن اسماعيل ٢٥٠

نحو الشمال ولا يخرج الحكم في ذلك عن التخمين
وأما الثابت من قراءة الآثار ان مدائن صالح (الحجر) دخلت قبيل تاريخ الميلاد
في حوزة النبطيين سكان بطرا الآتي ذكرهم بدليل ما على اطلال تلك المدائن من
الكتابة النبطية . والاطلال المشار اليها زارها غير واحد من المستشرقين كما ذكرنا في
مقدمة هذا الكتاب ودرسوا بقاياها وهي منقوشة في الصخر اهمها انقاض تعرف
بقصر البنت وقبر الباشا والقلمة والبرج

وقرأوا ما عليها من النقوش البدائية فاذا اكثرها أو كلها تبركات منقوشة على
القبور . هذا مثال منها وجدوه في الحجر بالحرف النبطي وتاريخه حوالي الميلاد :
« هذا القبر الذي بنته كم-كم بنت وائلة بنت حرم وكلية ابنتها لانفسهن وذريتهن
في شهر طيبة من السنة التاسعة للحارث ملك النبطيين محب شعبه فمسي ذو الشرى
وعرشه (?) واللات وعمند ومنوت وقيس تلعن من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه
أو يخرج منه جثة أو عضواً أو يدفن فيه أحداً غير كم-كم وابنتها وذريتها ومن يخالف
ما كتب عليه فيلغمه ذو الشرى وهبل ومنوت خمس اعنات ويغرم الساجر (?) غرامة
مقدارها الف درهم حارثي الا من كان بيده تصريح من يد كم-كم او كلية ابنتها بشأن
هذا القبر والتسريح المذكور يجب ان يكون صحيحاً . صنع ذلك وهب اللات بن عبد
عبادة » (١)

فليس في أمثال هذه النصوص اهمية تاريخية الا بالنظر الى اسماء الاعلام الواردة
في عرض الكلام ولم يقفوا على ما يستحق الذكر منها حتى الآن . واللغة المنقوشة
على اطلال الحجر آرامية مثل لغة بطرا وسنعود الى الكلام عنها في كلامنا عن
الدولة النبطية لانها ليست لغة نمود نفسها . أما نمود فاذا كانت من عرب الجنوب
فيقتضي أن تكون لغتها قريبة من لغة اليمن وكتابتها بالحرف المسند الذي كان يكتب
به أهل اليمن القدماء وقد وجدوا تنوعات من هذا القلم في أماكن مختلفة من الحجاز
منقوشة على الحجارة في العملاء جنوبي الحجر بتاريخ اوائل الميلاد (٢) فرأوا في بعضها

(١) Cooke, 220 (٢) Dussaud, 66 & Litman, Mith 1904

اسماء ملوك لحيان فسموها لحيانبة وسموا البهض الآخر وهو يختلف قليلاً عن ذاك تمودية . وعثروا على كتابات لفرع ثالث من المسند في جبل الصفا بحوران فسموه صفويًا . فهذه فروع للخط المسند لاشك ان اهلها قدموا الحجاز وحوران من اليمن وسنعود الى ذلك

غير اننا نستدل من وجوه هذه الكتابة قرب الحجر على ان اهل ذلك المكان اصلهم من اليمن ولا يمكن الجرم بتاريخ هذه الكتابات لان ما وقفوا عليه منها لا يشفي غايلاً والناس يتوقعون من التوسع في حلها واكتشاف غيرها كشف كثير من غوامض هذه الدولة ويظن غلاذر ان لحيان بقية عمود (١)

طسم وجديس

ان هذين الاسمين مقترنان في تاريخ العرب افتران عاد وعمود والاكتشافات الاثرية لم تصل اليهما بعد فمكتفي بما يستنتج من كلام العرب واليونان عنهما . وهما من ارم مثل سائر العرب البائدة (٢) وذكر انهما سكنتا اليمامة في شرقي نجد وقصبتها القرية وطسم صاحبة السيادة . ظلوا على ذلك برهة من الزمان حتى انتهى الملك في طسم الى رجل ظلوم غشوم قد جعل سنته ان لا تهدي بكر من جديس الى يملها حتى يدخل هو عليها . ولما طال ذلك على جديس انفقوا منه واتفقوا على ان دقنوا سيوفهم في الرمل وعملوا طعاماً للملك دعوه اليه فلما حضر في خواصه من طسم عمدت جديس الى سيوفهم وقتلوا الملك وغالب طسم . فهرب رجل من هؤلاء الى تبع ملك اليمن قيل هو حسان بن اسعد شكوا اليه ما فعلته جديس بملكهم واستنصره فسار ملك اليمن الى جديس ووقع بهم قافناهم فلم يبق لطسم وجديس ذكر (٣)

هذه خلاصة تاريخ هاتين الامتين ويتخلل ذلك حديث عن امرأة من جديس اسمها زرقاء اليمامة كانت تبصر على مسافة ثلاثة ايام وانها لما حمل تبع على جديس طلبوا اليها ان تكشف لهم عن القوم فانباهم بقدمهم فلم يصدقوها ثم تحققتوا صدقها

(١) Glaser, Geo. 124 & 230 (٢) الدينوري ١٣ (٣) ابو الفداء ١٠٥ ج ١

أما عصر هذه الدولة فيؤخذ من قناتها على يد تبع حسان أنها بادت في أوائل القرن الخامس للميلاد . وذكر جغرافيو اليونان في جملة قبائل شرقي بلاد العرب قبيلة سموها Jodisitae ولعلمهم يريدون Jodisitae بسهولة ابدال اللام اليونانية من الذال لتقاربهما بالصورة وهي جديس

ولها تين الامتين آثار قلاع اشار ياقوت الى بعضها وهي المشقر قال انه قلعة من بناء طسم^(١) لها ذكر في أيام العرب . والمعنى اعظم قصور اليمامة من بناء طسم على اكمة مرتفعة قال فيه الشاعر :

أبت شرفات من شمس ومعنى لدى القصر منا ان تضام وتضهدا^(٢)
والشمس المذكور في البيت قصر آخر نخم من بناء جديس محكم البناء . وكان تلك البلاد بعد ان باد اهلها هجرت ثم عثروا على انقاضها صدفة وقد ذكر ذلك ياقوت في مادة حجر

ومن أشهر مدن طسم وجديس القرية في اليمامة ويقال لها خضراء حجر وهي حاضرة طسم وجديس فيها آثارهم وحصونهم وبتلهم الواحد بتيل وهو بناء مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين وقد رآه المسلمون في القرن الثالث أو الرابع وذكر أحدهم ان ادرك بتيلاً طوله ٥٠٠ ذراع ولعل زرقاء اليمامة نظرت جيش تبع من احدها^(٣) وفي اليمامة بلد اسمه جمدة فيه قصر يعبرون عنه بالعادي لقدمه ويذكرون انه من بناء طسم وجديس وانه حصن منيع^(٤) . ومن مدن اليمامة الحجر لطسم وجديس فيها آثار^(٥) والحجر بلغة أهل اليمن القرية فلعل حجر والقرية من أصل واحد^(٦)

وليس في أخبار سائر القبائل البائدة التي عرفها العرب ما يستحق الذكر لغموضه فتكلم عن دولتي الانباط وتدمر

— — — — —

(١) ياقوت ٤١ ج ٤٥ (٢) ياقوت ٥٧٩ ج ٤ (٣) الهمداني ١٤٠
(٤) الهمداني ١٦٠ (٥) ياقوت ٢٠٨ ج ٢ (٦) ياقوت ٩٥٢ ج ٤

دولة الأنباط

في مشارف الشام

هي دولة عربية لم يعرفها العرب ولا وجدنا لها ذكراً في كتبهم وإذا ذكروا الأنباط أرادوا بهم اهل العراق . وانما عرفنا خبرها من خلال ما كتبه اليونان عن البطالسة والسلوقيين والروم او من بعض اسفار الكتاب المقدس ومما وقف عليه النقابون من آثارها او قرأوه من اساطيرها على انقاض بطرا وغيرها من مدنها في حوران ومدائن صالح وغيرها

مقر هذه الدولة ومملكة ادوم

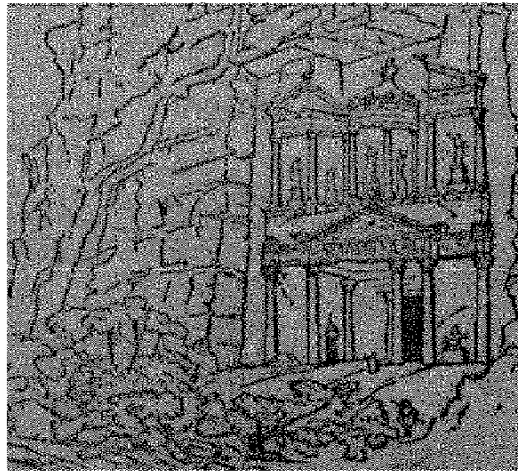
كان مقرها في الجنوب الشرقي من فلسطين تمتد من حدود فلسطين هناك الى رأس خانيج العقبة ويحدها من الغرب وادي العربا ومن الجنوب بادية الحجاز ومن الشرق بادية الشام ومن الشمال فلسطين طولها من الشمال الى الجنوب نحو مئة ميل وعرضها ٢٠ ميلاً . وهي نفس مملكة الادوميين وقد اختلفت سعتها باختلاف العصر ارضها صخرية فيها الجبال والشعب وكانت تسمى قديماً « بلاد الجبال » واليونان يسمونها العربية الحجرية Arabia Petra نسبة الى عاصمتها فان اسمها عندهم بطرا (الحجر) وهي ترجمة اسمها بالعبرانية فقد كان اليهود يسمونها سلاخ (سلاخ) وهو الحجر في لسانهم . اما مملكة ادوم كلها فكانت تعرف عند اليهود باسم « سحير » واليونان يسمونها « ايدوما »

اقدم من سكن العربية الحجرية الحوريون وهم سكان الكهوف القدماء ويسمى اليونان troglodytes ويؤيد ذلك ما في تلك الجبال من الكهوف الطبيعية او المنحوتة وبينها الهياكل والمدافن . ثم جاء الادوميون فغلبوهم على ما في ايديهم واقاموا مكانهم في زمن لا يعرف اوله لقدم عهده وقد جاء ذكره في سفر التكوين . وكان الادوميون قبائل او فرقاً على كل منها رئيس وفي التوراة اخبار متفرقة عن علائق الادوميين بالامريائيين الى ان حمل شاول على ادوم في القرن العاشر قبل الميلاد ولم يفر فوزاً تاماً فلما تولى داود حمل عليهم ودوخهم واقام في بلادهم حامية من جنده وجعل طريقه من اورشليم الى البحر الاحمر فيها فهان على ابنه سايمان الشاء فرضة على خليج العقبة يبني فيها السفن اذا اراد السفر الى اليمن او الحبشة او الهند . وهم قائد من الادوميين

في عهد سليمان بخلع الطاعة فلم يفاج فما زالوا تحت سيطرة الاسرائيليين الى ايام يهوذاقات خالفوا اعداءه واعانوهم على حربه فلم يفوزوا ولكنهم اغتنموا ضعف الاسرائيليين وطادوا الى الاستقلال . حتى اذا حمل نبوخذ نصر (بختنصر) على اورشليم كان الادوميون عوناً له على اهلها واشتركوا في نهبا وذبج اهلها فكافأهم نبوخذ نصر على نصرته بتأييد سلطتهم في ادوم وتوسيعها الى حدود مصر وشواطئ البحر المتوسط وبينما هم ينشرون سلطانهم غرباً داهمهم الانباط من الشرق واوغلوا في ادوم حتى ملكوها جميعاً وذهبت دولة الادوميين واندمج اهلها في الفاتحين وصاروا امة واحدة قالسأ الانباط هناك دولة عربية قبل القرن الرابع قبل الميلاد ظلت قائمة الى اوائل القرن الثاني بعده اذ دخلت في حوزة الرومان سنة ١٠٦ م

مدينة بطرا

هي قصبة الانباط ذكر سترابون انها مدينة صخرية قائمة في مستور من الارض تحيط به الصخور كالسور المنيع وليس وراءها غير الرمال المحرقة وهي واقعة في وادي موسى عند ملتقى طرق القوافل بين تدمر وغزة وخاييج فارس والبحر الاحمر واليمن . وقد عمرت في ابان دولة الانباط وكثرت فيها الابنية . فلما ذهبت الدولة تخرب معظمها وبقي منها الى الآن اطلال لا تفنيها الايام ولا يؤثر فيها الاقليم اعظمها خزنة فرعون



ش ٧ — خزنة فرعون في بطرا

وهي بناء شاخ منقور في صخر وردي اللون على وجهته نقوش وكتابات بالقلم النبطي

وبجانبها مرسح منقور في الصخر ايضاً يستطرق من هناك الى سهل واسع فيه عشرات من الكهوف الطبيعية او المنقورة . بعضها وجهات منقوشة وجدران اكثرها ظهوراً مكان يقال له « الدير » . وكانت هذه الكهوف مساكن الحوريين القدماء ويلجأ اليها اليوم بعض الفقراء فراراً من المطر او البرد
هي الرقيم عند العرب

ليست بطرا من بناء الانباط وانما هي مدينة ادومية جاء في سفر الملوك الثاني ص ١٤ ع ٧ انها كانت حصناً في ايام أمصيا سنة ٨٣٨ ق م والتوراة تسميها سلاع (الحجر) فلما صارت الى الانباط وعرفها اليونان سموها بطرا كما تقدم . أما العرب فليس لهذه المدينة ذكر في كتبهم وقد عثر بعض المعاصرين على لفظ (البتراء) في سياق غزوة النبي بني لحيان فتبادر الى اذهانهم انها بطرا التي نحن في صددنا ولكن المفهوم من مجمل الحديث (١) انها بقرب المدينة وبينها وبين بطرا الانباط نحو ٥٠٠ ميل . وفي بلاد العرب غير مكان يسمى « سلع » وهو يعني بطرا من جملة ما كان ذكر ياقوت انه حصن في وادي موسى (٢) فلعلة يريد بطرا هذه

ولكن العرب شاهدوا آثار هذه المدينة بعد الاسلام وسموها « الرقيم » وهو تعريب احد اسمائها اليونانية لان اليونانيين كانوا يسمونها ايضاً اركه « Arke » فترفع العرب وقالوا الرقيم وربما أرادوا بالرقيم خزنة فرعون على الخصوص . واشتهر هذا المكان في دولة بني امية وكان ينزل الخلفاء وفي جملة يزيد بن عبد الملك وفيه يقول الشاعر (٣)

امير المؤمنين اليك نهوى على البخت الصلادم والمعجوم
فكم غادرت دونك من جهيض ومن نعل مطرحة جـذيم
يزرن على تنائية يزيداً باكناف الموقر والرقيم
تهشمة الوفود اذا اتوه بنصر الله والملاك العظيم

ونظراً لما شاهدوه فيه من الابنية والاساطين والنقوش زعموا انه المكان الذي كان فيه اهل الكهف ورووا عنه اخباراً ذكرها المقدسي في كتابه « احسن التقاسيم » قال : « والرقيم قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية فيها مغارة لها بابان صغير وكبير يزعمون ان من دخل الكبير لم يمكنه الدخول من الصغير . وفي المغارة ثلاثة قبور تسلسل لنا من اخبارها ان النبي (صام) قال بينما نقر ثلاثة يتماشون اذ اخذهم

(١) ابن هشام ١٦٤ ج ٢ وياقوت والبكري مادة البتراء (٢) ياقوت ١١٧ ج ٣

(٣) ياقوت ٨٠٥ ج ٢

المطر قالوا الى غار في الجبل فانحطت الى فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم « ثم ذكر توسلهم الى الله بحسنات اتوها حتى افرج عنهم بمحدث طويل ^(١) لا محل له هنا وقال الاصطخري في وصفها « الرقيم مدينة بقرب البلقاء وهي صغيرة منحوتة بيوتها وجدرانها في صخر كانها حجر واحد ^(٢) . وقال المقرئ في عرض كلامه عن التيه « ان بعض الممالك البحرية هربوا من القاهرة سنة ٦٥٢ هـ فرت طائفة منهم بالتيه فتاهوا فيه خمسة ايام ثم تراءى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فاذا مدينة عظيمة لها سور وابواب كلها من رخام اخضر فدخلوا بها وطاقوا فاذا هي قد غلب عليها الرمل حتى طم اسواقها ودورها ووجدوا بها اواني وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيئاً تأثر من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزازين تسعة دنانير ذهباً عليها صورة غزال وكتابة عبرانية . وحفروا موضعاً فاذا حجر على صهريج ماء فشربوا ماء ابرد من الثلج ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا بطائفة من العربان يحملوهم الى مدينة السكر فدفعوا الدنانير لبعض الصيارف فاذا عليها انها ضربت في ايام موسى (كذا) ودفع لهم في كل دينار مائة درهم وقيل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بني اسرائيل ولها طوفان رمل يزيد تارة وينقص اخرى لا يراها الا تائه ^(٣) .

وفي هذا الوصف مثال لاختلاط الحقيقة بالخرافة في امثال هذه الروايات فلا ريب ان الممالك شاهدوا اطلال بطرا ووجدوا الدنانير اما من ضرب اليهود او النبطيين وان كان تلميل الصيارف عن ضربها وبناء المدينة فيشبه كثيراً من امثال هذه الروايات

ذلك خلاصة ما عرفه المسلمون عن بطرا وقد زارها غير واحد من المستشرقين في القرن الماضي وقرأوا ما عليها من النقوش النبطية

الانباط

جاء ذكر الانباط على آثار اشور من عهد اشوربانيبال في اواخر القرن السابع قبل الميلاد في كلامه عن الملوك الذين غلبهم وذكر من جملتهم ناتان ملك النبطيين كما سيأتي ولعلمهم يريدون نبط العراق . واما في التاريخ الصريح فاقدم ما عرف من اخبارهم لا يتجاوز اوائل القرن الرابع قبل الميلاد على اثر فتوح الاسكندر في الشرق . ذكرهم ديودورس الصقلي المتوفى في القرن الاول قبل الميلاد في كلامه عن اغارة انطيفونس

(١) المقدسي ١٧٥ (٢) الاصخري ٦٤ (٣) المقرئ ٢١٣ ج ١

سنة ٣١٢ ق م على بطرا وارتداده عنها بالفشل فقال انهم عشرة آلاف مقاتل لا شبهه لهم في قبائل البدو وان بلدهم الوعر الفاحل ساءدهم على التمتع بالحرية والاستقلال لانهم كانوا يستغنون عن سائر العالم بصهاريج منقورة في الصخور يملأونها من ماء المطر في الشتاء ويحكمون سدها ويمتصمون في الجبال حولها فلا يصل اليهم قاتح او طامع . وانهم خلفوا الادوميين في بلادهم

وكان انطيغونس خليفة الاسكندر قد حمل على بطليموس صاحب الاسكندرية فاضطر في مسيره ان يمر ببطرا وهي في ايدي النبطيين فلم ير بداً من محالفتهم او قهرهم وكان بطليموس لحسن سياسته قد اجتذب قلوبهم فعزم انطيغونس على قهرهم (١) فاعتزم خروج الرجال للغزو او ملاقاته بعض القوافل واكتسح مدينتهم ونهبها فلقية النبطيون وهو عائد عنها فقتلوا رجاله عن آخرهم . فاعد السكرة عليهم بحملة اخرى تحت قيادة ديمتريوس فخاف الانباط كثرة الجند فأووا الى حصونهم وكتبوا الى انطيغونس كتاباً بالارامية يعتذرون اليه عما فعلوه وانهم انما دافعوا عن انفسهم فلا يعد ذلك ذنباً لهم . فاجابهم جواباً لياً واضمر الغدر . فلم تنطل عليهم حيلته فتحصنوا فجاءهم ديمتريوس وشدد الحصار عليهم والمدينة ممتنة فلما طال الحصار اطل رجل منهم عن السور وخطب ديمتريوس قائلاً « ايها الملك لماذا تقاتلنا ونحن مقبضون في بادية لا مطمع فيها لاهل المدن اتحاربوننا لقرارنا من الرق الى بلد لا شيء فيه من مرافق الحياة . فاقبل رعاك الله ما ندفعه اليك نظير انسحابك وثق اننا منذ الآن اصدقائكم واذا ايتم الاطالة الحصار فلا تنالون غير التعب والفشل لانكم ان تجدوا سبيلاً الينا ونحن في هذا الحصن المنيع واذا قدر لكم الظفر فلا تنالونه الا بعد ان نموت جميعاً ولا يبقى لكم غير هذه الصخور الصماء وانتم لا تستطيعون سكناها » فأر كلام الرجل في ديمتريوس وتأكد امتناع المدينة فانسحب رجاله عنها

واستفحل امر النبطيين بعد ذلك حتى انشأوا دولة منظمة وولوا عليهم ملوكاً ضربوا النقود واستوزوا الوزراء . وكان ملوكهم يسمون على الغالب باسم « الحارث » وهو باليونانية اريetas (Arctas) او « عبادة » وفي اليونانية اوباداس Obodas او « مالك » وفي اليونانية ماليكوس Malichus . واقدم من وقف الباحثون على اسمه من ملوكهم الحارث الاول حكم نحو سنة ١٦٩ ق م ومالك بعده زيد ايل ثم الحارث الثاني ويلقب ايروتيوس

حكم سنة ١١٠ ق م ثم عبادة الاول سنة ٩٠ ق م ثم ريبال سنة ٨٧ ولم يبقوا لهؤلاء على نقود مضروبة باسمائهم ثم توالى بعدهم بضعة عشر ملكا وجدوا اسماءهم على النقود الا آخرهم مالك الثالث غلبه الرومانيون على امره وذهبوا بدولته سنة ١٠٦ م وهذه اسماء ملوك النبطيين الذين اتصلت بنا أخبارهم ^(١) نقلاً عن النقود وغيرها

ملوك الانباط

اسم الملك	سنة الحكم تقريبا
الحارث الاول	١٦٩ ق م
زيد ايل	١٤٦ »
الحارث الثاني الملقب ايروثيموس	١١٠ — ٩٦ »
عبادة الاول	٩٠ »
ريبال الاول بن عبادة الاول	٨٧ »
الحارث الثالث فيلهلين بن ريبال	٨٧ — ٦٢ »
عبادة الثاني بن الحارث الثالث	٦٢ — ٤٧ »
مالك الاول بن عبادة الثاني	٤٧ — ٣٠ »
عبادة الثالث بن مالك الاول	٣٠ — ٩ »
الحارث الرابع الملقب فيلوباتر شقيق عبادة الثالث الملكة خلدو امرأته	٩ — ٤٠ ب م
» شقيقة »	
مالك الثاني بن الحارث الرابع الملكة شقيقة امرأته	٤٠ — ٧٥ »
ريبال الثاني الملقب سوتر بن مالك الثاني الملكة شقيقة والدته اثناء وصايتها عليه	٧٥ — ١٠١ »
» جميلة امرأته	
مالك الثالث	١٠١ — ١٠٦ »

هؤلاء هم الملوك الذين قرأ الباحثون اسماءهم على النقود او الآثار حتى اليوم وربما

(١) Dussaud, J. A. 1904

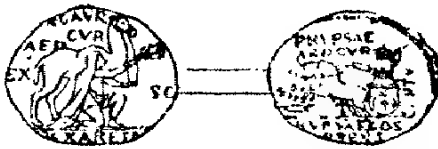
عثوا على غيرهم في المستقبل — وهذه خلاصة ما عرف من أخبارهم

(١) الحارث الاول : كان الحارث الاول معاصراً لانييوخوس ايفانيس السلوقي ملك سوريا نحو سنة ١٦٩ ق م وبطليموس فيلومار صاحب الاسكندرية ووقع بين البلدين قتال غلب فيه السلوقيون واعلمهم استعانوا بالانباط في تلك الحرب

(٢) زيد ايل : كان معاصراً للاسكندر ملك سوريا جاء ذكره في سفر المكابيين وكان على الاسكندرية في زمانه بطليموس اترجيت الثاني سابع البطالسة

(٣) الحارث الثاني : كان معاصراً لسوتر الثاني وهو بطليموس الثامن صاحب الاسكندرية المتوفي سنة ٨٢ ق م ولاسكندر يانيوس صاحب سوريا المتوفي سنة ٧٩ ق م

(٤) الحارث الثالث : لهذا الحارث شأن عظيم في تاريخ هذه الدولة لانه تغلب على البقاع بسوريا ودعاه الدمشقيون ليتولى أمرهم وكانوا يكرهون بطليموس فملكهم سنة ٨٥ ق م وكانت دمشق قصبة السلوقيين فتولاهما واقبوه من أجل ذلك فيلهلين Philhelèn أي محب اليونان . واشترك أيضاً مع هركانوس في تنازعه على الملك مع اخيه ارستوبولس وحاصر اورشليم لكنه عند وصول سكاوروس القائد الروماني تقهقر الى فيلادلفيا (عمان) مع هركانوس فادركهما ارستوبولس في مكان اسمه بايرون وغلبهما وقتل ٦٠٠٠ من رجالهما . وبعد ثلاث سنوات كان سكاوروس المذكور قد أصبح والياً على البقاع تحت رعاية بومبيوس صاحب رومية فحمل على بطرا فاعجزه



الوصول اليها لوعورة الطريق وقلة الزاد لجيشه فرضي ان يرجع بمبلغ ٣٠٠ ريال دفعها اليه الحارث المشار اليه . وهو اول من ضرب النقود من الانباط اقتبس

ذلك من ملوك اليونان في اثناء سلطانه على دمشق وقد ش ٨ نقود الحارث الثالث وسكاوروس وجد بعضهم ديناراً عليه نقش يرمز به عن اتفاق الحارث وسكاوروس وصورة جبل وشجرة عطرية (انظر ٨)

(٥) عبادة الثالث : لا نعرف خبراً يستحق الذكر جرى في أيام عبادة الثاني او ممالك الاول . اما عبادة الثالث ففي ايامه كانت حملة اليوس غالوس القائد الروماني على بلاد العرب وقد استعان فيها بالنبطيين . وكان سترابون الرحالة اليوناني معاصراً له فذكرها في رحلته قال ان اغسطس قيصر بعث سنة ١٨ ق م حملة بقيادة اليوس غالوس حمله على مصر لفتح جزيرة العرب واستنصر النبطيين فاظهروا رغبتهم في نصرته على يد وزير لهم يومئذ اسمه سيلوس وان هذا الوزير خدعهم فذهب بهم في طرق وعرة أعجزهم المرور

فيها ففقدوا اياماً قاسوا بها العذاب الشديد واقصى مكان بلغوه بعد ذلك العذاب مدينة يسميها سترابون بلد الرامانيين (Rhamanitae) وملكها اسمه اليزاروس (Elisaros) فحاصروها ستة ايام لكن العطش حمله على رفع الحصار والانسحاب . وينسب سترابون هذا الفشل الى خيانة وزير النبطيين . ويرى العارفون ان سترابون انحل ذلك العذر لتبرئة اليوس غالوس لانه صديقه . وبعد تسعة ايام من انسحابه وصل الى نجران ومر بالجوف الجنوبي . وما زال يتنقل من بلد الى آخر حتى وصل الحجر وهي يومئذ تابعة لبطرا وسار منها الى البحر الاحمر ومنه الى مصر بعد ان قضى في هذه الحملة ستين يوماً . وقد فصل المستشرق سبرنجر هذه الحملة مطولاً (١)

(٦) الحارث الرابع : ويسمى اينياس وهو حمو هيرودس اتيباس فاراد هذا ان يتزوج بهيروديا امرأة أخيه هيرود فيليب ابنة ارستوبولس اخيهما واخت أغريبا الكبير فشق ذلك على ابنة الحارث فرجعت الى منزل ابيها . وانتشبت الحرب بين الحارث وهيرودس وكان الظفر فيها للحارث وفشل هيرودس فشلاً عظيماً فرفع امره الى رومية فبعث الامبراطور (طيباريوس) الى فيتالس ان يرسل الحارث اليه مكبلاً بالحديد واذا قتل فليرسل اليه رأسه . فحمل فيتالس على بطرا لكنه تأخر في اورشليم لحضور الفصح وبلغه وهو هناك موت طيباريوس سنة ٣٧ م فأخذ البيعة على جنده واطلق سراحهم ليذهبوا الى منازل الشتاء وعاد الى انطاكية وظل الحارث في دمشق . وفي اثناء وجوده هناك قرأ منها بولس الرسول على ما جاء في الكتاب المقدس

ولم يقف الباحثون على ما يستحق الذكر من اخبار ملوك الانباط بعد الحارث الرابع لان الدولة اخذت بعده بالضعف والانحلال وتداخل النساء في شؤونها حتى ضربت النقود باسمهن مع اسماء الرجال كما ترى اشتراكهن معهم في السيادة

سمة مملكة الانباط

واتسعت مملكة الانباط في عهد أولئك الملوك حتى شملت جزيرة سيناء من الغرب وحواران الى حدود المراق من الشرق وبلغت الى وادي القرى في الجنوب قدحات الحجر بمدينة النوبيين في حوزتهم وطمع بهم الرومانيون بعد استيلائهم على مصر والشام وحاربوهم على ايام اوغسطس وارتدوا عنهم وظلت مدينة بطرا مركزاً تجارياً بين الشرق والغرب والجنوب والشمال حتى

اعادوا الطريق من القصير على البحر الاحمر الى قفط على النيل فاخذت في التدهور وكان الانباط قد تحضروا فذهبت خشونة البداوة واركنوا الى الزراعة واووا الى المنازل وانغمسوا في الترف فلما افضت الدولة الرومانية الى الامبراطور تراجان واصبح قادراً على الاستعانة بالجند المصري عجز النبطيون عن الوقوف في وجهه فجرد عليهم حملة غلبتهم على مدينتهم سنة ١٠٦ م وضرب الروم نقوداً خاعة بذلك الفتح على سبيل التذكار . فذهبت عصبية النبط وانحلت قواهم فاخذوا الى الدعة واختلطوا بأهل البلاد الاصليين من السريان او الآراميين وانتشروا على حدود سوريا وفلسطين مما يلي البادية بين سيناء والفرات . ولم تقم لهم قائمة من ذلك الحين وتحولات الطرق التجارية الى تدمر الآتي ذكرها

تمرد الانباط

قد رأيت ان مملكة الانباط شملت في ابان اتساعها معظم شمالي جزيرة العرب ويدخل فيها مواب والبلقاء وحووران وشبه جزيرة سيناء وارض مديان وأعالي الحجاز واشهر المدن التي دخلت في حوزتهم بطرا وبصرى واذرع وعمان وجرش والكرك والشوبك وايلة والحجر (مدائن صالح) تشهد بذلك النقوش الكتابية التي عثروا عليها بلسانهم على انقراض تلك المدن ولا سيما في بطرا والحجر والعلاء وحران وصلاح ومادبا وامتان والوادي المكتتب في سيناء . وقد حل المستشرقون هذه النقوش في أواسط القرن الماضي وأواخره . ووجدوا نقوشاً من لغتهم في دمسج على حدود دمشق . ومما يدل على سعة علائقهم التجارية ان بعض الباحثين عثر على كتابة نبطية في فرضة بتيولي في ايطاليا فخواها ان رجلاً اسمه صيدو وقف في السنة الرابعة عشرة من حكم الحارث الرابع شيئاً من مقتنياته على اسم هذا الملك وامراته (١)

واحسن من وصف آداب النبطيين واخلاقهم ديودوروس الصقلي في القرن الاول قبل الميلاد فكتب ما عرفه بنفسه وخلاصة قوله « ان الانباط يعيشون في البادية الجرداء التي لا أنهر فيها ولا سيول ولا ينابيع . ومن امهات قوانينهم منع زراعة الحبوب او استثمار الاشجار وتحريم الحر او بناء المنازل ويقيمون من يخالف ذلك بالقتل مع التشديد في العمل بهذه القوانين . ويقتات بعضهم بلحوم الابل والبانها والبعوض الآخر بالماشية أو الغنم ويشربون الماء الحلي بالبن ومنهم قبائل عديدة تقيم في البادية ولكن النبطيين اغنى تلك القبائل وان كان رجالها لا يزيد عددهم على ١٠٠٠٠ رجل وثروتهم من الاتجار

بالاطياب والمر وغيرها من العطريات يحملونها من اليمن وغيرها الى مصر وشواطئ البحر المتوسط . ولم تكن تمر تجارة في أيامهم بين الشرق والغرب الا على يدهم ويحملون الى مصر على الخصوص القار لاجل التحنيط . وهم ضيئون بحريتهم فاذا دامهم عدو يخافون بطشه فروا الى الصحراء وهي امان حصن لهم لانها خالية من الماء فلا يدخلها سواهم الا مات عطشاً . أما هم فيشربون من صهاريج سرية مربعة الشكل منقورة في الصخر تحت الارض يخزنون الماء فيها ولها فوهات ظاهرها ضيق وباطنها واسع اتساع احدها ثلاثون متراً مربعاً فيماؤها بمياه المطر ويحكمون سدها بحيث يخفى مكانها على غير العارف ولهم على فوهاتها علامات ترشددهم اليها لا يعرفها سواهم »

وللانباط سكة خاصة للنقود قلدوا بها اليونان وهذه امثلة من نقودهم (ش ٩)



ش ٩ - نقود بعض ملوك النبطيين

- (١) نقد الحارث الثالث الملقب فيلهلين على احد وجهيه صورة رأسه متجهماً نحو اليمن وعلى الوجه الآخر صورة امرأة رمز عن النصر وقد نقش وراءها اسم الملك الحارث باليونانية Basileos Aretou وامامها لقبه محب اليونان فيلهلين
- (2 و 3 و 4 و 5) نقود للحارث المذكور ايضاً تختلف في شكلها عن ذلك من بعض الوجوه ولكن الكتابة عليها واحدة

(٦) نقد لعبادة الثاني على وجهه الايسر رأس وعلى الايمن صورة نسر امامه نقش بالنبطية معناه « الملك عبادة » ووراءه « ملك الانباط » وعلى الرأس « السنة الثانية »

(٧) نقد آخر لعبادة المذكور على احد وجهيه رأسان وعلى الوجه الآخر نسر ومثل تلك الكتابة

(٨) نقد مالك الاول على احد وجهيه رأسان وعلى الآخر نسر وعليه كتابة معناها « الملك مالك ملك الانباط »

هل الانباط عرب

اختلف المؤرخون في اصل هذه الامة فذهبت طائفة مذهب اهل التوراة انهم من نسل نايوط بن اسماعيل وذهب آخرون انهم من اهل العراق لان النبط يطلق على سكان ما بين النهرين ولغة الانباط التي قرأوها على آثارهم آرامية متخلفة عن لغة ما بين النهرين وانهم هاجروا من العراق الى ادوم وهو رأي كثر مير الفرنساوي . وذهب غيرهم ان النبط اصلهم من جبل شمر في اواسط بلاد العرب ونزحوا الى جزيرة العراق لما فيها من الحصب والرخاء فقاموا هناك حتى داهمهم الاشوريون او الماديون فاخرجوهم من ذلك الوادي . وذهبت طائفة اخرى ان الانباط اتوا من شواطئ خليج العجم . ويرى كوسين دي برسفال المستشرق الفرنساوي انهم عراقيون اتى بهم نبوخذ نصر في القرن السادس قبل الميلاد لما اكتسح فلسطين فازلهم في بطرا وما يليها . وقال غيرهم غير ذلك مما يطول بنا تفصيله فنقتصر على ابداء رأينا بالاسناد الى ما وقفنا عليه من احوال هذه الامة فنقول :

ان أوجه الاختلاف بين العلماء في اصل اوائك الانباط ترجع الى « هل هم عرب او آراميون ؟ » وعندنا انهم عرب والادلة على ذلك

أولاً : قول الذين عرفوهم من مؤرخي اليونان فانهم حينما ذكروهم سموهم عرباً ثانياً : ان اسماء ملوكهم عربية كالحارث وعبادة وريبال ومالك وجيلة . والاعلام دخل كبير في بيان اصول الامم كما قلنا عند كلامنا على اصل الحواريين - فالرجل الذي يسمى نيقولايدس نحكم انه يوناني الاصل وان تزيابزي الاثراك أو الروسيين والمسمى ارتين او دمرجيان نحكم انه أرميني وان كانت لغته الفرنساوية أو الانكليزية أو العربية اذ لكل أمة تسمية خاصة بها . وقد تسمى ابناءها باسماء أمة اخرى كما يفعل نصاري

الشرق لهذا العهد فيسمون ابناؤهم باسماء افرنجية ولكن ذلك لا يكون الا بتقليد الضعيف القوي أو البسطاء لاهل التمدن ولا ينطبق ذلك على بطرا لان العرب لم يكونوا يومئذ اهل تمدن وسطوة وانما كان التمدن في العالم السامي للآراميين او البابليين والقائلون بآراميتهم يحتجون بان لغتهم آرامية وان لفظ النبط يطلق عند العرب على اهل العراق وهو رأي وجيه لا ينقض بسهولة . ولكن مؤرخي اليونان الذين سموهم عرباً قد عاصروهم وهم اعلم الناس بهم . نعم ان اللغة التي قرأوها على آثارهم آرامية لكنها ليست هي لغة التكلم عندهم

وذلك ان النبطيين فرقة من عمالة العراق بدو الآراميين الذين هجروا ضفاف الفرات بعد ذهاب دولة حمورابي من العراق وتفرقوا قبائل وبطوناً في جزيرة العرب ولعلمهم المراد بقول العرب « ارمانيون » فهم يريدون بالارمانيين القبائل المتسلسلة من ارم^(١) . قائلون قبيلة منهم لا يبعد انها اقامت زمناً على شواطئ خليج العجم وكانت ترتزق بنقل التجارة في البادية بين ذلك الخليج والبحر المتوسط والبحر الاحمر حتى عرفوا ادوم وتوسطها بين خليج فارس والاعم المتعددة في ذلك العهد باشور وفينيقية ومصر فاستولوا عليها بكيفية لا نعرفها وجعلوا بطرا عاصمتهم . ومن كلام ابن خلدون « وأول ملك نامرب بالشام فيما علمناه للعائلة ثم لبني ارم بن سام ويعرفون بالارمانيين » وقال حمزة الاصفهاني « الارمانيون نبط الشام والاردوانيون نبط العراق »^(٢)

لغة الانباط

أما لسانهم الذي كانوا يتفاهمون به فانه عربي مثل اسمائهم ولا عبرة بما وجدوه منقوشاً على آثارهم باللغة الآرامية فانها لغة الكتابة في ذلك العهد مثل اللغة الفصحى في أيامنا . فلو ذهب اهل هذا الجيل من سكان مصر والشام وذهب لسانهم الذي يتكلمونه واراد اهل الاجيال القادمة ان يستدلوا على جنسنا من آثارنا الكتابية لعدونا من اهل البادية او من قريش لاعتمادهم على لغة الكتابة وهي لغة قريش . وذلك كان شأن الدول القديمة بالشرق ولا سيما بما يتعلق بالآثار الدينية أو السياسية . ولكل دولة لغة رسمية تضيع بين رعاياها فيتكاتبون بها أو ينقشونها على آثارهم كما تتكاتب دول أوروبا بالفرنساوية ويخبر اهل الشرق الاقصى بالفارسية

فاللغة البابلية هي اللغة التي كان يتكلمها أول من تسلط من الساميين في العراق وما

يلبها واخذوا يكتبون أوامرهم ويدونون اخبارهم بها بالحرف المسماري الذي اقتبسوه من السومريين . وشاع استعمالها في المملكة البابلية على اختلاف عناصر أهلها حتى صارت لغتها الرسمية يتكاتب بها أهل العراق وفارس وغيرها - ظلوا على ذلك أكثر من ألفي سنة واللغة المذكورة واحدة لم يحدث في الفاظها أو تراكيبها تغيير يستحق الذكر . ولا يعقل ان تبقى كذلك على السنة القوم بدليل ما شاهدناه من التغيير الذي طرأ على لغة قريش قبل انقضاء الألف الأول من تداولها على الألسنة فانها تفرعت الى لغات شتى . فبالقياس على ذلك تفرعت اللغة البابلية على السنة متكلميها الى عدة لغات من جملتها اللغة الآرامية . وأما لغة الكتابة فظلت اللغة البابلية تكتب بالقلم المسماري

ولما انقضى العصر البابلي والاشوري احتلت اللغة الآرامية المذكورة محل اللغة البابلية في السياسة والتجارة . وقد أصبح في حكم الثابت الآن ان الخبارات السياسية الرسمية واللغة التجارية التي كانت تنحار بها الأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد في بابل واشور وفارس ومصر وفلسطين إنما هي اللغة الآرامية التي نحن في صدددها وفي جملة ذلك بطرا . وهي التي كتب بها البابيروس الذي عثروا عليه بالامس في اصوان (١) . ويغلب انها كانت لغة التكلم في بابل

ولما ضعف الاشوريون كانت الحروف الهجائية التي ينسبون اختراعها للفينيقيين وقد شاعت في العالم المتقدم وتفرعت الى بضعة فروع من جملتها القلم الآرامي وقد استخدمه البابليون لتدوين لغتهم الدارجة فضلاً عن اللغة الرسمية وشاع هذا القلم ولغته في الأمم التي تفرعت من مملكة بابل — وهذا مثال منه

𐤀 𐤁 𐤂 𐤃 𐤄 𐤅 𐤆 𐤇 𐤈 𐤉 𐤊 𐤋 𐤌 𐤍 𐤎 𐤏 𐤐 𐤑 𐤒 𐤓 𐤔 𐤕 𐤖 𐤗 𐤘 𐤙 𐤚 𐤛 𐤜 𐤝 𐤞 𐤟 𐤠 𐤡 𐤢 𐤣 𐤤 𐤥 𐤦 𐤧 𐤨 𐤩 𐤪 𐤫 𐤬 𐤭 𐤮 𐤯 𐤰 𐤱 𐤲 𐤳 𐤴 𐤵 𐤶 𐤷 𐤸 𐤹 𐤺 𐤻 𐤼 𐤽 𐤾 𐤿 𐥀 𐥁 𐥂 𐥃 𐥄 𐥅 𐥆 𐥇 𐥈 𐥉 𐥊 𐥋 𐥌 𐥍 𐥎 𐥏 𐥐 𐥑 𐥒 𐥓 𐥔 𐥕 𐥖 𐥗 𐥘 𐥙 𐥚 𐥛 𐥜 𐥝 𐥞 𐥟 𐥠 𐥡 𐥢 𐥣 𐥤 𐥥 𐥦 𐥧 𐥨 𐥩 𐥪 𐥫 𐥬 𐥭 𐥮 𐥯 𐥰 𐥱 𐥲 𐥳 𐥴 𐥵 𐥶 𐥷 𐥸 𐥹 𐥺 𐥻 𐥼 𐥽 𐥾 𐥿

𐤀 𐤁 𐤂 𐤃 𐤄 𐤅 𐤆 𐤇 𐤈 𐤉 𐤊 𐤋 𐤌 𐤍 𐤎 𐤏 𐤐 𐤑 𐤒 𐤓 𐤔 𐤕 𐤖 𐤗 𐤘 𐤙 𐤚 𐤛 𐤜 𐤝 𐤞 𐤟 𐤠 𐤡 𐤢 𐤣 𐤤 𐤥 𐤦 𐤧 𐤨 𐤩 𐤪 𐤫 𐤬 𐤭 𐤮 𐤯 𐤰 𐤱 𐤲 𐤳 𐤴 𐤵 𐤶 𐤷 𐤸 𐤹 𐤺 𐤻 𐤼 𐤽 𐤾 𐤿 𐥀 𐥁 𐥂 𐥃 𐥄 𐥅 𐥆 𐥇 𐥈 𐥉 𐥊 𐥋 𐥌 𐥍 𐥎 𐥏 𐥐 𐥑 𐥒 𐥓 𐥔 𐥕 𐥖 𐥗 𐥘 𐥙 𐥚 𐥛 𐥜 𐥝 𐥞 𐥟 𐥠 𐥡 𐥢 𐥣 𐥤 𐥥 𐥦 𐥧 𐥨 𐥩 𐥪 𐥫 𐥬 𐥭 𐥮 𐥯 𐥰 𐥱 𐥲 𐥳 𐥴 𐥵 𐥶 𐥷 𐥸 𐥹 𐥺 𐥻 𐥼 𐥽 𐥾 𐥿

ش ١٠ - الحرف الآرامي

فالعرب الذين كانوا يخاطبون العالم المتقدم بالتجارة او السياسة في ذلك العهد اضطروا الى معرفة لغة رجال الدولة وأهل الوجاهة لاستخدامها في الخبارات والتدوين فتعلموا اللغة الآرامية وكتبوها بالقلم الآرامي لسهولة . ثم تنوعت هذه الافلام بتوالي الاجيال فتفرعت الى عدة فروع عرفت بالافلام الآرامية أشهرها عند الساميين القلم

الدمري في تدمر والنبطي في بطرا وغيرها وأشكالها متشابهة مثل تشابه تلك اللغات . وهي في كل حال غير لغة التكلم وان تقاربنا في أكثر التراكيب والالفاظ ولمثل هذا السبب اضطر الجرمانيون الذين هبطوا على المملكة الرومانية الى تعلم اللغة اللاتينية وجعلوها لغتهم الرسمية وكل طائفة منهم تتكلم لغتها الخاصة . وظلت اللاتينية لغة العلم والنقش على الآثار في اوربا أجيالا بعد ذهاب دولتها ولكل أمة من أممها لسان خاص تفاهم به ولم تحمل اللاتينية وتدون اللغات العامية الا في نهضة هذا التمدن كما دونت اللغة العربية في نهضة الاسلام بعد ان كانت لغة الكلام والآرامية لغة التدوين

فاللغة التي تقرأها على آثار بطرا وغيرها من أطلال الانباط آرامية وأما لغة الكلام فكانت عربية والاثنتان مرتبطتان بامهما القديمة لغة بدو الآراميين أو اللغة البابلية القديمة بعلامة تشتركان بها دون سائر اللغات السامية أعني حركات الاعراب في اواخر الكلام^(١) في بعض الاحوال . واللغة الآرامية التي كتب بها الانباط غير الآرامية المعروفة اليوم وفي تلك أثر من لغة العرب التي كان يتكلمها ذلك الشعب . وهذا مثال من نقوش الانباط على آثارهم وهو عهد كتبه رجل اسمه عائذ بن كهيل على قبره في الحجر (مدائن صالح) في السنة الاولى قبل الميلاد في زمن الحارث الرابع الملقب فيلوباتر :

١. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤁𐤏𐤓 𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤕𐤓𐤕𐤕
٢. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕
٣. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕
٤. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕
٥. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕
٦. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕
٧. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕
٨. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕
٩. 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕 𐤀𐤓𐤕𐤓𐤕𐤕

ش ١١ - كتابة نبطية على انقاض مدائن صالح

نطقها بالاحرف العربية كل سطر على حدة

١. دنه قبرا دي عبد عيدو بر كهيلو بر

(١) Ency. Brit. Art. Semitic Languages.

- ٢ الكسي لنفسه ويلده واحره ولمن دي ينفق بيده
 - ٣ كتب تقف من يد عيدو قيم له ولمن دي يشتن ويقبر به
 - ٤ عيدو بحيوهي بيرح نيسان شنة تشع لحرآت ملك
 - ٥ نبطو رحم عمه ولعنو ذو شرا ومنوتو وقيشه
 - ٦ كل من دي يزبن كفرا دنه او يزبن او يرهن او يشتن او
 - ٧ يوجر او يتالف علوهي كتب كله او يقبر به انوش
 - ٨ لمن دي علا كتيب وكفرا وكتبه دنه حرم
 - ٩ كخليقت حرم نبطو وشامو لعلم علمين
- ترجتها باللغة العربية كل سطر على حدة

- ١ هذا هو القبر الذي بناه عائد بن كهيل بن
- ٢ القسي لنفسه وأولاده وأعقابيه ولمن يكون في يده
- ٣ كتاب من يد عائد يبيع له ولاي واحد يخوله عائد في حياته ان يدفن فيه
- ٤ في شهر نيسان (ابريل) السنة التاسعة للحارث ملك
- ٥ الانباط محب شعبه . ولعن ذو الشرى ومناة وقيس
- ٦ كل من يبيع هذا القبر او يشتريه او يرهنه او يهبه او
- ٧ يؤجره او ينقش عليه شيئاً آخر او يدفن فيه احداً
- ٨ الا الذين كتبت أسماؤهم اعلاه . ان القبر وما كتبت عليه حرم مقدس
- ٩ حسب القاعدة التي يقدسها الانباط والاسلاميون الى ابد الابد

على اتنا لا نظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الارتقاء . ولعلها كانت أقرب الى ما قرأوه على قبر عمرو بن امرئ القيس في خرائب نمارة ببحوران وسنذكر نصه ومعناه في كلامنا عن دولة الاخمينيين من هذا الكتاب . فاذا قرأته تمثل لك تدرج اللغة في التنوع والتحول عملاً بناموس الارتقاء . وبسبب هذا الناموس تشعبت لغة بدو الآراميين الى اللغات البابلية والآرامية والسبائية او الحميرية ولغات عرب الحجاز وغيرها ومن جعلتها لغة صدر الاسلام . وقد اصاب هذه تغيير اقتضاه تنقلهم في البادية بابلهم وماشيتهم فبعدت عن اختها البابلية ولسكنها لا تزال اقرب اليها في بعض احوالها من ابنتها الكلدانية والسريانية لان العرب قضوا تلك الاجيال في البادية واللغة انما تغيرها الحضارة

فالانباط عرب يتكلمون العربية ولقهم الكتانية مع كونها آرامية فانها تنم عن أصحابها العرب . ويؤيد ذلك اجماع مؤرخي اليونان على تسميتهم عرباً وان اسماء ملوكهم عربية وهم عمالة أو فرقة منهم كما قدمنا . ويوافق ذلك قول يوسيفوس ان ادوم قسمان قسم يسكنه العمالة والآخر في جنوبي فلسطين ^(١)

وقد تشتم رائحة النبط من قول ابن خلدون في عرض كلامه عن ملوك الروم النبطيين وهو يسميهم الكيم . فبعد ان ذكر ما ملكوه من البلاد قال انهم ملكوا الاندلس وملكوا الشام وأرض الحجاز وقهروا العرب في الحجاز ^(٢) وليس في التاريخ ما يدل على ان الرومانيين قهروا من العرب غير الانباط . وزد على ذلك ان أهل التوراة حينما ذكروا النبط أو ابنا نبأوط ارادوا العرب فعندهم نبأوط وقيدار ابنا اسماعيل جد عرب الحجاز

دولة تدمر

مدينة تدمر

كانت تدمر مدينة تجارية مثل بطرا واقعة في طرف البادية التي تفصل الشام عن العراق كانها واحة في الصحراء أو جزيرة في الماء تبعد ١٥٠ ميلاً عن دمشق نحو الشمال الشرقي ونحو مائة ميل من حمص وصفر خمسة ايام على الابل من الفرات . شكلها منبسط تحيط بها جبال تفصل بينها وبين البادية . وهي عبارة عن طرف بادية الشام من الشمال فكل ما وراءها نحو الجنوب رمال قاحلة لا ماء فيها ولا نبات . كان تلك البادية مثلث رأسه تدمر في الشمال وساقاه حدود العراق في الشرق ومشارف الشام في الغرب وقاعدته شمالي جزيرة العرب . فالبادية المشار اليها اقرب الطرق بين الشام والعراق لكن جفافها ووعورة مسالكها جعلت المرور فيها شاقاً فاصبحت القوافل المسافرة من الحيرة مثلاً الى دمشق تجعل طريقها شمالاً غربياً على حدود الفرات حتى تأتي تدمر فتستريح هناك وتنزود ثم تنعطف جنوباً الى دمشق — ذلك كان شأن القوافل التجارية او الحملات العسكرية من قديم الزمان . لا بد للمسافر من الشام او فلسطين الى العراق أو فارس او خليج العجم من المرور بتدمر فاصبحت بسبب ذلك عاصمة الاهمية فسكنها الناس قديماً ولم يعرف بانها — وأقدم من ذكرها صاحب سفر الايام الثاني وصفاها تدمر أو تدمور وهو اسمها العربي . ولم يذكرها

العرب الا بعد الاسلام ولهم في أصل بنائها أقوال مثل سائر مزاعمهم في بناء المدن القديمة اذ ينسبون بناءها بالاكثر الى سليمان بن داود أو سام بن نوح أو الى الجن . فتدمر عندهم من بناء سليمان مع انها خارج مملكته ووجودها يضر بسياسته لأنه كان ينوي احياء فلسطين بتحويل تجارة الشرق الى البحر المتوسط بطريق البحر الاحمر . فبنى على شواطئه قرصاً ومرافئ لهذا الغرض . وكانت تجارة الشرق تحمل في ايامه بالبحر فلما ذهبت دولته تحوَّلت التجارة الى البر وعاشت بطراً ثم تدمر

والظاهر ان القوافل كانت تمرُّ بدمر من القرن السادس قبل الميلاد تحمل حاصلات اليمن او الحبشة الى العراق فتتجاوز مشارف الشام الى تدمر ومنها الى جزيرة العراق او فارس او اسيا الصغرى لكنها لم تزه إلا بعد سقوط بطرا في اول القرن الثاني للميلاد فتحوَّلت الطرق اليها وأخذت ترتقي وتتسع تجارتها حتى بلغت قمة مجدها في القرن الثالث للميلاد

على ان الرومانيين طمعوا بها كما طمعوا ببطرا وحاولوا فتحها في منتصف القرن الاول قبل الميلاد على يد ماركس انطونيوس ولم يفلحوا . ثم دخلوا في شؤونها باواسط القرن الاول بعد الميلاد . وأدخلها اديان سنة ١٣٠ م في حمايته وشخص اليها وسماها « اديان بوليس » نسبة اليه وبذل جهده في تنظيم شؤونها ووضع الضرائب على التجار والجمارك بامر اصداره سنة ١٣٧ م عثروا على نصه منقوشاً على حجر في آثار تدمر الباقية . وكانت حكومتها ترجع الى مجلس شيوخ عليه رئيس

وفي ايام سبتيموس سفروس اصبحت تدمر مستعمرة رومانية وصارت رئاسة الحكومة فيها الى زعيم يقال له شرايجي . ولما انتشبت الحرب بين الروم والفرس في صدر النصرانية زادت تدمر ثروة وأهمية لتوسطها بين المملكتين حتى صارت سيدة الشرق الروماني وتمدن اهلها وأثروا وطمعوا برتب الدولة ومناصبها . ومرور قياصرة الروم بها في اثناء تلك الحروب جعل لاهلها دالة ونفوذاً . وكان القياصرة يكرمون من ينصرهم على الفرس ومن جملة الذين نالوا ذلك الاكرام وارتقوا مناصب الدولة أسرة وطنية كان لها شأن كبير في تاريخ تدمر من رجالها أذينة بن حيران بن وهب اللات بن نصر فبلغ الى رتبة المشيخة الرومانية

ودخول تدمر في حوزة الروم لم يغير من حكومتها غير الظواهر لان سيادتهم كانت سطحية فقط وأما صاحب النفوذ الحقيقي فهو الامير صاحب القوافل او رئيس الحفر الذي تسير القوافل في ظل سطوته فيفعل ما يشاء ولا ياتي معارضاً . وكان أذينة رئيس عصابة وطنية تسمى في خلع نير الروم فاكتشف الروم عزمه وقتلوه في ابواسط القرن الثالث

للبلاد وفرقوا رجاله . وخلف أذينة ولدين اسم أحدهما حيران والآخر أذينة (كايه) وهو أصغرهما ولكنه أشدهما نعمة على الروم فصمم على الانتقام لايه مذ كان غلاماً فهجر المدينة وسكن الجبال يقضي أيامه في الصيد والقنص ورعي النبال ومطاردة الغزلان وحر الوحش حتى أصبح شديد العضل قوي العزينة واجتذب قلوب البدو الخميمين حول تدمر واطلعههم على سره فعاهدوه على ان يتصرفوه عند الحاجة ثم رجع الى تدمر فاقام فيها وهو يكتم غرضه

واتفق سنة ٢٥٨ م خروج فاليريان الرومي لمحاربة سابور الفارسي فمر بتدمر وخلع على أذينة الخلع وسماه قنصلاً وهي من أكبر رتب الدواة الرومانية . فلم يعبأ أذينة بتلك الخلع وفرق الهدايا في مشايخ القبائل . وانتهت تلك الحرب بظفر سابور وأمر فاليريان فلما علم أذينة بذلك بعث الى سابور الهدايا وكتب كتاباً يتقرب به اليه فساء سابور الظن به ورفض طلبه فغضب أذينة ورجع الى الروم فاستسلم لهم قلباً وقالباً وعرض عليهم نصرته في تلك الحرب وهو بالحقيقة يكره الدولتين وانما يؤثر التي تفوض اليه السلطة في تدمر . وكانت دولة الروم قد افضت الى غالينوس فسره اقترح أذينة وبعث اليه حملة ضعيفة ضمها أذينة الى رجاله المجريين وخرج على الفرس وابلى بهم بلاءً حسناً وانتقم للروم ولنفسه واسترجع البلاد التي كان سابور قد فتحها من الجزيرة واخضع نصيبين وحاصر المدائن مرتين وبعث الاسرى الى غالينوس

فأصبح أذينة سيد الشرق الروماني وامتدت سلطته على سوريا وما يليها ولقب « ملك الملوك » واقتدى به قواد الروم يومئذ فطمعوا بالسيادة لانفسهم كل واحد على ما في يده واستأثر أذينة بسوريا وسائر اسيا الرومانية . وفي سنة ٢٦٤ م تسمى حاكماً عاماً عليها وهو في الظاهر تحت سيطرة الروم ورجاله يدونه صاحب السيادة المطلقة على آسيا الرومانية من ارمينيا الى جزيرة العرب . وكان كثير الاشتغال بمحاربة الفرس وردم عن بلاده فاذا خرج لحرب أناب عنه في حكومة تدمر امرأته زنبوبيا المشهورة في تاريخ هذه المدينة

زنبوبيا

ونالت زنبوبيا من امبراطور الرومان لقب « سبتيميا » وهو من أكبر القاب الشرف عندهم وهي تدمرية المولد واسمها الاصلي « بنت زباي » وكانت سمراء اللون مع جمال وحنانة سديدة العين نافذة اللمحظ اولؤة الاسنان قوية البدن مع علو الهمة

والحزم وكانت سيطوتها مخيمة على تدمر وغيرها وكل سجايها نتم عن أصلها العربي .
وكانت تتكلم الآرامية والقبطية وبعض اللاتينية واليونانية ولها اطلاع واسع على تاريخ
الشرق والغرب وقد ربت أولادها تربية حسنة وهم ثلاثة وهب اللات وخيران
وتيم الله فضلاً عن هيروديس ابن زوجها من امرأة أخرى . ويندر اجتماع رجل
وامرأة مثل اذينة وزينويا وكلاهما فريد في أطواره



ش ١٢ - زينويا صاحبة تدمر

لكن الدهر نكبها نكبة لم تكن في حسابها فمات زوجها اذينة وابنه الاكبر
هيروديس سنة ٢٦٧ م خلفه ابنها وهب اللات واسمه في اليونانية « ايثنودورس »
وهي وصية عليه ولها النفوذ الاكبر . وكانت رومة الى ذلك الحين في شغل عن
مستعمراتها بداخليتها حتى اذا استتب الامر لاورليان لم يبق لتدمر الا أن تخضع له
خضوعاً حقيقياً أو أن يحاربها وفي سنة ٢٧١ م لقب وهب اللات نفسه « اوغسطس »
من ألقاب القيصرية وأزال اسم اورليان من النقود وصارت زينويا قائدة الجند
وصاحبة الصوت الاعلى . وفي تدمر تمثالان أحدهما لها والآخر لاذينة على قاعدته
نقش جاء اسمه فيه باللقاب معناها « ملك الملوك ومحيي الدولة »

وغرست زينويا أعلامها ونشرت ساطاتها على مصر والشام والعراق وما بين
النهرين واسيا الصغرى الى انقرة . وأوشكت بئسبانيا ان تدخل تحت لوائها واذا بجيوش
اورليان قد اجتمعت في بيزاتين تنأهب للحمل على الشرق . وكانت زينويا كثيرة

الاعتماد على رجالها العرب والارمن ولم تكن تثق ببقاء أهل الشام على ولائها لان أهل المدن لم يألفوا أشباه تلك السيادة البدوية . وكان في جند زنبوبيا جم غفير من الروم فالتقت جنودها بجنود اورليان في انطاكية وحاصرت مغلوبة لكنها كتبت الى اورليان تقول انها لم تخسر من رجالها احداً لان الذين قتلوا في المعارك انما هم افروم . فهاج قولها أهل مدائن الشام فتكاتفوا وتقاتلوا في نصرة اورليان خوفاً من تغلب رجال زنبوبيا وهم عرب جفاة أهل بادية فيستبدون بهم

وما أشبه حال بني اذينة في تدمير بيبي امية بالشام بعد ذلك بأربعة قرون وكلاهما عرب أهل تجارة وعلى كل قوم منهما أمير له نفوذ على عرب البادية استعان بهم في تأييد سلطته . ولكن آل اذينة قاموا والدولة الرومانية لم تبلغ الضعف الذي وصلت اليه عند قيام الامويين . ومع ذلك فان زنبوبيا ضيقت على اورليان بدهائها لكنه تمكن اخيراً من حصار تدمير بما بذله من المال في تفريق كلمة العرب فلم تر زنبوبيا خيراً من الفرار الى الفرس فاقتصر الروم آثارها حتى قبضوا عليها نخاف التدميريون وسلموا سنة ٢٧٢ م وقبض اورليان على خزائن المدينة وعفا عن أهلها وأطلق سراح زنبوبيا لكنه قتل مشيرها فقضت بقية حياتها مع ابنائها في طيبور كما يعيش أهل السكينة من أرباب المعاشات . ونهضت تدمير بعد قليل لتتمس الاستقلال واسكنها كانت نهضة الموت لان اورليان أذلها هذه المرة وهدم أسوارها وقتل معظم سكانها

وكانت زنبوبيا غريبة في أطوارها لم ينبغ مثلها في النساء شجاعة ودهاء وشدة فضلاً عن جمالها وهيبتها . وكانت سيرتها أقرب الى سير الابطال مما الى سير النساء فلم تكن تركب في الاسفار غير الخيل ويندر أن تحمل في الهودج . وكانت تجالس قوادها وأعوانها وتباحثهم واذا جاداتهم غلبتهم بقوة برهانها وفصاحة لسانها . وكثيراً ما ضم مجلسها رجالاً من أمم شتى وبينهم وفود من ملك الفرس او الارمن او غيرها وقد يشربون حتى يسكروا وهي لا تسكر . وكانت اذا عقدت مجلساً اعتيادياً للبحث في شؤون الدولة أدخلت ابنها وهب اللات معها وعليها أنحر اللباس وعلى كتفها المشملة القيصرية الارجوانية وعلى رأسها التاج . ولم يقف بين يديها قادم الا خراً ساجداً جرياً على عادة الاكاسرة وكانت قد تشبهت بهم فجمعت في ايوانها بعض شبوخ الخصيان وكلت اليهم تدبير قصورها واذا مشت في ساحة قصرها أو دارت في الرواق الآتي ذكره حفت بها الفتيات من بنات الاشراف وهي تتقدمهن وتزري بحمالهن وكانت اذا استعرضت جندها في الميادين بين يدي قصرها مرت امام الصفوف

فوق جوادها وعليها لباس الحرب وعلى رأسها الخوذة الرومانية مرصعة بالدر والجوهر وعلى غالاتها أهداب منسوجة بأسحال ارجوانية وقد جردت احدى ذراعيها كما يفعل اليونان القدماء وأخذت تحرض جنودها على الصبر والثبات وتبث في نفوسهم روح الشجاعة فاذا رآها الناس في ذلك الموقف حسبوها إلهة من الآلهة العظام فضلاً عن تفوقها في السياسة وسداد الرأي والالطف وصحة التربية مما لم يسمع باجتماعه في امرأة

الزباء وزينوبيا

وفي كتب العرب قصة ينسبونها الى امرأة اسمها « الزباء » يذكرون خبرها في مقدمة تاريخ الحيرة عند الكلام عن جذيمة الابرش خلاصته انه كان لجذيمة أخت اسمها رقاش هويت شخصاً من اياد كان جذيمة قد اصطنعه يقال له عدي فواطأه على حيلة دبراهما على جذيمة حتى أذن بزواجهما وهو سكران . فلما صحا هرب عدي فلاحق به جذيمة حتى قتله وحملت رقاش وولدت غلاماً ربه وألبسته طوقاً وسمته عمرأ . ثم فقد الغلام وزعم العرب ان الجن اختطفته ثم وجده رجالان أتيا به الى جذيمة ففرح به وقال لهما « افترحا ما تشاءان » قالا « منادمتك ما بقيت وبقينا » وهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال كندمانى جذيمة — قالوا : وكان قد ملك الجزيرة وأعلي الفرات ومشارف الشام رجل من العمالقة يقال له عمرو بن الظرب بن حسان العمليقي وجرت بينه وبين جذيمة حروب انتصر فيها جذيمة وقتل عمرأ المذكور . وكان لعمر و بنت يقال لها الزباء واسمها نائلة (وقالوا ليلي) فملك بعده وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين واحتالت على جذيمة حتى أطعمته بنفسها واغترى وقدم عليها فقتلته وأخذت بثرايها . وملك بعد جذيمة عمرو ابن اخته رقاش فاحتال بمساعدة عبدٍ لحاله اسمه قصير حتى انتقم منها غدرأ في مدينتها بأن حمل الى حصنها رجالا في صناديق التجارة ثم خرجوا من الصناديق وقتلوا الزباء وأخذوا المدينة عنوة . وأما مدينة الزباء فقد قالوا انها المضيقي بين الحانوقة وقرقيسيا على الفرات ^(١) وقال ابن خلدون انها كانت تسكن على شاطئ الفرات . وقد بنت هناك قصرأ فكانت تربع عند بطن الحجاز وتصيف في تدمر

هذه خلاصة ما رواه العرب ^(١) من حديث الزباء وللباحثين مناقشات في هل الزباء هذه هي زينوبيا ملكة تدمر ؟ أم هي غيرها . وممن يرى أنها غيرها المستشرق الانكليزي ردهوس وله في ذلك رسالة ضافية ^(٢) والاب سبستيان رنزال اليسوعي رسالة جزيلة الفائدة في زينوبيا أو الزباء نشرت تباعاً في السنة الاولى من المشرق . اما رأينا فلا يساعد المقام على تفصيله وانما نقول بناءً على ما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب من آفات الاخبار ان القصة في أصلها واحدة وقد تشوهت بالانتقال على الالسنه

هل التدمريون عرب

يقال في التدمريين من حيث أصلهم ما قيل في النبطيين والمشابهة شديدة بين البلدين وبين سكانهما من أكثر الوجوه . فان بيوتات الشرف في تدمر عرب أصلهم من البادية من بقايا العماليقة ^(٣) وأقاموا هناك للتجارة فغلبوا على أهل المدن بما كانوا فيه من خشونة البداوة وعلو الهمة وكبر النفس وتدرجوا في مناصب الدولة حتى صاروا ملوكاً واتخذوا لغة الشام وهي حينئذ الآرامية للمخبرات الرسمية والتدوين كما اتخذها النبطيون . ولكن أسماءهم وطبائعهم وسائر أحوالهم تدل على عربيتهم . وفي لغتهم الآرامية صبغة عربية ^(٤) نعتي بقايا الاعراب في أواخر الكلام كما في النبطية

فدولة اذينة وزينوبيا في تدمر دولة عربية وان كانت آثارها آرامية للاسباب التي بينها في كلامنا عن النبطيين . وزد على ذلك ان أهل تدمر يقسمون الى اخاذ وهو تقسيم خاص بالعرب . فهم من بقايا العماليق كالنبطيين وان كانت لغتهم الرسمية الآرامية مثل لغة الانباط الرسمية واما لسان التكلم وجنسهم فعربيان

آثار تدمر

وقد وقف الناقبون على آثار تدمر قبل وقوفهم على آثار الانباط ووصفوا هياكلها وشوارعها وتماثيلها في القرن الثامن عشر وأشهر من زارها ووصف آثارها الفيلسوف

(١) الألفاني ٧٢ ج ١٤ وابن الاثير ٤٩ ج ١ وابن خلدون ٢٦١ ج ٢ وأبو الفداء ٧٣ ج ١

(٢) اسمها Were Zenubia & Zebba'u Identical (٣) ابن خلدون ٢٥٩ ج ٢

(٤) Ency. Brit. Art. Sem. Lang.

فولني الفرلساوي في أواسط القرن المذكور وله في ذلك كلام فلسفي مشهور . ثم زارها سواء ووصفوها وصوروا بقاياها - واليك أهم تلك البقايا :

أولاً : هيكل الشمس أو هيكل بعل . وهو مربع الشكل طول كل ضلع من أضلاعه ٧٤٠ قدماً بحيط به سور علوه سبعون قدماً وقبه من الاساطين الضخمة الباقية الى الآن ما يزيد على مئة اسطوانة صفوفاً منتظمة في أروقة على قممها نقوش يونانية . ويظن أن عدد هذه الاعمدة في الاصل يزيد على ٤٠٠ اسطوانة



١٣ - بقايا الرواق الأعظم في تدمر

ثانياً : الرواق الأعظم . وهو من عجائب تدمر يبدأ على مفتي من من الهيكل المذكور . وكان الرواق في أصل بنائه يتألف من شارع أوسط وشارعين جانبيين ويمتد على طول المدينة من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي . ومسافة ذلك نحو ٣٧٥٠ قدماً وعدد الاساطين نحو ٧٥٠ اسطوانة لا يزال نحو ١٥٠ منها قائمة . ارتفاع الاسطوانة ٥٧ قدماً ونرى في الشكل الثالث عشر صورة قسم من الرواق

لغة آثار تدمر وكتابتها

ለገንዘብ ጥገና ለማድረግ የሚያስፈልጉትን ሰነዶች ይጠቅሙ፡

[illegible][illegible][illegible]

ش ۱۴ - نقش تدمری علی شمال زینو بی

نطقه بالحروف العربية سطرّاً سطرّاً

۱ صامت سفت طمیا بت زیبای نهیرتا وز دقتا

۲ ما کہتا فقط میوا زبدا رب حیلہ

۳ ربا وزبای رب حیلا دی تدمور قرطسطاوا

٤ اقليم المرتون بيرح اب دي سنة ٥٨٢ (١)

ترجمته باللغة العربية سطرّاً سطرّاً

١ تمثال سبتيميا بنت زبای الجلیاة والتقیة

٢ الملكة . ان السبتمائين زبدا القائد

٣ الاعظم وزاي قائد تدمر الفخيم

٤ : نصباه لببيدتهما في شهر آب سنة ٥٨٢ (من التاريخ السلوقي)

ومن أشهر المشتغلين بقراءة آثار تدمير السكونت ديفوجيه وهو يقسم تلك النقوش
أو الكتابات الى أربعة مجاميع الاول : نقوش بنائية على قواعد الاساطين والتمائيل .
الثاني : نقوش قبرية على المدافن . والثالث : نقوش دينية كالادعية والصلوات .

والرابع : نقوش سياسية . وأقدم كتابة قرأوها حتى الآن وجدوها منقوشة على قبر تاريخه سنة ٣٠٤ من التاريخ السلوقي وهي تقابل السنة السابعة قبل الميلاد . وقرأوا على اثنين من أعمدة الرواق الاعظم اسم اذينة وزينوبيا وبجانبها تاريخ يقابل ٢٧١ للميلاد (٥٨٢ سلوقية) وهو احدث تاريخ لهذه الدولة لأنها السنة التي سقطت بها . وبين هذين التاريخين كثير من الآثار المنقوشة وبعضها نقشوا بجانب أصله الآرامي ترجمته اليونانية وفيها كثير من النصوص التاريخية والسياسية والاجتماعية في مجملتها قرار من مجلس المدينة في ١٨ نيسان سنة ٤٤٨ سلوقية (أي ١٣٧ م) في عهد بونا بن بونا بن خيران الخ عن تعريف الضرائب وشروط جمعها وهي كتابة مطولة تدخل في مئة سطر وبجانبها الترجمة اليونانية (١)

تدمير مصر

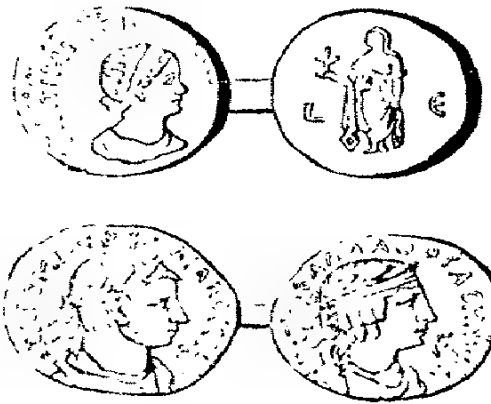
كانت تدمير مركز التجارة والسياسة في الشرق الروماني وما يليه فكانوا يحملون من جزيرة العرب الذهب والجزع واليشب واللبن والصمغ والصبر وعود الهند ويستجلبون من العراق لآلئ البحرين . ويحملون من وادي نهر السند وسواحل كرومندل انواع المنسوجات التي يتاجر بها الى يومنا أهل تلك البلاد . ويستحضرون من أقاصي الهند القرنفل والبهار والحرير الصيني والنيل والفولاذ والعاج والابنوس . وكانت هذه الاصناف تأتيهم على طريق البر . اما ما كان يردهم من طريق البحر فكان دون ذلك (٢) وكانوا ينقلون هذه الحاصلات والمصنوعات الى مصر والشام والعراق والى رومة وبيزانتيوم وغيرها من مدائن اوربا لان معظم ما كانت تزدان به مجالس القياصرة والملوك وأهل الثروة من الرياش الفاخر كان يحمل اليهم من الشرق على يد الانباط والتدمريين فضلا عن المعينيين والسبأيين وكلهم من أهل جزيرة العرب . وقدر بلينيوس قيمة ما كان يحمل الى رومة وحدها من تلك السلع بما يساوي ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات في العام

وكانت التجارة في العالم القديم بين الشرق والغرب تسير في طريقين الاول في البحر الاحمر الى مصر والاسكندرية والآخر من خليج العجم فبادية الشام الى مصر . فالتجارة البرية كانت قبل الميلاد وبسيدة تسير بطريق بطرا فلما سقطت بابل القرن الثاني للميلاد تحولت الى تدمير كما تقدم . وكانت التجارة تحمل بين تدمير والشام على مركبات تسير في طرق مرصفة ولها محطات للراحة وقلاع للحصار فضلاً عن القوافل . واما من جهة

الفرات فلم يكن فيها شيء من ذلك . وكان لتدمر فائدة مضاعفة من تلك التجارة لأنهم كانوا يكتسبون المربحة بالبيع والشراء ويتقاضون على ما يمر بهم ضريبة معينة

إذا وقفت على اطلال تدمر ونظرت الى بقاياها واقاض هياكلها وقصورها وأروقتها ورجعت بخيالك الى سابق مجدها تصورت الناس يروحون ويحيئون في شوارعها المحفوفة بالاساطين والاروقة بين ايديهم أحمال السلع من المنسوجات والمصنوعات والحاصلات من الزيت والحنطة والعنب والتين والحمر والاطياب والعطور والرقيق المحمول من مصر وآسيا الصغرى والناس يتزاحمون تحاك مناكبهم وتتداس أقدامهم وفيهم اليهودي والارمني والفارسي والرومي والسبائي أو الحميري والنبطي والبدوي وقد علا صياح الباعة أو السماسرة للمزايدة أو المساومة

ويؤخذ من استنطاق الآثار ان التدمريين كانوا طبقتين مثل سائر سكان المدن في تلك الاعصر طبقة الخاصة وطبقة العامة وكانت خاصة التدمريين عبارة عن بيوتات قليلة هم أصحاب الثروة والنفوذ يقيمون في القصور الفخمة وحولهم جمهور الامة من الفقراء والعمال يأوون الى أكواخ صغيرة وهيئاتهم الاجتماعية مع تأثير المدن الروماني عليها ما زالت شرقية



ش ١٥ - نقد زينوبيا ووهب اللات

وللدولة التدمرية نقود بشكل نقود الاسكندرية عليها كتابة وصور . وفي الشكل الخامس عشر مثالان منها الاول نقد زينوبيا على أحد وجهيه صورة رأسها وكتفيها وحول الصورة اسمها بالاحرف اليونانية هكذا « زينوبيا » وعلى الوجه الآخر صورة أخرى . والنقد الآخر عليه صورة رأس ووهب اللات واسمه ولقبه



اسم متفرقة

في شمالي بلاد العرب

نوم يخلف النبطيون والتدمريون آثاراً منقوشة بالحرف الآرامي الذي اقتبسوه من أهل الحضارة لضاعت أخبارهم كما ضاعت أخبار ميثاق من القبائل التي كانت تقيم في أعالي الحجاز على عهد التمدن القديم . على أن بعضها ذكره اليونان في وصف جغرافية بلاد العرب والبعض الآخر جاء ذكره عرضاً في أثناء الكلام عن الدول الأخرى . ووردت أسماء بعض الأمم العربية في جملة ما فتحه الآشوريون أو المصريون من بلاد العرب منذ كرها في كلامنا عن تلك الفتوح . أما قبائل العرب التي عرفها اليونان في شمالي الحجاز ولا نعرف لها دولا فنذكر أهمها مبتدئين من حدود مصر ونسير شرقاً إلى الفرات وبجانب كل واحد الاسم العربي الذي يظن أنه محرف عنه :

Saracene	(السراسين)	الشرقيون ؟
Sakanitae	(سكانيته)	السكون
Oaditae	(واديته)	عاد ؟
Laenitae	(لانيته)	لحيان
Chaulothaei	(خولوثايه)	بنو خالد
Zamarini	(سماريني)	شمّر

وغيرها . وليس لهذه القبائل أخبار تستحق الذكر إلا ما قد يجيء عرضاً في الكلام عن الدول الأخرى . من ذلك ما وصل إلينا عن قبيلة السراسين وهي من القبائل التي عرفها اليونان في جزيرة سينا ووراءها شرقاً . واصل هذا الاسم مجهول ويظن بعضهم أنه تحريف « الشرقيين » في العربية وقال آخرون أنه تحريف الصحراويين أو السراقيين أو الشركاء أو غيرهم . وقد اشتهر هذا الاسم عند اليونان حتى أطلقوه على كل سكان جزيرة العرب

ومن أخبار السراسين عند اليونان أنهم كانوا لا ينفكون عن مهاجمة حدود مصر منذ القدم والدولة الرومانية لم تكن تستطيع كف أذاهم إلا بمأهديات عقدتها معهم تدل على ضعفها عن مناوأتهم وشعورهم بذلك الضعف . واتفق في أواسط القرن الرابع الميلادي أن ملكهم مات فخلفته امرأته واسمها ماوية . وقد جاء هذا اللفظ اسماً لـ

للسماء أم المنذر أحد ملوك الحيرة (١) - خلّدت ماوية نفسها من قيود المعاهدة وحملت برجالها على فلسطين وسوريا واستولت على مدينة بطرا وعمت مصر حتى انت بردخ السويش فاضطر الامبراطور فالانس الى تجديد المعاهدة بشروط اوفق لاهاجمين . وكان بين السراسين جماعة كبيرة من المسيحيين ولذلك كان في جملة تلك الشروط ان يكون لهم اسقف خاص بكنيستهم فساهموا لهم اسقفاً اسمه موسى واصبح اولئك العرب بعد هذا العهد حلفاء المصريين ينصرونهم على اعدائهم (٢)

ويؤخذ من الامعان في تاريخ المملكة الرومانية الشرقية ان مدر سوريا كثيراً ما دخلت في سلطة العرب ولا سيما المدن القريبة من البادية مثل حمص وحماه والشام والرها فضلاً عن مدن حوران والبلقاء وغيرها . ولما قدم بومبيوس على مصر في القرن الاول قبل الميلاد كانت حمص في حوزة دولة عربية وغيرها من مدن الشام في حوزة دول أخرى من أسماء ملوكها عند اليونانيين Azizus و Antiochus و Soemius وغيرها ويرى دوسو ان الدولة الايتورية عربية وكانت تحكم جبل الشيخ (٣) وهناك امم شتى لم يذكرها التاريخ سياً في ذكرها عرضاً في كلامنا عن فتوح الامم المجاورة وبعضها قديم العهد جداً عاصرت عمالة مصر (الشاسو) أو تخدمتهم بازمان مثل عرب مديان وادوم وسائر جزيرة سينا وما حوالها

غزو المصريين بلاد العرب

من سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٦٦٦ ق م

اقدم من غزا بلاد العرب من الدول المجاورة المصريون وأول من فعل ذلك منهم احبس مؤسس الدولة الثامنة عشرة ومنقذ مصر من دولة العمالة (الشاسو) فانه بعد ان أخرجهم من اواريس وسائر القطر المصري طاردهم الى أواسط جزيرة سينا نحو سنة ١٧٠٠ ق م ثم اضطر الى الرجوع لرد هجمات الاثيوبيين والنوبيين عن بلاده (٤) وكانت بلاد العرب وسائر المشرق قبل دولة العمالة مجهزة عند المصريين كما كانت أواسط افريقيا عند أهل الاجيال الوسطى . فلما نهضوا لمطاردة العرب وأخرجوهم من حدود مصر تنهبوا لما وراء ذلك من الامم المتمدنة في بابل وفينيقية وغيرها كأن

(١) ابن الاثير ١٩٥ ج ١ (٢) Sharpe, 11 293 (٣) Dussand, 10 & 11

(٤) Brugsch, I. 284

استبداد العمالة حرك خواطهم وجعلهم أمة حية ونههم الى توسيع دائرة ملكهم .
 وظهر من تلك العائلة تحوطمس الثالث الفاتح المصري العظيم نابليون الفراعنة وحمل
 بجيشه على الشرق في القرن السادس عشر قبل الميلاد فقطع برزخ السويس واكتسح
 أعالي جزيرة العرب وسوريا وفلسطين وفينيقية وما بين النهرين . وذكر في جملة
 الذين غلبهم من الساميين عرب الشاسو الذين كانوا حكاماً على بلاده . وبلغت الحملات
 التي جردها على بلاد الشرق ١٠ حملة . وفي الآثار المصرية نقوش نقشها تحوطمس
 وذكر فيها البلاد التي فتحها والغنائم التي حملها . ومن جملة البلاد المفتوحة ما بين النهرين
 وخيتا (بلاد الحثيين) وسنغار (شنغار) ولبنان وقبرص وفينيقية وعرب الشاسو
 ولوذم (اللاوذيون) . فضلاً عن القوائم التي ذكر فيها ما فتحه من بلاد النوبة
 والحبشة وما وراءها وعدنها جميعاً ٢٦٩ مدينة (١)

ومنهم رعمسيس الثالث من العائلة العشرين وهو أكثر الفراعنة انغلا في بلاد
 العرب واسمه في اللغة المصرية ها كون نبغ نحو سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وهو آخر
 عظماء الفراعنة وكانت مصر لما تولاه في ضحك واضطراب وقد طمع بها جيرانها
 الساميون (٢) فشمر عن ساعد الجد واصلاح داخلتها . ثم حول أعنة خيله نحو البلاد
 التي كانت تهدد مصر برأ وبحراً وبني أسطولا كبيراً أنزله البحر الاحمر وسافر فيه
 لارتياح بلاد الفونط (الحبشة والصومال) والارض المقدسة (بلاد العرب) وغرضه
 الرئيسي تسهيل سبل التجارة البحرية بين مصر واقصى الشرق ولم يكن له بد من
 توطيد العلاقات الودية بين مصر وشواطئ ذلك البحر واليمن في جملتها . وانشأ أيضاً
 طريقاً للقافلة منتظماً من القصير على البحر الاحمر الى ففت على النيل . وانشأ خطوطاً
 تجارية منتظمة بين الاوقيانوس الهندي والنيل بطريق بلاد العرب . وبعث الى جزيرة
 سينا وفدأ لاكتشاف معدن الذهب وغيره من الخيرات التي كان اسلافه يعرفونها .
 وكثيراً ما كانت الدول القديمة تطمع ببلاد العرب رغبة في ذهبها واقتدى به رعمسيس
 الرابع سنة ١١٦٦ ق م فافتتح طريقاً مختصراً الى بلاد العرب وكان الطريق
 اليها طويلاً

غزو الاشوريين بلاد العرب

من سنة ٩٠٠ الى سنة ٦٥٢ ق م

لما استولى الاشوريون على بابل توجهت مطامعهم الى بلاد العرب رغبة في الغنائم والتماساً للمعادن الثمينة لاشتهار تلك البلاد يومئذ بمناجم الذهب كما سنبينه في فصل خاص . أما الملوك الاشوريون الذين غزوا بلاد العرب أو فتحوها فهم :

١ : تغلات بلاسر : هو أول من حمل عليها منهم ويعرف بتغلات بلاسر الثاني غزاها في القرن التاسع قبل الميلاد على أثر حربه في سوريا فاصاب قبيلة من العرب على حدود مصر عليها ملكة اسمها حيبية ^(١) وظن بعضهم انها قبيلة المراسين التي ذكرنا حربها مع مصر لانها كثيراً ما كانت تولي النصارى على حكومتها ولكن الزمن بين الحادثتين يزيد على ١٢ قرناً . نخلع تغلات بلاسر الملكة واقام مكانها رجلاً من خاصته



ش ١٦ - سرجون الثاني ملك أشور بيده الصولجان

٢ : سرجون : ويعرف بسرجون الثاني (حكم من سنة ٧٢٢ — ٧٠٥ ق م) واتفق في أيام هذا الملك ان العرب في أعالي الحجاز غزوا السامرة ونهبوها وكانت في حماية الاشوريين فعمل سرجون على الانتقام بالشدة والعنف وعزم على اكتساح بلاد

(١) Rawlinson II. 396

العرب كلها فاوغل فيها سنة ٧١٥ ق م حتى قطع البوادي الى أقصى البلاد العامرة وهو اول من بلغ الى هناك من الفاتحين . وذكر في جملة القبائل التي اخضعها او الملوك الذين ضرب عليهم الجزية : نمود . ويشعر السبائي . وشمسية ملكة العرب — لعلها من خلائف حبيبة التي تقدم ذكرها . وهذا نص قوله على القرميدة كما قرأوها . فبعد ان ذكر فتوحه في الشام ومصر وبلاد العرب قال :

« ووضعت الجزية على فرعون ملك مصر وشمسية ملكة العرب (عربي) ويشعر السبائي (او يشعر السبائيين) وأخذت حاصلات الذهب من جبالهم والخيول والجبال » وقال في قرميدة أخرى :

« ان قبائل نمود وعباديد ومرسمان وخيبا من قبائل العرب سكان البادية الذين لم يصل خبرهم الى حكم ولا عالم ولم يدفعوا الجزية لاحد قبلي كل هذه الامم غلبتها باسم اشور الهى ونقلت بقاياها الى سامريا » (١)

٣ : سنحاريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق م) وتولى سنحاريب بعد سرجون وله وقائع وفتوح في الشام وفلسطين وغيرها مذكورة في الكتاب المقدس . وقد وقفوا في آثار بابل على ما يؤيد ذلك بقرميدة اسطوانية مسدسة الجوانب ذكر فيها فتوحه في ارض الحثيين وصيدا وقبرص وارواد ومواب وادوم وعسقلان وغيرها حتى بلغ الى أعماله في غربي بلاد العرب وشمالها أي حوالي جزيرة سينا وهي من اقدم بلاد العرب عمراماً . فكان من جملة البلاد التي حاربها مالوق او مالوكا التي تقدم ذكرها وتغناه ذكر انه حاصرها وفصل حربه في غزوه يهوذا وامتدح شجاعة العرب الذين نصرروا تلك الامم عليه (٢)

٤ : اسرحدون (٦٨١ — ٦٦٨ ق م) واقتفى اسرحدون اثر اسلافه في الفتوح فخارب مصر وفينيقية وصور نفسه يقود ترهاكة ملك مصر وبعل ملك صور بحبل ونقش أعماله على تلك الصورة كما ترى في الشكل (١٧) وبعد ان ذكر حربه بمصر وصور وقبرص فصل فتوحه في الشام فذكر امم كل بلد وملسكها واوغل في بلاد العرب . وبين البلاد التي فتحها هناك بلد سماه « بازو » قال انه في أقصى المعمور وراء البادية قطع اليه ٤٩٠ ميلاً في يدها تكثر فيها ربح السموم و ٧٠ ميلاً في أرض عامرة ولم يبق وراء ذلك غير الجبال والمظنون انه يعني البحرين او ما يجاورها وهو اول من بلغ الى هناك من ملوك اشور . وان قصبة بلاد البازو تدعى « يدبع » يحكمها ملك اسمه « ليلا » فاخضعه لسلطانه (٣)

(١) Clay, 336 - 338 و Glaser, 112 & 317 (٢) Clay, 343

(٣) Library of Universal History, I. 179

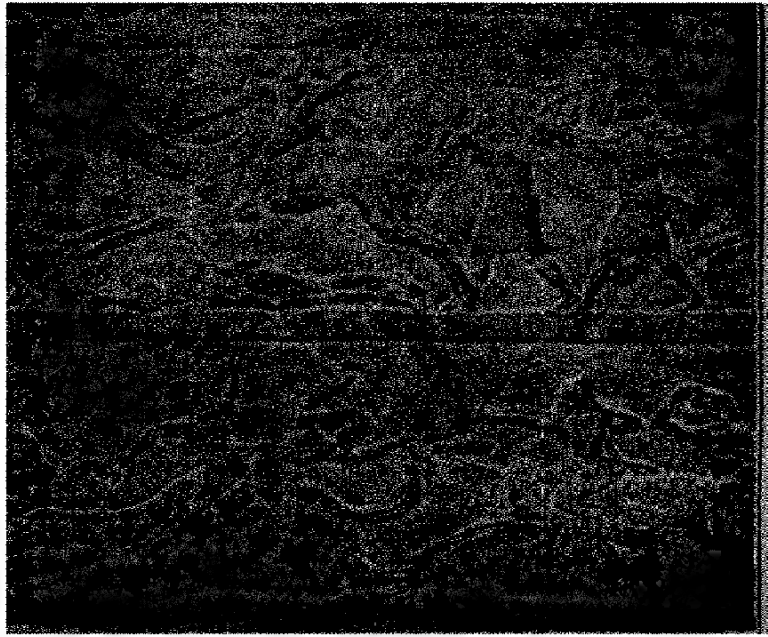


ش ١٧ - اسرحدون ملك آشور

وجاء في جملة أخبار فتوحه مدنٌ اكتسحها في الجامة وأخضع ملوكها وهم «قيس ملك قدل واكبر ملك النبط ومعن ساق ملك بجلان ويافع ملك دبخر وخبس ملك قحطبة وغيرهم» (١)

٥ : اشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٠٥ ق م) غزا قبيلة من العرب كانت قد أعانت عدواً نازعه الملك وأميرها اسمه ويتحة له حلفاء من قبائل العرب منهم ثانات ملك النبطيين ويوتحا بن حزايل ملك قيدار فجرت معارك كبيرة ما بين الفرات وخليج العجم الى الشام فغلبهم الاشوريون واستولوا على ادوم وبطرا ومواب وآخر معركة جرت في مكان اسمه خوخورونا قرب دمشق انهزم فيه العرب وقبض الاشوريون على الاميرين اللذين نصرا عدوم وحملوها الى نينوى وقتلوا على مرأى من الناس (٢)

٦ : نبوخذ نصر (٦٠٥ - ٥٦٢ ق م) كل ما تقدم ذكره من فتوح الاجانب في جزيرة العرب لم يعرفه مؤرخو العرب ولا ذكروا شيئاً منه في كتبهم أو اوردوه في أخبارهم الا نبوخذ نصر هذا وهم يسمونه بختنصر فقد ذكروا انه حارب معد بن عدنان وهذا قولهم « وسار بختنصر الى معد فلقى جموع العرب فقاتلهم وهزمهم واكثر فيهم وسار الى الحجاز فجمع عدنان العرب والتقى هو وبختنصر في ذات عرق فانتلوا قتالا شديداً فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون هناك واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه فكان بختنصر كميناً وهو أول كمين عمل وأخذتهم السيوف فنادوا بالويل ونهى عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان وافترقا » (١)



ش ١٨ - حرب على جالم يطاردون الاشوريين

ولم يعثر النقبون في الآثار على ما يؤيد ذلك وأما بروسوس مؤرخ السكادان فقد ذكر في كتابه ان بختنصر حارب العرب وغزا بلادهم (٢)



غزو الفرس وغيرهم بلاد العرب

الفرس

قد رأيت في ما تقدم ان جزيرة العرب مما يلي العراق اصبحت من القرن التاسع قبل الميلاد مرسحاً للملك اشور يكتسحها الواحد بعد الآخر وقبائلها تؤدي الجزية ولو مؤقتاً على غير نظام . فلما انتقلت اشور الى حكم الفرس على يد قورش دخل حيراتها العرب في ما دخلت فيه فكانوا يؤدون الجزية للفرس من بخورهم ولبانهم كل سنة الف وزنة ^(١) ولذلك لما حمل قمبيز على مصر كان العرب عوناً له على المصريين يعدون له الماء في البادية ^(٢) ولما حمل الفرس على اليونان كانت العرب في جملة تلك الحملة بابلهم واحمالهم وجمالهم في المؤخرة لئلا تجفل الجمال فيضطرب الجيش ^(٣)

ثم تبدلت الاحوال فشق العرب عصا الطاعة على الفرس وطمعوا بالخروج الى بلاد فارس من البحرين في أيام سابور ذي الاكتاف وكان صغيراً فاستضعفوه فسار منهم جمع غفير من عبد القيس عبروا خليج العجم الى بلاد فارس وسواحل اردشير خره وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعايشهم وغلبت اياد على سواد العراق واكثرها من الفساد فيها فكثروا حيناً لا يغزوهم أحد فلما كبر سابور واشتد ساعده اوقع في اولئك العرب وقتل واسر وقطع الخليج الى البحرين ^(٤) والنجامة والقطيف من فرسان عسكره عدة اختارها وسار بهم الى العرب وقتل من وجده منهم ووصل الى الاحسا والقطيف وشرع يقتل ولا يقبل فداء وورد المشقر بالنجامة وبه اناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فسفك من دماهم ما لا يحصى وكذلك سار الى النجامة وسفك بها ولم يمر بماء للعرب الا غوره ولا بئراً الا طمها ثم عطف على ديار بكر ورييمة فيما بين مملكة فارس ومملكة الروم في الجزيرة وصار ينزع الاكتاف العرب قالوا ولذلك سمي ذا الاكتاف ^(٥) وذكروا نحو هذه الغزوة لاردشير على البحرين فحاصرها مدة والقي ملكها نفسه في البحر ^(٦)

الروم

اما اليونان فقد رأيت انهم حاولوا فتح بلاد العرب ولم يظفروا او نوى احدهم ولم يشرع كما اصاب الاسكندر الكبير فقد ذكروا انه كان عازماً على فتحها فعاجله الموت .

والرومان لم يطمعوا فيها الا أيام أوغسطس فانفذ تلك الحملة بقيادة اليوس غالوس فعادت بالفشل وقد ذكرنا خبرها في كلامنا عن دولة الانباط

فترى مما تقدم ان لعرب الحجاز وما يليه تاريخاً طويلاً لم يعرفه العرب ولا ذكروه في كتبهم . وآلت حروبهم طبعاً الى اختلاطهم بالامم المجاورة ونزوح بعضهم الى الاطراف شرقاً وغرباً يفتنمون ضعف أهل الحضر شأنهم في كل زمان فنزل بعضهم في وادي النيل وتجاوز البعض الآخر ما بين النهرين الى بلاد فارس . فقد جاء في تاريخ الفراعنة أن العرب لما رأوا ضعف مصر بعد دولة الرعامسة وطمع الدول المعاصرة بها أخذوا يفدون اليها بانعامهم وخيامهم يسطون على مدنها ويشاغلونها كما فعلوا عند انقسامها قبل دولة العماقة ^(١) فنزلوا قفط وملكوها أجيالا وكانت مركزاً تجارياً تفد اليها القوافل القادمة من اليمن فالقصور فقفط حتى أصبح أهل قفط اكثرهم من العرب ^(٢)



الطبقة الثانية

دول اليمن او الجنوب

فداسكة جغرافية

يراد باليمن في التاريخ القديم ما يسميه اليونان Arabia Felix أي العربية السعيدة ولعلها ترجمة « اليُمن » من البركة لكثرة خيراتها بالنظر الى البادية في الشمال كأنهم يريدون بها بلاد العرب العامرة أو الحضر . ويحدها عندهم خليج المعجم من الشرق وبحر العرب من الجنوب والبحر الاحمر من الغرب ويسمونه خليج العرب . واما من الشمال فتحدها البادية وهي بادية الشام والعراق والعربية الحجرية (بلاد بطرا) ويدخل في بلاد اليمن على هذا التحديد اليمن وحضرموت والشحر وعمان والعروض ومعظم الحجاز وتهامة ونجد وغيرها

واختلفت أقسام بلاد اليمن وأسماء مدنها باختلاف الاعصر واكثر المدن القديمة التي كانت قبل الاسلام خربت الآن وغطتها الرمال فاصبحت بادية بلا ماء ولا عمارة وفيها يبحث المقابون عن الحلال مدائن الدول القديمة ومنها نقل ارنو وهاليفي وغلاذر وغيرهم نقوش المسند واستدلوا بها على أخبار تلك العصور الحالية مما لم يذكره العرب ولا اليونان

اما العرب فيريدون باليمن الجزء الجنوبي الشرقي من جزيرة العرب فقط وهو يقسم عندهم الى ٨٤ مخرافاً ذكرها اليعقوبي كلها (١) والمخراف تحتها مدن ومخافد وقرى وفيه الاودية والجبال والسدود والسيول . واشهر مخراف اليمن مخراف شبوة ومخراف مأرب ومخراف الممافر والسحور وذي رعين وجيشان ورداع وذمار وأهوان وحراز وهوزن وحضور واقيان وخولان وغيرها . وقد فصل الهمداني كل مخراف بقراء وأوديته وجباله في كتابه « صفة جزيرة العرب » على ما كانت عليه في ايامه باوائل القرن الرابع للهجرة وهو أوثق المصادر عن جزيرة العرب وأوقاها . واليعقوبي أقدم منه وقد ذكر مخراف اليمن كما كانت في أواسط القرن الثالث للهجرة . ومع ذلك فان ما ذكره هؤلاء أحدث كثيراً من التاريخ الذي نحن في صددنا لان مداره على مدن

وقبائل ودول لم يبق غير أسمائها وبعض انقاضها وكان معظمها في أواسط اليمن وشرقيها في ما يعرف اليوم باليمن والجوف وحضرموت وما وراءها واشهر المدن اليمنية التي عاصرت ذلك التاريخ مأرب أو سبا ومعين وصرواح ونجران وصنعاء وشبوة وشبام وتريم وظفار وريدان ويثيل والسوداء والبيضاء وحيران وميفع وغيرها (انظر الخريطة الثانية من هذا الكتاب) ومعظم هذه البلاد تخربت قبل الاسلام ولم يبق غير أسمائها وبعض انقاضها وسيأتي ذكرها ووصف بعضها في الكلام عن عمارة اليمن

ما يقوله العرب عن دول اليمن

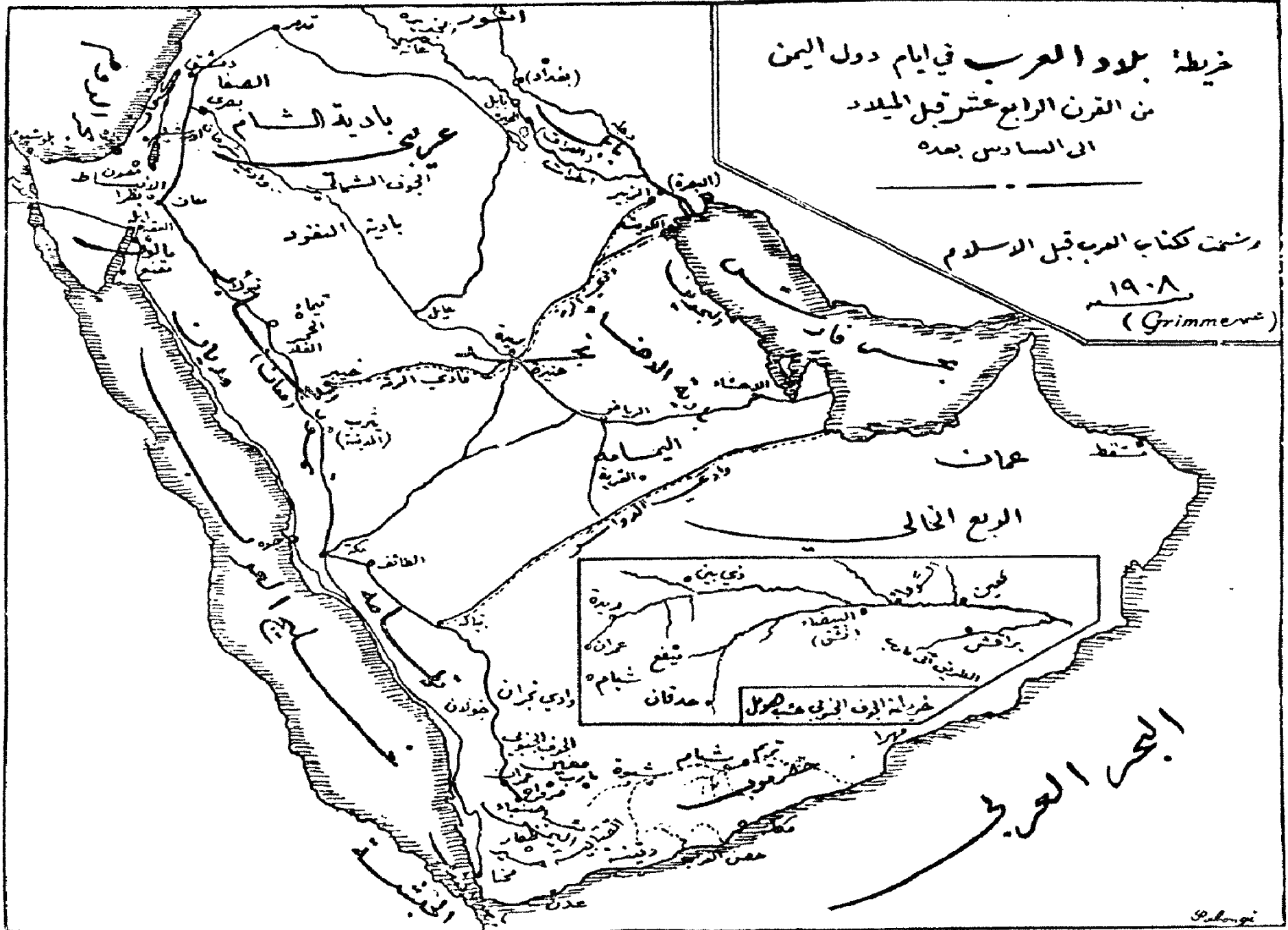
ليس في تواريخ الامم اسقم من تاريخ العرب على الاجال واليمن على الخصوص وقد عانى سقمه وشعر باختلاطه وضعفه كل من هم بالكتابة فيه حتى القدماء فقد قال ابن خلدون « وفي انساب التباينة تخالط واختلاف لا يصح منها ومن أخبارها الا القليل » (١) ولكننا عاملون على ايضاح ذلك وتحقيقه بقدر الامكان

ينتسب عرب اليمن الى يعرب بن قحطان ويعرفون بالعرب المتعربة لانهم تعربوا أي اقتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة وهي البائدة . ويزعم مؤرخو العرب ان بني قحطان لما نزلوا اليمن كان فيها بقية من العرب العاربة والدولة فيهم والقحطانيون يومئذ يعبدون عن رتبة الملك والترفع الذي كان لاولئك فاعصبوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق اليه الترف والنضارة فتشعبت في أرض الفضاء فصائلهم وتعددت أخفادهم وعشارهم حتى زاحموا من كان هناك من العمالقة فأبادوهم وانشأوا الدولة القحطانية على انقاضهم . وذكروا ان اول ملوك هذه الدولة يعرب بن قحطان غلب على قوم عاد في اليمن والعمالقة في الحجاز وولى اخوته على جميع أعمالهم فولى جرهماً على الحجاز وعاد ابن قحطان على الشحر وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر وعمان بن قحطان على عمان (٢)

وذكروا بعده ابنه يشجب بن يعرب وبهذه ابنة عبد شمس وهو سبا بن عموا انه سمي بذلك لسكثرة سبيه وانه هو الذي بنى السد الشهير في أرض مأرب . وخلف سبا المذكور عدة اولاد أشهرهم حمير وكملان ولما مات سبا خلفه ابنه حمير . مؤسس دولة حمير . وهي عندهم طبقتان الملوك والتباينة وملوك حمير اختلفوا في عددهم وعصورهم وتواليهم ولكنهم

خريطة بلاد العرب في أيام دول اليمن
من القرن الرابع عشر قبل الميلاد
إلى السادس بعده

رسمت كتاب العرب قبل الإسلام
١٩٠٨
(Grimmev)



الخريطة الثانية — بلاد العرب في أيام دول اليمن القديمة

اتفقوا في ان آخرهم « الحارث الرائش » وهو أول التباينة . وهذا جدول قابلنا فيه بين توالي ملوك هذه الدولة باختلاف الرواة بين حمير والحارث والرئاش :

المسعودي	ابن خلدون	ابو الفداء	التقيصة الحميرية
حمير	حمير	حمير	حمير
كملان	وائل	وائل	الهميسع
أبو مالك	السكسك	السكسك	ايمن
جبار بن غالب	يعفر	يعفر	زهير
الحارث	النعمان	ذو رياش	عريب
	ذو رياش	النعمان	النوث
	اشمح	اشمح	وائل
	الحارث	شداد	عبد شمس
		لقمان	زهير الصوار
		ذو سدد	ذو يقدم
		الحارث	ذو انس
			عمرو
			الملطاط
			القليص
			سدد

الحارث الرائش

ولو راجعت أخبار دولة حمير في سائر ما كتبه المؤرخون لما وجدت اثنين متفقين في عددهم واسمائهم وتعاقبهم ويقول حمزة الاصفهاني ان بين حمير والحارث الرائش ١٥٠ اباً . أما اخبار هذه الدولة فهي اكثر تعقيداً واختلاطاً من اسماء ملوكها ويقولون انها كانت قبل الحارث الرائش شطرين يحكم أحدهما في سبا والآخر في حضرموت فلما ظهر الحارث المذكور فتح البلدين جميعاً وتبعوه ولذلك سمي تبعاً ^(١) وهو أول التباينة

التباينة عند العرب

والتباينة عند العرب أولهم الحارث الرائش وآخرهم ذو جدن حكم بعد ذي نواس

(١) حمزة ١٢٤

الذي غلبه الاحباش وأخذوا اليمن منه . وعندهم بين الحارث المذكور وذو جدن تبابعة
اختلفوا في أسمائهم وتعاقبهم وهذا جدول اسمائهم وسني حكمهم عن حمزة الاصفهاني :

اسم الملك	مدة الحكم	اسم الملك	مدة الحكم
اسعد ابو كرب	١٢٠	الحارث الرائي	١٢٥
حسان بن تبع	٧٠	ابرهة ذو المنار	١٨٣
عمرو بن تبع	٦٣	افريقس بن ابرهة	١٦٤
عبيد كلال	٧٤	العبد ذو الازعار	٢٥
تبع بن حسان	٧٨	هداد بن شراجيل	٧٥
مرثد بن عبيد	٤١	بلقيس بنت هداد	٢٠
وليعة بن مرثد	٣٧	ناشر يثعم	٨٥
ابرهة بن الصباح	٠٠٠	شمر يرعش	٣٧
صهبان بن محرت	١٥	ابو مالك	٥٥
حسان بن عمرو بن تبع	٥٧	تبع بن الافرن	٤٣
ذو شنار	٢٧	ذو جيشان	٧٠
ذو نواس	٢٠	الافرن بن أبي مالك	١٦٣
ذو جدن آخر التبابعة	٨	كليكرب	٣٥

فعدد التبابعة على هذا الجدول ٢٦ تبعاً حكموا نحو ١٢٠٠ سنة

فتح الاحباش اليمن حسب رواية العرب

ويلى التبابعة في اليمن الاحباش دعاهم الى فتحها رجل من اليمن اسمه ذو ثملبان
انتقاماً من ذي نواس لانه اضطهد نصارى نجران وعذبهم فحمل صاحب الحبشة على
اليمن بسبعين الفا من الرجال فقرّ ذو نواس حتى اقتحم البحر وغرق فيه فخلفه ذو جدن
فقتلوه ايضاً واقام الحبشة في اليمن وقادهم ابرهة الاشرم . وأراد ابرهة هدم الكعبة
فسار اليها في عام الفيل فهلك جيشه بالطير الابابيل وخلفه يكسوم ابنه وساء معاملة
الجنبيين فذهب سيف بن ذي يزن ابن احد ملوكهم الى كسرى واستنصره فنصره
وأرسل معه جنداً اخرج الاحباش من اليمن وولى سيفاً المذكور تحت سيطرته فغدر
بسيف رجال بطانته وهم من الاحباش فقتلوه ولم يملك أحد بعده بل استقل أهل كل

ناحية بما لديهم على مثال ملوك الطوائف وظلت سيطرة الفرس على اليمن حتى ظهر الاسلام فدخلت في حوزة المسلمين

وقد جمع أخبار هذه الدولة نشوان بن سعيد الحميري من أهل القرن الخامس للهجرة في قصيدة تعرف بالقصيدة الحميرية . أتى فيها على مقدمة في بضعة آيات بحكمة زهدية مألها التذكير بفناء الدنيا ومصير كل شيء إلى البوار . يلي ذلك إيراد أمثلة من الدول الضخمة التي أفناها الزمان كداد وثمود حتى يصل إلى دولة حمير فيذكر قحطان فيعرب ومن بعده من التبابعة والاذواء والافياء وغيرهم في نحو ١٣٥ بيتاً ضمنها خلاصة أخبارهم أغفلنا نشرها لطولها فن أراد الاطلاع عليها فليراجعها في مكانها ^(١)

هذه خلاصة تاريخ اليمن في كتب العرب واذا قابلت بين رواياتهم رأيت اختلافاً كثيراً وتناقضاً كبيراً . فهم مختلفون في أسماء الملوك والتبابعة وفي تتابهم وفي مدات حكمهم وفي سير المشاهير منهم واكثره مبالغ فيه وبعضه أقرب إلى الحرافات منه إلى الحقائق كنتقديرهم مدات حكم التبابعة الاول اكثر من خمسمائة سنة غير حكم تبع بن الاقرن وأسعد ابو كرب . وقولهم مثلاً ان افريقس بن ابرهة غزا أرض المغرب وبنى مدينة افريقية وساق البربر اليها من أرض كنعان وابعد المغار في تلك البلاد إلى أقصى العمران . وان شمر يرعش غزا المشرق فدوخ خراسان وهدم مدينة الصفد وبنى سمرقند وانه وجد في مصنعة كتابة حميرية ابتداءها « باسم الله هذا ما بناه شمر يرعش لسيده الشمس » وقولهم أن أسعد ابو كرب غزا الصين والترك ^(٢) وغير ذلك مما يخالف العقل فضلاً عن نصوص التاريخ العامة . على أنه لا يخلو من حقيقة لا بد لنا من استخراجها ولا يكون ذلك الا بالمقابلة بينها وبين مصادر تاريخية غير عربية أو قراءة الآثار الباقية

ما يقوله اليونان عن تاريخ اليمن

لم يخص اليونان ولا سواهم من أتم التاريخ كتباً في تاريخ اليمن أو غيره من بلاد العرب ولكنهم ذكروها عرضاً في أثناء كلامهم عن الجغرافية العامة أو الرحلات أو غيرها وقد اشرنا إلى ذلك في كلامنا عن مصادر تاريخ العرب . واكثر كتاب اليونان ذكراً لبلاد العرب سترابون وبليينيوس وبريلوس وبطليموس ذكر كل منهم مدناً أو

(١) Himjarische Kasideh, Von Kremer, Leipzig, 1865

(٢) ابن خلدون ٥٣ ج ٢

أما أو احوال أخرى من أحوال بلاد اليمن بعضها يوافق ما ذكره العرب وبعضه يخالفه وذكروا مدناً وأما لم يعرفها العرب أي أنها لم ترد في تواريخهم أو جغرافيتهم وهذه أهم الأمم العربية التي ذكرها اليونان في القسم الجنوبي من جزيرة العرب :

الاسم اليوناني	ما يقابله في العربية	ومن المدن التي ذكرها هناك
Minaci	المينيون	Mariaba مأرب
Sabaci	السبأيون	Sabotta شبوة
Homeritae	الحميريون	Carnus القرن
Chatramotitae	الحضرميون	Nascus نشق
Gebanitae	الجبائيون	
Gerraei	القريون	
Catabani	القتايون	
Omanitae	العمانيون	
Sappharitae	الظفاريون	

وذكروا الطرق التجارية ووصفوا الأحوال الاجتماعية مما سنأتي عليه في محله . فترى بين ما ذكره اليونان من الأمم أو المدن أسماء أو مدناً لم يذكرها العرب أو ذكروها عرضاً بلا أهمية واليونان يقدمونها على أهم ما ذكره العرب . فالسبأيون مثلاً لم يعرف العرب عنهم شيئاً يستحق الذكر والمينيون لم يعرفهم العرب مطلقاً وهم عند اليونان أمة عظيمة ذات تجارة واسعة وشأن كبير ومثلهم القريون والجبائيون واعتبر ذلك في المدن أيضاً فإن مأرب لم يذكرها العرب إلا في عرض الكلام عن سدها وانفجاره وكذلك مدن شبوة والقرن ونشق وهي من أهم مدن اليمن في أبان مجدها

على أن الأمم والمدن التي تفرد اليونان بذكرها لم يستطع العلماء المستشرقون تعيين أماكنها ومعرفة ما يقابلها من الأسماء العربية إلا بعد استنطاق الآثار بتوالي التنقيب وقراءة الخط المسند المعروف بالحميري . وقد بلغ عدد ما اكتشفوه من النقوش في جنوبي بلاد العرب وحملوه أو حملوا صورته إلى أوروبا نحو ٢٠٠٠ نقش أو قطعة . وهذه أسماء الذين نقلوها ومقدار ما نقله كل منهم :

عدد النقوش	اسم الرحلة
١٠٣٢	ادورد غلازر
٦٨٦	يوسف هاليقي اكثرها عن المعينيين
٦٩	يوليوس اويتن » » »
٥٦	توماس ارنو
١٨٩	آخرون
٢٠٣٢	(الجملّة)

فاذا أخرج من هذا العدد النسخ التي جاءت مكررة وعددها نحو ٤٥٠ فالباقي ١٥٦٠ نقشاً أصلياً . وقد توصلوا بالتنقيب الى اكتشاف معين عاصمة المعينيين ونشق القرن او القرنة وشبوة وظفار وغيرها . واكتشفوا مدناً أخرى لم يعرفها مؤرخو العرب ولا ذكرها اليونان وانما قرأوا أسماءها على الآثار واكتشفوا اطلالها بين الرمال . وعرفوا ممالك وملوكا واخباراً لم يرد لها ذكر في التاريخ العربي ولا اليوناني . ونحن باسطون في ما يلي ما وصلنا اليه بعد الاطلاع على ما كتبه العرب واليونان وما اكتشفه النقبون من أساطير اليمن واحافيرها واطلالها وما جاء عن هذه البلاد وسكانها عرضاً في آثار الامم القديمة في اشور وبابل ومصر وغيرها

تمهيد في اصل حكومات اليمن

كانت اليمن في أقدم ازمانها واصل نظامها تقسم الى محافد (جمع محفد) والمحفد الى قصور والقصر كالحصن او القلعة يحيط به سور ويقم فيه شيخ أو امير او وجيه يحف به الاعوان والحاشية والخدم كما كانت حكومات بابل قديماً على ما بيناه في كلامنا عن دولة حمورابي . وهو يشبه نظام الاقطاع في الاجيال الوسطى باوربا . ويعرف صاحب المحفد أو القصر بلفظ « ذو » اي صاحب يضاف الى اسم المحفد فيقال « ذو غمدان » اي صاحب غمدان و « ذو معين » اي صاحب معين وتعرف هذه الطبقة من الحكام بالاذواء او الذوين وهم كالبأرونية او اللوردات في نظام الاقطاع . وكانت هذه المحافد عديدة لكل منها حكومة قائمة بنفسها وأشهر المحافد او القصور التي وصلت اليها اسماءها : غمدان وتلفم وناعط وصرواح وسلحين وظفار وشبام وبينون وريام وبرافش وروثان وارياب وعمران وغيرها وبعض هذه القصور بقي الى ما بعد الاسلام وذكره العرب ووصفوه كما سيجيء في كلامنا عن عمران اليمن

وقد تجتمع عدة محافد يتولى شؤونها امير واحد يسمى « قيل » جمعه « أقيال » ويسمى مجموع المحافد مع ما يلحقها من القرى والمزارع « مخلاف » وهو كالأكورة او الرستاق او القضاء يحكمه قيل او ملك صغير وينسب المخلاف الى اكبر محافده او الى المحفد الذي يقيم فيه القيل او الملك وقد تحول القصر او المحفد الى مدينة بعد ظهور الدولة وقد يبدل اسمه كما تحول قصر « ريدان » الى مدينة « ظمار » وسماعين الى « مأرب »

وكان الاقيال يتنازون ويتنازعون فيغير أحدهم على جاره وربما رجع عن غزوه لغير سبب وقد اشار الطبري الى ما تقدم بقوله « لم يكن للملوك اليمن نظام وأما كان الرئيس منهم يكون ملكا على مخلاف لا يتجاوزة وان تجاوز بعضهم عن مخلافه بمسافة يسيرة من غير ان يرث ذلك الملك من آباءه ولا يرثه ابناؤه إنما هو شأن شداد المتلصصة يغيرون على النواحي باستغفال اهلها فاذا اقدمهم الطلب لم يكن لهم ثبات وكذلك كان امر ملوك اليمن يخرج أحدهم من مخلافه بعض الاحيان ويبعد في الغزو والاغارة فيصيب ما يمر به ثم يتشمر عند خوف الطلب زاحفاً الى مكانه من غير ان يدين له احد من غير مخلافه او يؤدي اليه خراجاً » (١)

وكان اكثر اشتغال الاذراء والاقيال بالتجارة لتوسط بلاد اليمن بين الهند والحبشة والصومال ومصر والشام والعراق فكانوا ينقلون التجارة بين هذه البلاد بعد دخولها الى جزيرة العرب بالقوافل في طرق خاعة وقد ينبغ بين الاقيال او الذوين رجل ذو مطامع اهل للسيادة العامة فيمد سيطرته على جيرانه ويحيى نفسه ملكا وينظم مملكة يجعل محفده قصبته وتنسب المملكة اليه كما تقدم. ويتوالى الحكم في اعقابهم واهله فيتألف منهم دولة يطول بقاءها او يقصر ويتسع نفوذها او ينحصر حسب الاحوال. فنشأ على هذه الكيفية عدة دول لم يصلنا من أخبارها الا القليل ولم يعرف العرب منها الا دولة حمير. والذي بلغنا خبره من دول اليمن بما لدينا من اسباب العلم في الكتب او الآثار حتى الآن ثلاث دول رئيسية وهي المعينية والسبائية والحميرية غير الدول الصغرى

١ - الدولة المعينية

تنبيه العلماء الى هذه الدولة مما ذكره اليونان عنها . قال استرابون في كلامه عن بلاد اليمن « يشمل القسم الجنوبي من جزيرة العرب اربعة شعوب المعينيون (Minaci) وعاصمتهم قرنا والسبائيون (Sabaci) وعاصمتهم مأرب والقثانيون (Catabani) وعاصمتهم تمناء والحضروموتيون او الحضرميون وعاصمتهم شبوة » وذكر في مكان آخر ان المعينيين يحملون التجارة الى بطرا مدينة الانباط^(١) وذكر بليزيوس ان المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغاب والاغراس وذكرهم أيضاً ذيونيسيوس وبطليوس واطروا سلطتهم وسعة تجارتهم . ولم يكن العلماء يعرفون « معين » ولا اكتشفوا انقاضها فذهب بعضهم الى ان المراد بلفظ Minaci المانيون نسبة الى منى بقرب مكة . وقال آخرون غير ذلك حتى وُفق للمستشرق هاليفي الى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي في شرقي صنعاء واكتشف انقاض معين وقرأ اسمها عليها بالمسند وبجانبها براقش فتوجهت الانظار اليها . وبلغت النقوش السكنابية التي اكتشفها هاليفي في سفرته الى بلاد الجوف وحدها ٣٠٣ نقوش ٧٩ نقشاً في معين نفسها و ١٥٤ في براقش بالقرب منها و ٧٠ في السوداء وهي القرن في الآثار وكارنا او قارنا عند اليونان . وكشف مدينة نشق وهي ناسكوس Nascus عند اليونان ويسمونها العرب الآن البيضاء فذهب هاليفي ووافقه غلازر وغيره ان معين هي البلد التي تنسب اليها تلك الامة وهم المعينيون وان هذه المدن التي اكتشفها هاليفي في الجوف مدن معينة ولا سيما براقش واسمها على انقاضها « يثيل » . ويؤيد ذلك ورود اسم معين وبراقيش معاً في جملة ما حفظه العرب من اسماء المخافد في الجوف — قال الهمداني في كتاب الاكليل « مخافد اليمن براقش ومعين وهما بارقل جوف الرحب مقبيلتان فعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة » وفيها يقول مالك بن حريم الدلائي :

ونحني الجوف ما دامت معين^٢ بأسفله مقابلة عرادا
اما براقش فقائمة في أصل جبل هيلان قال فروة بن مسيك :
أحل بحار جدي عطيفاً معين الملك من بين البنينا
وملكنا براقش دون اعلی وانعم اخوتي وبني ايننا
وقال علقمة :

وقد أسوا براقش حين أسوا بيلقمة ومنبسط انيق

وحلوا من معين حين حلوا لمزهم لدى الفج العميق ^(١)
 وقرأ هالقي في ما اكتشفه من الآثار كثيراً من أسماء ملوك هذه الدولة وآلهما
 وعادات أهلها وغير ذلك حتى لم يبق شك ان الميعنيين ينسبون الى هذا المكان وهو
 الرأي المعول عليه الآن

ملوك معين

لم يذكر اليونان شيئاً عن ملوك هذه الدولة ولا اوردوا اسماءهم ولكن النقاين
 في الآثار وقفوا على اسماء كثير منهم وبلغ عدد الملوك الذين عثروا على اسمائهم في
 انقاض الجوف بمعين وغيرها ٢٦ ملكاً يشترك كل بضعة منهم باسم واحد ويتميزون
 بعضهم عن بعض بالالقباب اذ كانت للملوكهم سموت تفخيم مثل قولنا الغازي والقاتح
 والناصر والمنتصر ونحو ذلك. وهذه اسماءهم الآتية مرتبة حسب تشابهها :

اب يدع	(بدون لقب)	حفن بن اب يدع (ريام)
» »	يشيع (اي المنقذ)	حفن صديق بن يشع كرب
» »	ريام (» السامي)	» ريام بن اليفع ياسر
اليفع	(بدون لقب)	يشع ايل (بدون لقب)
»	يفيس (اي الشخير)	» » صديق
»	بامر (» السعيد)	» » ريام
»	يشيع (» المنقذ)	خال كرب صديق
»	ريام (» السامي)	هوفعت بن اليفع ريام
وقه ايل	يشيع (» المنقذ)	معدى كرب بن اليفع يشيع
» »	نبيط	تببع كرب بن يشع ايل ريام
» »	صديق (» الصادق)	ام يشع بن ابو كرب
» »	ريام (» السامي)	ابو كرب
حفن بن اب يدع	(بدون لقب)	يشع كرب (الجملة ٢٦ ملكاً) ^(٢)

وقد وجد الاستاذ مولر بعد درس النقوش الميعنية ان الحكومة في هذه الدولة كانت
 وراثية تنقل من الاب الى الابن وقد يتولى الاثنان معاً وان ملوك هذه الدولة كانوا

يعرفون في صدرها الأول بلقب « مزواد » كما كان ملوك سبأ في أوائل دولتهم يسمون « مكرب » وأهل هذين اللقبين يتضمنان معنى الكهانة فضلاً عن الحكومة فيكون المراد بقولهم « مزواد معين » حاكم معين وكاهنها قبل تحول الدولة الى الملك العضود مثل الباتيسي في بابل أيام الامارات الصغرى

وأمتد نفوذ المعينيين في ابان دولتهم الى شواطئ البحر المتوسط وشواطئ خليج العجم وبحر العرب أي انها شملت كل جزيرة العرب . ولا يظهر انها كانت دولة حرب وفتح بل كانت دولة تجارة مثل دولة الفينيقيين على شواطئ سوريا ودولة الانباط في بطرا واكثر دول اليمن . وكانت طرقها التجارية ممتدة في اواسط جزيرة العرب بين تلك البحور وانتشرت سيادتها ومستعمراتها شمالاً الى أعالي الحجاز بدليل ما وقفوا عليه من النقوش المميّنة في العلاء قرب وادي القرى وفي الصفا وفي حوران وغيرها وسنأتي على ذلك في كلامنا عن التجارة

ومع كثرة النقوش المميّنة التي عثروا عليها وقرأوها ليس ثمة اثر تاريخي يساعد على تنسيق حوادثها او مبدأ امرها على أنهم استدلوا على قدم عهدها بالاسباب التي تقدم ذكرها . ويؤخذ من نقش أثري قرأه غلازر (نمر ١٠٠٠) ان السبأيين افنوا المعينيين يوم كان ملوك السبأيين لا يزالون يلقبون « مكرب » ^(١) والظاهر أنهم غلبوهم على دولتهم وظل القوم يتعاطون أعمالهم التجارية فقد جاء ذكرهم مع القرين في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد والسبأيون يؤيد في ابان دولتهم ^(٢) ويرى الاستاذ مولر ان كارنا او قرنا التي ذكر استرابون انها قسبة المعينيين هي عاصمتها الحديثة وان معين عاصمتها القديمة ^(٣)

ولغة المعينيين كثيرة الشبه باللغة السبأية (لغة حمير) وحروفها واحدة تقريباً لكنها تختلف عنها اختلافاً واضحاً في ضمير المذكر الغائب فانه في المميّنة « السين » بدل الهاء في السبأية وسائر اللغات السامية الا البابلية والحبشية

أصل المعينيين

المشهور في تاريخ العرب ان دول اليمن بعد القبائل البائدة ترجع بانسابها الى قحطان فاذا صح هذا على دولتي سبأ وحمير فانه لا يصح على دولة معين لانها أقدم

Glaser, Geo. II. 10 (٢)

Glaser, Geo. II. 451 (١)

Müller, Burg. II. 58 (٣)

كثيراً من بني قحطان وقد جاء ذكر المعينيين في سفر الاخبار الثاني ٢٦ عدد ٧ حيث يقول « وأعانه الله (عزيا) على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار بعل وعلى المعونيين » ويظهر أنهم أقدم من ذلك كثيراً لأنهم عثروا على امة بهذا الاسم ذكرت في أقدم آثار بابل بين أخبار زرام سين سنة ٣٧٥٠ ق م على نصب عليه نقوش مسمارية جاء فيها « ان زرام سين حمل على معان (في جزيرة سين) وقهر ملكها معنيوم Manium (والميم للتونين في البابلية) وانه اقتطع حجارة من جبالها حملها الى مدينة الكاد ونحت حجراً منها جملة نصباً نقش على قاعدته خبر هذا الفتح ^(١) وجاء ذكر هذه الامة أيضاً مع امة ماليق في آثار بابل مرة أخرى سنة ٢٥٠٠ ق م وقد اشرنا الى ذلك في ما تقدم

وقد يتبادر الى الذهن أنهم المراد بقول المصريين القدماء « من » او « معن » men ويريدون بها امة من الشاسو عمالقة مصر في اثناء استيلائهم على وادي النيل ^(٢) كما ظن غلازر ولسكننا نستدل بما وقفنا عليه من أحوالهم الاجتماعية والسياسية والدينية ومن أسماء رجالهم وآلهتهم ان أصلهم من عمالقة العراق بدو الآراميين الذين كانوا في أعالي جزيرة العرب قبل ظهور دولة حمورابي بعدة قرون . فلما ظهرت هذه الدولة في بابل واقتبست ديانة السومريين وشرائعهم ونظاماتهم وسائر أحوال اجتماعهم كان المينيون في جملة القبائل التي نالت حظاً من ذلك كله وتنوعت لغتهم بالحضارة ومخالطة السومريين او الكاديين وغيرهم من سكان بين النهرين الأصليين فذهب منها الاعراب . ولم يظهر ذلك التغير في اللغة البابلية لأنها ظلت محفوظة بالتقليد لاستخدامها في المحاربات الرسمية كما تقدم ولكنه ظهر في لغة التكلم

فلما ذهبت دولة العرب في العراق نزع المينيون في جملة القبائل التي نزحت وقد عودت الحضارة فلم يمد يطيب لها التجول في البادية فالتفت مقرأ تقيم فيه فنزلت اليمن وتوطنت الجوف وشادت القصور والمخاقد على مثال ما عرفته في بابل . وتعالى رجالها التجارة عملاً بما تقتضيه طبيعة الاقليم واضطروا الى الكتابة لتدوين حساباتهم التجارية او المحاربات السياسية فاقتبسوا الابجدية الفينيقية لسهولة استعمالها وقرب تناولها بالنسبة الى الحرف المسماري فدوّنوا بها لغتهم وهي في الاصل لغة عامية بالنسبة الى لغة بابل المدونة . وتنوعت تلك الابجدية بتوالي الاجيال حتى صارت الى الحرف المسند المشهور

كما تولدت الاقلام الآرامية وأخذت عنهم السبائون والاحباش - وهذه هي الابجدية الحميرية مع ما طرأ على حروفها من التنوع حتى أصبح بعضها عدة أشكال :

ض	Ⲑ	ا	Ⲁ ⲁ Ⲃ
ط	Ⲑ	ب	{ ⲃ Ⲅ ⲅ Ⲇ ⲇ Ⲉ ⲉ Ⲋ ⲋ
ظ	Ⲁ ⲁ Ⲃ	ت	Ⲍ ⲍ
ع	Ⲏ	ث	ⲏ Ⲑ
غ	ⲑ Ⲓ ⲓ Ⲕ ⲕ Ⲗ	ج	ⲗ Ⲙ
ف	Ⲏ ⲏ	ح	ⲙ Ⲛ
ق	Ⲏ	خ	ⲛ Ⲝ ⲝ Ⲟ ⲟ
ك	Ⲁ ⲁ Ⲃ ⲃ	د	ⲡ Ⲣ ⲣ Ⲥ
ل	ⲑ Ⲓ ⲓ Ⲕ	ذ	ⲥ Ⲧ ⲧ Ⲩ ⲩ
م	Ⲫ ⲫ Ⲭ ⲭ Ⲯ ⲯ	ر	{ Ⲱ ⲱ Ⲳ ⲳ Ⲵ ⲵ Ⲷ ⲷ Ⲹ
ن	ⲉ Ⲋ ⲋ	ز	ⲹ Ⲻ ⲻ
و	ⲏ Ⲑ ⲑ	س	ⲁ Ⲃ ⲃ Ⲅ
هـ	ⲉ Ⲋ ⲋ	ش	{ ⲍ Ⲏ ⲏ Ⲑ ⲑ Ⲓ ⲓ Ⲕ
ي	?	ص	ⲁ Ⲃ ⲃ

(ش ١٩) الابجدية الحميرية او الحرف المسند

وتنوعت اللغة أيضاً جرياً على ناموس الارتقاء فزادت بمروراً عن لغة بابل لـكنها ما زالت تشترك معها في علامة خاصة دون سائر اللغات السامية (الا الحبشية) نعي «السين» ضمير الغائب فانها كذلك في البابلية أيضاً فيقولون «بيتس» في قولنا «بيته». والسين المذكورة دخيلة على الاصل السامي فلعل البابليين اقتبسوها من اللغة الطورانية (السومرية) اذ لا وجود لها في سائر اللغات السامية الا الحبشية كان الحبشة عمرت في الاصل من قوم نزحوا اليها من معين او لسبب آخر ويدلُّ على اشتراك المعينيين وبدو الآراميين في اصولها ايضاً تشابه الاسماء في الامتين كما يبناه في كلامنا عن الاسماء الجورانية. ويؤيد ذلك اشتراك الامتين باسماء المعبودات واسس الاعتقادات وطرق العبادة فان الشبه كثير بين الديانة المعينية وديانة بدو الآراميين سكان غربي الفرات ومن تحضر منهم في اور السكلدانيين وحران كما

سنبينه مفصلاً في كلامنا عن ديانة العرب القدماء

فالمعينيون اذا صح انهم كانوا نحو الالف الرابع قبل الميلاد في جزيرة سينا فالارجح انهم جاؤا اليمن بعد نزولهم العراق واقتباسهم شيئاً من تمدن السومريين او البابليين وديانتهم مع وقوع التغيير في لسانهم بتوالي الاجيال وسيأتي تفصيل ذلك عند كلامنا عن لغات العرب

فلما نزل المعينيون بلاد اليمن ساعدتهم ذلك التمدن في التغلب على من كان فيها قبلهم وما لبثوا ان امتدت سيادتهم على معظم جزيرة العرب قبل قيام دولة سبأ بأجيال . واختلف العلماء في تقدير عمر الآثار التي عثروا عليها في اطلال هذه الدولة فذهب جماعة الى انها تبدأ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد وقال آخرون بل من القرن السابع او الثامن^(١) ووفق الباحثون في انقراض معين وغيرها من اطلال المعينيين الى العثور على كثير من اسماء الملوك والمعبودات مما يؤيد أصلها البابلي

٢ - الدولة السبائية

ذكرت العرب سبأ ذكراً مبهماً فقالوا انه حكم ٤٨٤ سنة ثم ملك بعده حمير^(٢) يريدون بسبأ دولة سبا او أمة سبا على اصطلاحهم في مثل هذه الحال ولكنهم لم يذكروا من ملوكها احداً وقد ذكرها اليونان حوالي تاريخ الميلاد ولم يتعرضوا لملوكها وانما ذكروها في جملة الامم الاربع التي قالوا انها اكبر امم اليمن وهم المعينيون والسبائيون والقتايون والقريون . وقالوا ان عاصمتهم ماريابا « مأرب » . وذكر استرابون كثيراً من احوالهم الاجتماعية والاقتصادية سنأتي عليها في مكانها . وأما الدولة وملوكها فلم يتعرض لها اليونان والفضل في معرفتها للآثار التي قرأوها في اطلال اليمن وبعض اطلال اشور وغيرها أصل السبائيين

يقول العرب ان سبا من قحطان ويسمونهم العرب المتعربة تمييزاً لهم عن العرب الذين كانوا قبلهم . ولم يقولوا لنا من أين أتوا ولكنهم ذكروا ان قحطان ابو اليمن كلهم وانهم كانوا يتكلمون غير العربية فلما نزلوا اليمن كان فيها العرب العاربة فتعلموا العربية منهم . وذهب بعضهم الى ان قحطان تعريب يقطان من ابناء سام ولا سبيل الى تحقيق ذلك . ولكن يؤخذ من قراءة الآثار وغيرها ان دولة سبأ تبدأ نحو القرن الثامن

قبل الميلاد ولم يقفوا لها على خبر ثابت أقدم من هذا التاريخ . وأهل تلك الامة نزحت
اليمن قبل ذلك العهد وأقامت بجوار المعينيين حيناً من الدهر واختلطوا بهم وبغيرهم
من أهل تلك الجزيرة واقتبسوا لغتهم وعاداتهم وديانهم وتوسى أصاهم كما يصيب من
ينزل مصر والشام لهذا العهد فاذا توالى أعقابه بضعة أجيال وتدينوا بدين البلاد عدشوا
عرباً وان كان جدُّهم تركياً او كردياً

وأقرب جيران اليمن الحبشة وكانت الملائق التجارية متينة بين البلدين من أقدم
ازمنة التاريخ حتى عدوا اليمن من اثيوبيا . فلا يبعد أن يكون القحطانيون طائفة من
الاحباش عبروا بوغاز باب المندب الى اليمن قديماً وأقاموا فيها اجيالاً ربما تمربوا ثم
أنشأوا الدولة . ولعلمهم في الاصل ساميون او عرب نزّلوا الحبشة بطريق الصحراء الشرقية
المصرية لانها كانت قسماً من جزيرة العرب كما علمت . او كان الشاسو عمالة مصر لما غلبهم
المصريون وطاردهم نزحت قبائل منهم نحو الجنوب في الصحراء الشرقية الى الحبشة
فأقاموا فيها أجيالاً وتوالدوا هناك ثم نزح بعضهم الى اليمن تدريجاً لسبب من الاسباب
وما زالوا يتقوون حتى أفضت اليهم الدولة . ويؤيد ذلك ان لفظي تبع وحمير حبشيان
الاول معناه « القادر » والثاني « غبش » أي معتم من لون البشرة ^(١)
مبدأ دولة سبا

ومهما يكن من أصل السبائيين فقد ثبت أنهم أنشأوا في اليمن دولة كبرى جاء ذكرها
في اخبار اشور بقرميدة الملك سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق م) ذكر فيها الامم
التي تؤدي اليه الجزية وفي جملتها فرعون ملك مصر وشمسية ملكة العرب (عربي)
ويشعر السبائي وانه اسر حانو ملك غزة كما تقدم ^(٢) فيدل هذا القول على وجود
السبائيين في بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد . ويؤيد ذلك أنهم عثروا في مأرب
على نقش جاء فيه ذكر ملك او غير ملك اسمه « يشعر » سياًتي ذكرهم
ولكن الراجح عند العلماء اليوم ان سرجون لم يصل بفتوحه الى اليمن فالظاهر ان
السبائيين كانوا يدفعون الجزية عن تجارتهم في شمالي جزيرة العرب حتى يؤذن لهم
بالمرور الى شواطئ البحر المتوسط وخصوصاً الى غزة لانها فرضة تجارية قديمة
وبنح عدد الملوك الذين قرأوا اسماءهم على آثار هذه الدولة بمأرب وصرواح
وغيرها بضعة وثلاثين ملكاً ويستدل من مقابلة اسمائهم وألقابهم ان السبائيين تدرجوا
في الحكم من الامارة البسيطة او السكمانية الى الملك الواسع ولا يراد بسعة الملك أنهم

دوخوا البلاد كما فعل اليونان والرومان او كما فعل عرب الحجاز بعد الاسلام لان سبأ ليست دولة فتح بل هي دولة قوافل وتجارة ولا تجدد للحرب او الفتح ذكرآ في آثارها الا قليلاً خلافاً للاشوريين والمصريين مما صيرها فانك لا تكاد تقرأ على آثارهم غير قولهم « فتحت وغلبت وضربت الجزية وحملت الغنيمة » وأما السبائيون فاكثروا وصل إلينا من أخبارهم قولهم « بنيت ووقفت ورممت » وانما يراد بسعة ملك سبأ نشر نفوذها في ما يجاورها من المخافد او الخنايف

والظاهر ان القحطانيين قضوا زمناً طويلاً وهم من قبيل الاذواء اصحاب القصور والمخافد كما كان الميعينيون في اوائل دولتهم حتى اذا نبغ « سبأ » صاحب قصر صرواح شرقي صنعاء وكان قوياً طامعاً فاستولى على جيرانه . فلما اشتد ساعده او ساعد خلفائه ذهبوا بدولة الميعينيين فاصبحت صرواح قصبة مملكتهم ثم صاروا الى مأرب فتغيرها ويستدل بما قرأوه على الآثار حتى الان ان السبائيين مروا على أربعة أطوار تتميز بألقاب ملوكها فكان مملكتهم في الطور الاول يسمى « مكرب سبأ » ثم قالوا « ملك سبأ » ثم « ملك سبأ وريدان » وكان وريدان محفداً من مخافدهم السكبرى سمي بعد ذلك ظفار ثم قالوا « ملك سبأ وريدان وحضر موت وغيرها »

وللتوفيق بين ما وصل اليه الباحثون في الآثار المنقوشة وبين ما ذكره العرب منه في اخبار هذه الامة تقسم هذه الاطوار الى عصرين الاول العصر السبائي الحقيقي الذي كان صاحب سبأ فيه يسمى « مكرب سبأ » ثم « ملك سبأ » ويشمل الطورين الاولين . وبعد الدولة فيهما « الدولة السبائية الحقيقية » . والعصر الثاني الذي صارت ألقاب الملوك فيه « ملك سبأ وريدان » أو « ملك سبأ وريدان وحضر موت وغيرها » الى انقضاء الدولة نسميه العصر الحميري مراعاة لتسمية العرب دولة حمير

دولة سبأ الحقيقية او العصر السبائي

من نحو سنة ٨٥٠ — ١١٥ ق م

ان أول هذه الدولة لا يستطاع تحقيقه واذا اعتبرنا « يشعر » الذي دفع الجزية الى سرجون اقدم رؤسائها كان ارلها في القرن الثامن قبل الميلاد لكننا نجد في التوراة ذكر مملكة سبأ في ايام سليمان أي في القرن التاسع قبل الميلاد فاذا كان المراد بها سبأ جزيرة العرب كانت بداية هذه الدولة أقدم من ذلك فنفرض انها بدأت في اواسط القرن التاسع

أما ملوكها فقد بلغ عدد الذين وصلت اليها اسمائهم من استنطاق الآثار ٢٧ منهم ١٥ مكرراً و ١٢ ملكاً وهذه اسمائهم بحسب تعاقبهم باعتبار التوارث . ولهم ألقاب خاصة بهم غير ألقاب الدولة المعينية وهي هنا خمسة : وتار (العظيم) وبين (الممتاز) وذو ج (الشريف) وبوهنم (الحسن) وينوف (السامي) كما نرى في ما يلي :

ملوك سبا	مكارب سبا
ذمر علي	يشعر
ذرح	ذمر علي
سمهلي ذرح	يدع ايل بن ذمر علي
كرب ايل بن سمهلي ذرح	سمهلي ينوف بن ذمر علي
اليشرح بن سمهلي »	كرب ايل وتار » » »
يدع ايل وتار	يشعر بين بن سمهلي ينوف
يشعر	سمهلي
كرب ايل وتار	يشعر وتار بن سمهلي
يشعر بين	يدع ايل ذرح » »
يكرب ملك وتار	سمهلي ينوف بن يدع ايل ذرح
يدع ايل بين	يشعر وتار » » » »
يريم ايمن	يدع ايل بين بن يشعر
	سمهلي ينوف بن يشعر
	كرب ايل بين
	ذمر علي وتار بن كرب ايل

فهؤلاء المكارب والملوك اذا اعتبرنا تعاقبهم من الالباء الى الابناء رأينا مدتهم لا تتجاوز ٢٣ جيلاً وبتقدير الجبل ٢٥ سنة وان هناك اجيالاً لم تصل معرفتها اليها لا نبالغ اذا قدرنا سني الدولة نحو ٧٠٠ سنة . وقد دقق غلازر في تحقيق الزمن الذي انتقلت فيه الدولة الى العصر الحيري من مقابلة ما لديه من الاساطير المنشورة وغير المنشورة فترجح له ان دولة سبا الحقيقية تنتهي سنة ١١٥ ق م ^(١) وبها تبديء دولة حمير أي « ملوك سبا وريدان » سيأتي الكلام عليها

سبب انقضاء دولة سبا الحقيقية

أن هؤلاء الملوك على كثرتهم لم نقف حتى الآن على شيء من أخبارهم غير عنايتهم اجمالاً بالتجارة مثل اسلافهم المعينيين فنترك أعمالهم التفصيلية لما عساه أن يكشفه المستقبل وتظهر في سبب انقضاء هذه الدولة . والمشهور عند كتاب العرب ان سبب انقضاءها - وهم يعنون انقضاء دولة حمير - انفجار سد مأرب (سيل العرم) ونزوح القبائل الى العراق والشام والحجاز وغيرها دفعة واحدة حوالي تاريخ الميلاد . وذلك بعيد اذ لا يعقل ان تعجز الدولة في ابان سطوتها عن اتقاء مثل هذا السيل واذا تصدع السد فلا تعجز عن ترميمه وسيتضح لك ذلك في الكلام عن السدود . والغالب في اعتقادنا أن دولة السبأيين ذهبت تدريجاً بذهاب أسباب قوتها . لانها خافت المعينيين في نقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق حتى أصبحت في القرون الاولى قبل الميلاد اكبر وسائل الاتصال بين تلك الامم هناك . فكانت السلع والاطياب تأتي من الهند والحبشة الى شواطئ جزيرة العرب فينقلها السبأيون على قوافلهم الى مصر والشام والعراق . ولم يكن عالم التجارة يستغني عنهم فزهت بلادهم واتسعت ثروتهم وامتدت سيادتهم الى أطراف الجزيرة شمالاً وشرقاً واحتفروا الترع وبنوا السدود وحولوا الرمال الى تربة خصبة وبنوا القصور والمحافد والهاياكل وتفتتوا بتزيينها وزخرفها وشادوا حولها الاسوار واغترسوا الحدائق حتى صارت البادية التي يهلك سالكها من العطش الان جنة أهلة عامرة

وما زالوا في عز وثرورة واذا تصدع السد رمموه حتى اخذت طرق التجارة تحول من البر الى البحر فاخذوا في الضعف . وكان احباب «ريدان» وهي اقرب الى البحر جنوباً قد اشتد ساعدهم وهم من حمير فرع السبأيين فغلبوهم على مدينتهم او اتحدوا معهم دولة واحدة كان يقيم ملوكها تارة في مأرب وطوراً في ريدان (ظفار) على التوالي . ثم اقتصروا على الاقامة في ظفار وذلك دليل على ان لقب « ملك سبا وريدان » حدث في اواخر الدولة بعد ان وجهت عنايتها نحو الجنوب على اثر تداعي السد وبالجملة ان قسبة السبأيين كانت قبل انشاء دولتهم صرواح ورثيسهم يسمى « ذو صرواح » فلما أنشأوا الدولة بنوا مأرب واسمها أيضاً سبا فصار كبيرهم يسمى « مكرب سبا » ثم صار « ملك سبا » وهما الطوران الاول والثاني أو العصر السبائي الحقيقي ثم صارت القبايل « ملك سبا وريدان » ثم « ملك سبا وريدان وحضر موت الخ » - وهو العصر الحميري

دولة حمير او العصر الحميري

من سنة ١١٥ ق م - ٥٢٥ م

قد تقدم ان العصر الحميري يبدأ سنة ١١٥ ق م بانتقال عاصمة السبأيين الى ريدان (ظفار) والحميريون فرع من السبأيين وحمير عند العرب ابن سبا ويؤيد ذلك ان اليونان لم يذكروا الحميريين في كتبهم الى سنة ٢٠ ق م^(١) . والظاهر ان الحميريين كانوا يقيمون في ريدان قبل ذلك التاريخ بأجيال وهم أقبال أو أذواء وكبيرهم يسمى « ذو ريدان » حتى سئحت لهم فرصة تغلبوا بها على اخوانهم السبأيين أو اتحدوا بهم في أواخر دولتهم فصار لقب كبيرهم « ملك سبا وذو ريدان » كما يلقب ملك الانكليز اليوم « ملك انكلترا وامبراطور الهند » ولما ملكوا حضرموت قيل « ملك سبا وريدان وحضرموت » ثم ملكوا غيرها وكلما ملكوا بلداً أضافوا اسمه الى ألقابهم

وتختلف دولة حمير عن دولة سبا انها أقرب منها الى الدول الفاتحة فقد نبغ من ملوكها قواد فتحوا الممالك وحاربوا الفرس والاحباش وغيرها وتنتهي دولة حمير بذي نواس سنة ٥٢٥ م فكانها حكمت ٦٤٠ سنة تقسم الى مدتين متساويتين تقريباً كان ملوكها في المدة الاولى يلقبون « ملوك سبا وريدان » وهم ملوك الطبقة الاولى من حمير . وتنتهي هذه المدة بضم حضرموت الى ألقابهم . وبضمها تبتدىء المدة الثانية واسم الملك فيها « ملك سبا وريدان وحضرموت » وأصحابها ملوك الطبقة الثانية من حمير . وأول من نال هذا اللقب « شمر يرعش » فهو آخر ملوك الطبقة الاولى وأول ملوك الطبقة الثانية من حمير

بقي علينا النظر في من هو أول ملوك حمير ولا يمكننا الاعتماد في ذلك على روايات العرب لاختلاطها وتخالفها ولم تدلنا الآثار المنقوشة على شيء صريح بهذا الشأن فما لنا الا الجنوح الى الاستنتاج مما قرأناه فيها من أسماء الملوك وأنسابهم وتواليهم وتخمين مدات حكمهم ولا يخفى ما في ذلك من أسباب الخطأ لان كثيراً من تلك الاسماء للملوك تعاصروا أو كانوا اخوة من اب واحد

على ان ملوك الطبقة الاولى من حمير الذين عثروا على أسمائهم في الآثار المنقوشة أقل عدداً مما تقتضيه المدة التي قدروها لتلك الطبقة من دولة حمير . فاضافوا اليها أسماء وجدوها على النقود وغيرها فاجتمع لديهم ٣٠ — ٤٠ اسماً وفيهم كثيرون من المعاصرين او الاخوة وليس لاحد منهم تاريخ مذكور يرجع اليه أو يقاس عليه فرجع الباحثون الى

ما عرفه اليونان من ملوك هذه الدولة ومقارنته بما وجدوه على الآثار . وقد فعل ذلك غلازر في كتابه « الاحباش »^(١) فوجد ملكين ذكرهما برييلوس في أواسط القرن الاول للميلاد احدهما اسمه « كريبايل Charibael ملك سبا وريدان » والآخر « ايليازوس Eleazos ملك حضرموت » . ورأى من الجهة الاخرى ان بين أسماء ملوك هذه الطبقة على الآثار ملكين أحدهما اسمه « كرب ايل » والآخر « اليعزوباليط » فترجح له انهما نفس الملكين الذين ذكرهما برييلوس وهما معاصران له أي من أهل أواسط القرن الاول الميلاد . فجل هذا التاريخ نقطة متوسطة يقاس عليها ويقابل بها فتوصل الى تحقيق أزمنة عدة ملوك من الطبقة الاولى الحميرية فاضفناها الى ما حققه في جغرافيته^(٢) ووصلنا بينهما بما استنتجناه من مطالعاتنا الخصوصية وفي جملة ما عثرنا على ملك عربي ذكره استرابون في أثناء كلامه عن حملة اليوس غالوس على بلاد اليمن وسماه Elisaros اليزاروس يشبه أن يكون محرفاً عن « البشراح » ويوافق ذلك ورود هذا الاسم لملك تولى سبا نحو ذلك الزمن أي في أثناء تلك الحملة قبيل تاريخ الميلاد . فرتبنا ملوك حمير بحسب مدات حكمهم وتماقهم كما في الجدولين الاتيين كل جدول لطبقة :

الطبقة الاولى من ملوك حمير

ملوك سبا و ذو ريدان من سنة ١١٥ ق م - ٢٧٥ ب م

اسم الملك	مدة الحكم
علهان نهفان	١١٥ - ٨٠ ق م
شعرا وتار بن علهان نهفان	٨٠ - ٥٠ »
يريم ايمن » » »	
فرع بنهب	
البشراح بنخضب (Elisaros) وابنه يزل بين	٣٥ - ١٥ »
البشراح بمحل بن يزل بين	١٥ - ٥ ب م
وتار	٥ - ٣٥ »
كرب ايل وتار يوهنم (وهو Charibael برييلوس)	٣٥ - ٧٠ »
ذمر علي ذرح بن كرب ايل	٧٠ - ٩٥ »
هلك امير » » »	٩٥ - ١٢٠ »

١٢٠ - ١٤٥ ب م	ذمر علي بين
» ١٧٠ — ١٤٥	وهب ايل يحز
» ٢٥٠ — ١٧٠	(ملوك مجهولون)
» ٢٧٥ — ٢٥٠	ياسر انعم

الطبقة الثانية من ملوك حمير

ملوك سبا وريدان وحضرموت وغيرها من سنة ٢٧٥ - ٥٢٥ م

اسم الملك	مدة الحكم
شمر يرعش	٢٧٥ — ٣٠٠ م
ذو القرنين او افريقس (الصعب)	» ٣٢٠ — ٣٠٠
عمرو زوج بلقيس	» ٣٣٠ — ٣٢٠
بلقيس وتسمى الفارعة	» ٣٤٥ — ٣٣٠
الهدهاد اخوها	» ٣٧٤ — ٣٤٥
ملكيكرب يوهنعم (ينعم)	» ٣٨٥ — ٣٧٤
ابو كرب اسعد بن ملكيكرب	» ٤٢٠ — ٣٨٥
حسان بن اسعد	» ٤٢٥ — ٤٢٠
شرحبيل يعفر بن اسعد	» ٤٥٥ — ٤٢٥
» ينوف	» ٤٧٠ — ٤٥٥
معدى كرب ينعم وابنه لحيعة	» ٤٩٥ — ٤٧٠
مرتد اللات ينوف	» ٥١٥ — ٤٩٥
ذونواس (ويسميه اليونان دميانوس) (١)	» ٥٢٥ — ٥١٥
ذو جدن (لم يكن له حكم)	» ٥٣٣ — ٥٢٥

فترى هذا الجدول يخالف ما ذكره العرب من بعض الوجوه ولاكنه اقرب الى الصواب لانه مبني على التحقيق ومقابلة ما كتبه العرب واليونان وما نقش على الآثار. ولعل السبب في زيادة عدد ملوك حمير عند العرب عما أثبتناه هنا انهم ادخلوا في عداد أولئك الملوك اقبالا او اذواء اشتهروا في اثناء تلك الدولة فحسبهم منها وادخلهم في عداد ملوكها

واذا امعنت النظر رأيت الطبقة الثانية من ملوك حمير تقابل دولة التبابعة في كتب

العرب . لان العرب يشترطون في التبابعة ان تكون حضرموت والشحر في سلطتهم^(١) وهذا هو الواقع في ملوك الطبقة الثانية كما رأيت . اما الاولى فتقابل ما قبل التبابعة عند العرب وان اختلفت الاسماء والازمنة ويسمونها حمير وعاصمتهم ظفار اعمال دولة حمير

لا مشاحة في ان هذه الدولة أقرب الى الدول الفاتحة من دولتي سبا ومعين سابقتها ولكن العرب بالغوا في وصف فتوحها الى ما يفوق طور التصديق وليس لدينا من اخبار الفتح غير ما كتبه العرب ولذلك فلا سبيل الى تحقيقه او اصلاحه الا اذا اكتشف النقبون آثاراً أخرى فيها نصوص تاريخية يمكن الرجوع اليها في هذا الاصلاح . وأشهر ملوك حمير على رواية العرب شمر يرعش ذكروا انه وطىء ارض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنهم وخرَّب مدينة الصفد وراء جيحون فقالت العجم « شمر كند » أي شمر خرب وبني مدينة هنالك سميت باسمه وعربها العرب فصارت سمرقند . وقال بعضهم انه ملك بلاد الروم^(٢) هذا ما رواه العرب ولا نقول انه مستحيل على ملك عربي فان العرب اتوا ما هو أعظم من ذلك كثيراً ولكننا نستبعد حدوئه لانتا لا نجد في تواريخ الامم المعاصرة ما يؤيده فان مثل هذه الفتوح لو وقعت لا يعقل ان يهمل ذكرها ملوك العراق وخراسان والترك والروم وغيرهم . ومن مشاهيرهم افريقس ذو القرنين ويسمونه الصعب وهو عندهم فاتح بلاد المغرب افريقية وناقل قبائل العرب اليها .

ومنهم أسعد ابو كرب زعموا انه غزا اذربيجان واتي الترك وهزمهم وقتل وسبي ثم رجع الى اليمن وهابته الملوك وهادنه ملوك الهند ثم رجع لغزو الترك وبعث ابنه حسانا الى الصفد وابنه يعفر الى الروم وابن أخيه شمر ذي الجناح الى الفرس وان شمر آتي كيقباد ملك الفرس فهزمه وملك سمرقند وقتله وجاز الى الصين فوجد أخاه حسانا قد سبقه اليها فانحنا في القتل والسبي وانصرفا بما معهما من الغنائم الى أبيهما . وبعث ابنه يعفر الى القسطنطينية فتلقوه بالجزية والاتاوة فسار الى رومة وحصرها ووقع الطاعون في عسكره فاستضعفهم الروم ووئبوا عليهم فقتلوه ولم يغت منهم أحد ثم رجع الى اليمن وزعموا انه ترك في بلاد الصين قوماً من حمير وانهم بها لهذا العهد الخ^(٣)

والقاري يدرك لأول وهلة حظ هذه الافوال من الصحة اذ يتبين له بعدها عن المعقولات كأن ابطال هذه الحوادث من الجان وكأن الصين والهند على ساعات من اليمن

(١) المسعودي ٢٠٨ ج ١ (٢) ابن خلدون ٥٢ ج ٢ (٣) ابن خلدون ٥٣ ج ٢

وكان أهلها حشرات لا يستطيعون دفاعاً . وناهيك بالأتاوة التي وضعوها على القسطنطينية وحصار رومة والمدينتان في أبان تمدنهما ولم تعلما بهذه الفتوح والى اسعد هذا ينسبون غزوات كثيرة واعمالاً عظيمة منها انه غزا المدينة (يثر) وكسا الكعبة وانه اول من تهود من العرب في حديث لا محل لذكره ^(١) وقد يكون على اجماله صحيحاً لقربه من المؤلف . اما تمة الغرائب من اخباره فهي انه عاش عمراً مضاعفاً قال بعضهم ١٢٠ سنة وقال آخرون ٣٢٠ سنة

وقس على ذلك ما ينسبونه الى حسان بن تبع اسعد الذي ذكروا انه استباح طسماً ونصر جديساً كما اشرنا الى ذلك في كلامنا عن هاتين الامتين . ومثله تبع بن حسان وغيره مما لا فائدة من الخوض فيه

العصر الحبشي في اليمن

الاحباش واليمن

لا يعرف العرب من سيادة الاحباش على اليمن الا فتحها في ايام ذي نواس اوائل القرن السادس للميلاد وقلما ذكروا علاقة بين الامتين قبل ذلك . والواقع ان العلاقات بين البلدين قديمة جداً والقدماء يعدون اليمن والحبشة بلداً واحداً حتى ذهب سالت وريتر وغيرهما من علماء التاريخ ان الحبشة مهد الساميين واصل منبتهم ^(٢) وقد اشرنا الى ذلك قبلاً . وذهب آخرون الى ان الاحباش عرب هاجروا من اليمن الى الحبشة قبل زمن التاريخ استدلو على ذلك من تشابه اللسانين الحبشي والحيري وأحرف الكتابة تكاد تكون واحدة عندهما

وقد رأيت اننا نعد دولة سبأ حبشية المنبت نزع آباؤها من اليمن قبل الميلاد بمدة قرون . وظلت العلاقات متبادلة بين البلدين بعد ذلك وقد استدلو من أثر سياأتي ذكره عثر عليه الرحالة بُنت في « يحا » بالحبشة انه كتب في القرن السادس قبل الميلاد ^(٣) وصاحب ذلك الاثر من مهاجري اليمن الى الحبشة - كل ذلك من قبيل الظنون التي لم تتأيد بالنصوص التاريخية المدونة في الكتب او المنقوشة على الاحجار ولعلمهم يعمثون في المستقبل على ما يؤيدها او ينقضها

(١) ابن خلدون ٥٤ ج ٢ (٢) Renan, I. 306 (٣) Glaser, Abb. 13

على اننا نستفيد من كتب اليونان والسريان وغيرهم ان الاحباش اخذوا يستخفون بالحيريين ويطمعون ببلادهم من اوائل النصرانية على اثر تضعف السبائين وذهاب دولتهم وتفرق كلمتهم والاحباش يومئذ في ابان سطوتهم وطاعتهم « اكسوم » . والمظنون ان جماعة من الاحباش احتلوا شواطىء اليمن الجنوبية عند مهرا في القرن الاول قبل الميلاد ومعهم الجند يترقبون فرصة يثبون بها على الحيريين كأن لهم عليهم ثأراً او لعلمهم فعلوا ذلك طمعاً بثروة تلك البلاد ومعادنها او للاستئثار بما بقي من تجارتها وقد اتيح لهم ذلك في اوائل النصرانية

واقدم اخبارهم الصحيحة في هذا الشأن ان نجاشياً^(١) حمل على شواطىء اليمن في اوائل القرن الثاني للميلاد^(٢) قرأوا ذلك على اثر منقوش في ادوليس (زيلع). ويؤخذ من مصادر اخرى ان نجاشياً آخر حمل عليها في اواخر القرن الثالث ففتح بعض اليمن وبعض نهامة وسهل العلائق التجارية بينهما . فتعاون الحيريون عليه وغلبوه على ما في يديه واخرجوه من بلادهم . ولم تمض خمسون سنة اخرى حتى عاد الاحباش ولم يقتنعهم ما فتحوه حديثاً فاكتمسحوا اليمن كلها وذكروا خبر ذلك الفتح على آثارهم ونقشوا اسمائهم على ابنية اكسوم باليونانية ولقبوا انفسهم « ملك اكسوم وحير وريدان واثيوبيا وسبا وزيلع وغيرها » وعثر النقبابون على اثر باللغة الحبشية نحو ذلك الزمن تسمى به ملك الحبشة « ملك اكسوم وحير وريدان وسلحين »^(٣)

وتوالت الوقائع بين الاحباش وحير في اواسط القرن الرابع للميلاد جرت فيها معارك كانت الحرب فيها سجالاً ومن واقف الحيريين من ملوك الاحباش ملك اسمه « العلى اسكندي » حارب الهدهاد ملك حير سنة ٣٤٠ م وخلفه العلى عميدة (حكم من سنة ٣٤٠ - ٣٤٨ م) حارب الهدهاد وبلقيس وفتح اليمن سنة ٣٤٥ م بمساعدة قيصر الروم قسطنطيوس رغبة في نشر النصرانية وكانت قد دخلت الحبشة من عهد قريب على يد كاهن رومي اسمه فرومنتوس ساموه اسقفاً عليها سنة ٣٥٤ في اكسوم

وتولى الحبشة واليمن بعد العلى عميدة اولاده وهم عيزاناس (اذينة) حكم من سنة ٣٤٨ - ٣٦٥ م وسازاناس (شاذان) من ٣٥٠ - ٣٧٤ م^(٤) وهو آخر من تولى اليمن من هذه العائلة فمادت الى اصحابها الحيريين وتولاها ملكيكر ب يوهنم سنة ٣٧٤ وما زالت

(١) النجاشي تعريب نجوس بالحبشية اي ملك (٢) Müller, Burg, II. 33

(٣) Crimme, 23 و Müller, II. 33 (٤) Glaser, Geo. 540 - 543

في قبضة الحميريين حتى فتحها الاحباش المرة الاخيرة سنة ٢٥٠ هـ التي عرفها العرب
وذكروها

فتح الاحباش الاخير

١ - ما يقوله العرب عنه

اختلف الرواة في سبب هذا الفتح فالعرب ينسبونه الى اضطهاد اليهود للنصارى
وكانت اليهودية قد دخلت اليمن على يد احد ملوك حمير ورغب الناس فيها فانتشرت في
اليمن كلها وكانت دولة الروم قد تنصر قياصرتها واخذوا يهتمون بنشرها وتأييدها
ويستعينون بها على نشر نفوذهم وتوسيع دائرة تجارتهم فارسل بعضهم فرومنتوس الذي
ذكرناه الى الحبشة فنشر النصرانية فيها ثم اخذت تتسرب الى جزيرة العرب وخصوصاً
نجران وعدن وارسلوا اليهما الكهنة والرهبان وبنوا في نجران مزاراً او حجاً عرف
بكعبة نجران فيه القسيسون والرهبان

وافضت حكومة حمير في اوائل القرن السادس للميلاد الى ملك منهم اسمه ذونواس
والروم يسمونه دميانوس كان شديد التمسك لليهودية فغزا اهل نجران فحصرهم ثم انه
ظفر بهم فحدد لهم الاخاديد وعرض عليهم اليهودية فامتنعوا فحرقهم في النار وحرق الانجيل
وهدم بيعتهم ثم انصرف الى اليمن وافلت منه رجل اسمه دوس ثعلبان على فرس ركضه
حتى اعجزهم في الرمل ومضى الى قيصر الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذونواس بنجران
واهلها فاعتذر القيصر ببعده الشقة ولكنه كتب الى ملك الحبشة يحرضه على نصرته وفتح
اليمن . فلما وصل كتاب القيصر الى النجاشي امر احد قواده ارباط ان يخرج معه فينصره
فخرج ارباط في سبعين الفا من الحبشة وقوّد على جنده قواداً من رؤسائهم واقبل بقبيله
وكان معه ابرهة بن الصباح وكان في عهد ملك الحبشة الى ارباط « اذا دخلت اليمن
قاتل تلك رجالها واخرب تلك بلادها وابعث اليّ بثلاث نساء فخرج ارباط في الجنود
فحملهم في السفن في البحر وعبر بهم حتى ورد اليمن وقد قدم مقدمات الحبشة فرأى اهل
اليمن جنداً كثيراً فلما تلاحقوا قام ارباط في جنده خطيباً فقال « يا معشر الحبشة قد
علمتم انكم ان ترجعوا الى بلادكم ابدأ هذا البحر بين ايديكم ان دخلتموه غرقتم وان سلكتم
البر هلكتم وانخذتكم العرب عبيداً وليس لكم الا الصبر حتى تموتوا او تقتلوا عدوكم »
فجمع ذونواس جمعاً كثيراً ثم سار اليهم فاقبضوا قتالا شديداً فكانت الدولة للحبشة فظفر
ارباط وقتل اصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه . فلما تخوف ذونواس ان سيؤمر ركض

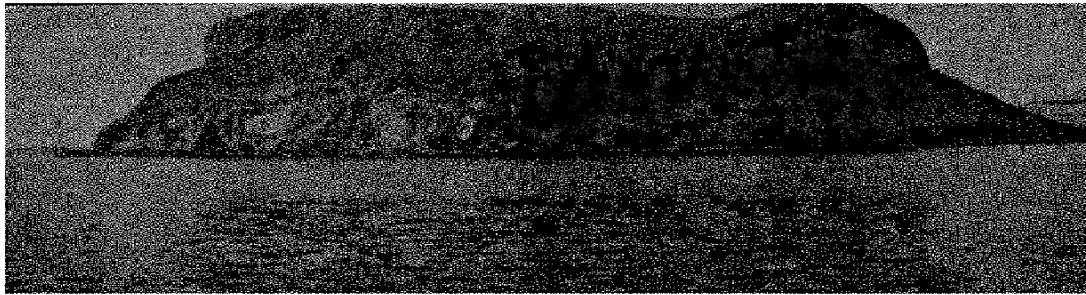
فرسه واستعرض به البحر وقال « الموت في البحر احسن من الاسر . ثم افحم فرسه لجة البحر فضى به فرسه وكان آخر العهد به » ثم خرج اليهم ذو جدن الهمداني في قومه فناوشهم وتفرقت عنه همدان فلما تخوف على نفسه قال ما الامر الا ما صنع ذونواس فافحم فرسه البحر فكان آخر العهد به . ودخل ارباط اليمن فقتل ثلثاً وبعث ثلث السبي الى ملك الحبشة وخرب ثلثاً وملك اليمن وقتل اهلها وهدم حصونها

٢ - ما يقوله اليونان

ذلك ما يرويه العرب عن اسباب الفتح واما اليونان فينسبونه الى سبب تجاري مالي وذلك ان اليمنيين لما تضعضت احوالهم بتفقر دولتهم وخروج مقاليد التجارة من ايديهم كان الروم قد اخذوا ينشرون نفوذهم في الشرق بواسطة النصرانية وتيسر لتجارهم المرور في بلاد اليمن بين خليج العجم والبحر الاحمر يحملون تجارة الهند الى الحبشة ثم الى مصر والعرب يشق ذلك عليهم ولا حيلة لهم في منعهم فجعلوا يضايقونهم في تسيارهم

واراد الفرس في اثناء ذلك ان يعرفوا مساعي الروم اعدائهم القدماء في متاجرهم عن طريق جزيرة العرب فنزل جند منهم بشواطئ خليج العجم من جزيرة العرب فارسل القيصر يوستين الى بني حمير ان يردوا الفرس عنهم وبعث من الجهة الاخرى الى الاحباش ان يأخذوا بيد تجار الروم في ذلك السبيل . وكذلك فعل يوستينيان لما تولى (١) ولم يطل عهد الوفاق فعاد العرب الى معارضة قوافل الروم — قال ثيوفانس « وانفق في اوائل القرن السادس ان الحميريين تعدوا على تجار الروم في اثناء اجتيازهم اليمن بتجارهم الهندية وقتلوا جماعة منهم فتوقفت حركة التجارة فشق ذلك على الاحباش فتجندوا لفتح الطريق وقطعوا البحر الاحمر تحت راية ملكهم هداد وحاربوا الحميريين فقتلوا ملكهم دميانوس (ذي نواس) وجددوا المعاهدة مع قيصر القسطنطينية يوستينيان على شرط ان يقتصر اهل اكسوم وارسلوا الى الاسكندرية وفد يطلبون قسيساً يعمدهم ويعلمهم فارسل اليهم رجلاً تقياً عاقلاً اسمه يوحنا صار بعدئذ اسقفاً على اكسوم (٢) وبعد ان اقتبس الاحباش من الحميريين انسحبوا الى بلادهم فعاد الحميريون الى ما كانوا عليه وعادت التجارة الى الانقطاع . فعاد الديساس ملك الحبشة الكرة وفتح بلاد اليمن فتحاً بحملة كبيرة حارب بها الحميريين وغلبهم على بلادهم وولى عليها اميراً مسيحياً من امرائه اسمه اسيفايوس واوعز اليه ان يحمل اهلها على النصرانية استنجاداً بالدين على السياسة

واستعان بأسقف اسمه جريجتوس كان خطيئاً مفوهاً وعالماً كبيراً على ان يبذل جهده في هذا السبيل . وعقد مجلساً جمع فيه بين هذا الاسقف وحبس يهودي اسمه هربان وأمرها بالمناقشة في الدين فتناقشا وكتب الاسقف بعد ذلك كتاباً نسب فيه الفوز لنفسه وذكر أعجوبة حدثت في أثناء الجدل عمي بها كل الحاضرين من اليهود فصلى الاسقف والتمس شفاءهم فعادت اليهم ابصارهم فافحموا وتنصروا . ولم يطل حكم اسيفايوس على حمير لأنهم ناروا عليه وخلعوه فارسل اليسباس جنداً لاخضاعهم فانضم الجند الى العصاة فلما يتس الملك من اذلالهم قنع بعقد الصلح بينه وبينهم ^(١) تلك هي اقوال اليونان عن اسباب ذلك الفتح ولعلها اقرب الى الواقع لانها مأخوذة عن مصادر كتبها أصحاب الشأن المعاصرون

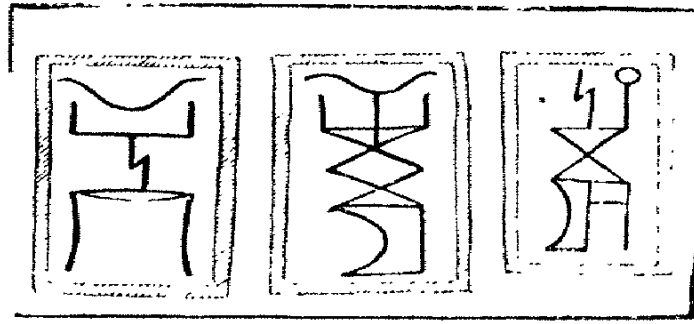


ش ٢٠ - حصن غراب

وعثر الضابط ولستد في شواطئ اليمن على مرتفع اسمه حصن غراب أو حصن الغراب عليه نقوش بالحميرية قرأها المستشرقون بعد ذلك فاذا فخواها « ان سميغ اشوى وأولاده نقشوا هذا التذكار في حصن مويجت (حصن غراب) لما رموا أسوارهم ورواياهم ودروبهم في الجبال وتحصنوا فيه بعد ان فتحوا الحبشة وغلبوا أهلها وفتحوا طريق التجارة في ارض حمير وقتلوا ملكها واقباله الحميريين والارحبيين في شهر حجتين سنة ٦٤٠ » ^(٢) فاذا كان المراد بالسميغ وأولاده قواد حملة الاحباش فيكون ذلك اقرب الى ما ذكره اليونان لان السميغ يشبه لفظ اسيفايوس المتقدم ذكره

لكنهم قرأوا على آثار اليمن اسم القائد الحبشي كما ذكره العرب « ابرهة » مكتوباً في خرطوش بالخط الحميري كما كانت الفراعنة يكتبون اسماءهم وبجانب اسم ابرهة خرطوش باسم اراحيس زيجان الملك الذي أرسله (انظر ش ٢١)

(١) Sharpe, II. 354 (٢) Bent, 249



ش ٢١ - خرطوش ابرهة وارايمس زيبان

وللتوفيق بين الروايتين ينبغي ان نعتبر لكل من ابرهة وملكه اسمين أو اسماً ولقباً أو لعل هنالك التباساً بين قائدين أو ملكين . وقد فصل العرب تمرد الاحباش المشار اليهم مع تبديل في الاسماء قالوا ان بعض قواد ارباط نقموا عليه تمييز بعضهم بالعطاء او الغنائم فاجتمعوا بقيادة احدهم « ابرهة » وحاربوه وتولى ابرهة مبارزته وغلبه وتولى حمير قيادة الجند مكانه وظل في ذلك المنصب عشرين سنة وخلفه ابنه يكسوم ثم اخوه مسروق بن ابرهة

وعمل الاحباش في أثناء حكمهم على نشر النصرانية في حمير فبنى ابرهة في صنعاء كنيسة كبيرة سماها « القليس » - تحريف اسم الكنيسة في اليونانية - وبالغ في تزيينها واتقانها فنقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وألوان الاصباغ وصنوف الجواهر وجعل فيها خشباً له رؤوس كرفوس الناس والكلاب بأنواع الاصباغ وجعل على خارج القبة برنساً فاذا كان يوم العيد كشف البرنس عنها فيتلأل رخامها مع ألوان الاصباغ حتى تكاد تلمع البصر . وكتب على بابها بالمسند « بنيت هذا لك من ممالك ليذكرك فيه اسمك وانا عبدك » (١)

دخول اليمن في حرزة الفرس

وملّ الحيريون سلطة الاحباش وكان في امراء حمير رجل من الاذواء اسمه سيف ابن ذي زن استنجده قومه فسعى في انتازهم من سلطة ذلك الاجنبي وأشاروا عليه ان يستنصر قيصر الروم فاستنصره فردّه فمضى الى كسرى فنصره بمجنّد تحت قيادة رجل اسمه وهرز قهر الحبشة واخرجهم واحتل مكاثرهم وكتب الى كسرى يقول « اني قد ملكت للملك اليمن وهي ارض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم » وبعث اليه بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد وهي جلود لها رائحة طيبة . فكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي زن ويقدم هو اليه بخلاف سيفاً على اليمن . فلما خلا سيف باليمن

وملكها عدا على الحبشة فجعل يقتل رجالها ويقتل نساءها عما في بطونهم حتى اقتاها
الا بقايا منها أهل ذلة وقلة فاتخذهم خولاً . فكث على ذلك غير كثير وركب يوماً
وتلك الحبشة معه ومعهم حراهم يسمعون بها بين يديه حتى اذا كان وسطاً منهم مالوا
عليه فطعنوه حتى قتلوه ^(١) ولم يبق على الحميريين ملك حتى كان الاسلام ودخلوا في
حوزة المسلمين . ومدة حكم الاحباش على قول العرب ٧٤ سنة منها ٢٠ سنة لارباط
و ٢٣ لابرهة و ١٩ ليكسوم و ١٢ لمسروق . وصارت عاصمة اليمن منذ فتحها الاحباش
« صنعاء » والملك يجلس في قصر غمدان وقد نظم أمية بن أبي الصلت قصيدة يهني
بها سيف بن ذي يزن يوم تغلبه — قال بمطلعها :
لا يطلب الثأر الا كابن ذي يزن في البحر خيم الاعداء أحوالا

دول اليمن الصغرى

١ - الاقبال والاذواء

تلك دول اليمن الكبرى من معين وسبا وحير وقد طصرتهم دول صغرى أو
امارات رؤساؤها أصحاب القصور أو المخافد ويعرفون بالاذواء جمع « ذو » من قولهم
ذو غمدان وذو سلحين وهم حكام البلاد الاصليون ومنهم نبغ الملوك الذين أسسوا
الدول كما تقدم . ولا غرو اذا عجزنا عن معرفة تاريخ تلك الامارات الصغرى ونحن عن
معرفة تاريخ الدول الكبرى عاجزون . ولكننا وقفنا على اسماء بعضهم مشتتة في الكتب
ورأينا بعضها مجموعاً في القصيدة الحميرية والاذواء فيها طبقتان طبقة مماها الملوك الثمانية
وهم ثمانية اذواء كانوا اقوياء ناهضوا حير في أيام دولتهم على ما يظهر . والطبقة الثانية
اذواء مستقلون . والاذواء الثمانية ضمنهم الشاعر في الايات الآتية :

ابن الثمانية الملوك وملكهم ذلوا لصرف الدهر بعد جحاح
ذو ثعلبان وذو خايل ثم ذو شجر وذو جدر وذو صرواح
أو ذو مغار بعد أو ذو جرفز ولقد محاذ عسكران ماح

وأما سائر الاذواء فأكبرهم ذو مراند جد الناظم وهذا قوله فيهم :

أو ذو مراند جدنا القيل ابن ذي شجر أبو الاذواء رحب الساح
وبنوهم ذو قين ذو سفر وذو عمران أهل مكارم وصباح

والقيل ذو ربيان من أبنائه
 أم اين ذو الرحين أو ذو يرحم
 أم اين ذو بهر وذو يزن وذو
 أم اين ذو فيقان أو ذو اصبح
 أم اين ذو الشعبين اصبح صدعه
 أو ذو حوال حيل دون مراره
 أم اين ذو غمدان أو ذو قاش
 أو ذو الكناس وذو الكلاع ويحصب
 أم اين ذو أفنان أو ذو اقرع
 أو ذو العبير وذو ذرايح خانه
 أم اين ذو ينين أم ذو امر
 أم اين ذو ثاب وذو هكر وذو
 أم اين ذو غمان أو ذو شودن
 أم اين ذو شهران أو ذو ماور
 أم اين ذو فهد وشمال ابنه
 أم اين ذو شحط وذو تبع معاً
 أم اين ذو أوسان أو ذو ماذن
 راح الحمام اليه بالروح
 سقيا بكاس للمنون ذباح
 نوش وذو نوح وذو الانواح
 لم ينح بالامساء والاصباح
 لم يلتئم لثقف الاقداح
 أو ذو مناح لم يبيع بمراح
 أو ذو رعين لم يفز بفلاح
 اضحوا وهم للتائبات اضاحي
 أو ذو الجناح هزير كل كفاح
 دهر بيد اليسر كالذلاح
 وبنو شراحيل وآل شراح
 نمر وذو ضر وذو المسراح
 لاهي ببيض في النساء ملاح
 اضحت ديارهم بلا قداح
 فلقد عفاهم دهرهم بمتاح
 أو ذو ملاح لمو خير ملاح
 أم اين ذو التيجان والابراح

أما الاقيال فهم صفار الملوك الذين يقتصرون على مملكة صغيرة كالحفد الكبير أو مؤلفة من بضعة قصور وفيهم طائفة من العياهل أو الملوك لحضرموت وقد ذكر الحميري بعضهم بقوله :

وعياهل من حضرموت من بني
 والعز من جدن وابنا مرة
 وبني الهزيل وآل فهد منهم
 اجماد ذي الاشبا وآل صباح
 وبني شيب والاولى من مناح
 من كل هش بالندی مرتاح^(١)

ناهيك ببديوتات اليمن وأهل الشرف والسؤدد ممن لم تكن لهم دولة ولكنهم كانوا هم والاذواء والاقبال يعترفون بسيادة ملوك حمير أو سبا مع استقلال كل منهم بشؤونه الداخلية كما كان شأن ملوك المسلمين في الاجيال الاسلامية الوسطى مع خلفاء بني العباس.

او هم كملوك الطوائف في الدول الكبرى^(١) فلم تخل اليمن من الاذواء حتى في ابان سيادة الدول الكبرى ولما ذهبت دولة حمير ودخات اليمن في حوزة الاحباش ظل اولئك الاذواء أو الاقيال يتصرفون بشؤون انفسهم ولهم ثروة ونفوذ الى ما بعد الاسلام بقرن وبعض القرن^(٢)

٢ - الجبائية والقنابية

هما أمتان تجاريتان من امم اليمن لم يعرفهما العرب وانما ذكرهما اليونان حوالي تاريخ الميلاد في عرض كلامهم عن الميعنيين والسبأيين قال بلينيوس « ان المر المعيني هو بالحقيقة غلة الجبائية والحضرموتية وكانت الاطياب على العموم تحمل للتجارة على ايدي الجبأيين وحدهم » فيدل ذلك على علاقة بينهم وبين الميعنيين . ويرى غلازر ان الجبائية طائفة من الميعنيين لانه وجد اسمهم بالحرف المسند مراراً بجانب اسم الميعنيين بقرائن تدل على اشتراكهم في التجارة . ولم يكن الجبأيون دولة وانما هم عشيرة أو طائفة تشتغل بنقل التجارة لها زعيم كامير القبيلة . ويظن مولر ان الاسم مشتق من جباً اي جمع الاطياب وجاء ذكرهم مرة وعليهم ملك منهم وقد اشدت ساعدتهم وكانت تجارة افريقيا تنقل على يدهم وفرضتهم التي يحتزنون بها بضائعتهم « عقيل » وفي صفة جزيرة العرب لاهمداني « جباً مدينة الفاخر وهي لآل السكرندي من بني ثمامة آل حمير الاصغر »^(٣) اما القنابية فنسبتهم الى السبأيين مثل نسبة الجبائية الى الميعنيين . وظنهم سبرنجر بني قضاة عند العرب وخالفه مولر وغلازر . وبرهن مولر انهم طائفة سبائية قائمة بنفسها ووجد اسمهم على الآثار بالمسند « قنابان » ولعل سد قناب الآتي ذكره من سدودهم وكانوا يقيمون في عقيل نحو القرن الثاني قبل الميلاد ثم جاءهم الجبائية واخرجوهم منها فاقاموا في ثناء فلاحهم الجبائية اليها واخرجوهم منها . وكان من امراءهم امير اسمه صحر ياليل بوهرجب أي الثمر ويظن مولر ان القنابية بطن من السبائية خرجوا من ظفار بلاد حمير ودخلوا في حوزة السبأيين ثم نزحوا الى مأرب حتى تغلب عليهم الجبائية^(٤)

٣ - القريون

وذكر استرابون امة عربية سماها جرهيين Gerrhae قال انهم اغنى العرب يقتنون

(١) حمزة ١٢٩ (٢) ابن خلدون ٢٤٣ ج ٢ (٣) الهمداني ٥٤

(٤) Müller, Burg. II. 71 — 78

الرياش الفاخر ويتمتعون بكل أسباب الرخاء والترف ويكثر من آنية الذهب والفضة والفرش الثينة وزيتون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والحجارة السكرية (١) وقال ايضاً ان مدينتهم جراً Gerra او جرها واقعة في بقعة كثيرة الملح تبعد نحو ٢٠٠ ستادة عن البحر . وقال اغارسيدس انهم اغنى أهل الارض وسبب غناهم انجارهم بغلال بلاد العرب والهند فيحملونها على القوافل الى الغرب أو بحراً الى بابل بفرضة جراً ولهم سفن ضخمة تسير في الاوقيانوس الهندي ومراكب تسير في الأنهر يصلون بها الى بابل . وقد يصعدون بها في دجلة الى مدينة اويديس ومنها تنقل البضائع الهندية والعربية وتنتشر في بلاد مادي وارمينيا وما جاورها وان هذه الامة اصلها من بابل ولم يذكر العرب أمة ولا دولة ولا عشيرة بهذا الاسم . وقد ذهب المستشرقون الى انها من اعم البحرين على خليج فارس وان جراً أو جرها هي الجرءا فرضة من فرض تلك الناحية بالاحساء ولها ذكر في شعر العرب . ولسكننا نرى أن الجرهيين هم أهل اليمامة تحريف القرين نسبة الى « قريّة » اسم اليمامة القديم ويؤيد ذلك قدم سكان اليمامة وعمرانها القديم في ايام طسم وجديس كما تقدم . وفي كتب العرب ان ملك طسم كان عمليقاً والعماليق اصلهم من بابل

وهناك دول اخرى تولت بعض اقسام اليمن جاء ذكرها عرضاً في كتب اليونان او العرب لا نعرف من اخبارها شيئاً نتق بصحته كالدولة الحضرموتية التي ذكرها اليونان Chatriagiotitae (٢) ولماها التي يريدونها العرب بقولهم « امة حضرموت » ويعدونها من العرب العاربة غير البائدة قال ابن خلدون « وأما حضرموت فمدودة في العرب العاربة لقرب ازمانهم وليسوا من العرب البائدة لانهم باقون في الاجيال المتأخرة الا ان يقال ان جمهورهم قد ذهب من بعد عصورهم الاولى واندرجوا في كندة وصاروا من عدادهم فهم بهذا الاعتبار قد هلكوا وبادوا والله أعلم » ثم أتى بشيء من اخبارهم وذكر ملوكهم ذكرأ يفتقر الى تمحيص فاكتفينا بالاشارة اليها (٣) وقد رأيت ذكر عياهل حضرموت في القصيدة الحميرية

وقل نحو ذلك بما ذكره العرب عن حضورا وجرهم وغيرها سيأتي ذكر جرم في أثناء كلامنا عن الطبقة الثالثة من العرب



تعدن اليمن القديم

إذا عددنا دولة حورابي عربية كما ترجح عندنا الاسباب التي ذكرناها في كلامنا عن هذه الدولة كان العرب من أسبق الأمم الى التمدن لانهم أنشأوا الدول وشادوا المدن ونظموا الحكومة وسنوا الشرائع وبنو المدارس والهياكل ورقوا الحياة الاجتماعية بترقية شأن المرأة منذ أربعة آلاف سنة وقد أتينا بأمثلة من ذلك في صدر هذا الكتاب ونقتصر هنا على تعدن عرب اليمن الذين لا خلاف في عريتهم . وقد رأيت انهم كانوا أهل تعدن ودولة لا تقل عن دول معاصريهم في اشور وفينيقية ومصر وفارس قابتنوا المدن وشادوا القصور والهياكل وتبسطوا في العيش مثلهم لكن تعدنهم لم يكن حرياً كتمدن الاشوريين والفرس والمصريين بل كان تجارياً كتمدن الفينيقيين فكانوا واسطة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب في عهد ذلك التمدن . فانقطعوا لاعمالهم وتفرغوا لاستثمار ارضهم بغرس الحبوب وحفر المناجم واصطناع العطور والاطياب وركوب القوافل في القفار والسفن في البحار لنقل السلع . وتوالت اجيال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم كما كان اخوانهم الفينيقيون في اجيال اخرى وقد تعاصروا حيناً وتعاونوا على ذلك دهرأ طويلاً

على ان هذا التمدن لم يرد له ذكر في كتب العرب الا قليلاً وانما استنتجناه مما كتبه اليونان عن التاريخ القديم وما اكتشفه العلماء من آثار المدن وما قرأوه على اطلالها من اخبارها . ونقسم الكلام في ذلك الى سبعة ابواب (١) النظام الاجتماعي (٢) الصناعة والزراعة والتعدين (٣) العمارة (٤) التجارة (٥) الحضارة (٦) الدين (٧) اللغة والكتابة

١ - النظام الاجتماعي

الدولة

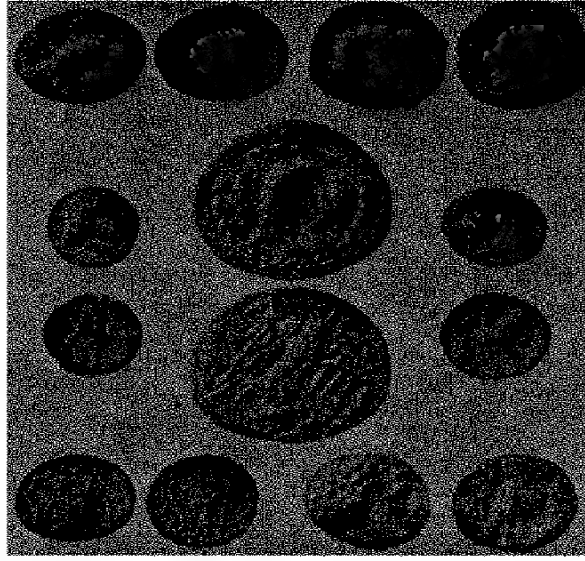
لم يصل الينا شيء من احوال الحكومة ونظامها في تعدن اليمن الا ما قد يستفاد من قرائن الاحوال . والظاهر ان الممينيين مؤسسي ذلك التمدن في اليمن اتوا به من بابل او نسجوه على منوال تمدنها . فقد كانت المملكة عندهم مؤلفة من قصور او محافد يملك كلا منها شيخ او امير هو صاحب القصر أو المحفد كما تقدم وفي المحفد هيكل او معبود . وينسب القصر الى صاحبه او الى ذلك المعبود . ونشأ من أصحاب تلك القصور او المحافد

رجال طمعوا بجيرانهم وأخضعوهم وأنشأوا الدول الكبرى كالمعينية والسبائية والحيرية .
على ان هذه الدول كلها تجارية فاذا مدت سلطتها الى خارج اليمن فلا استثمار التجاري
الا نادراً

رأس الحكومة عندهم الملك وهو مطلق الحكم لا يخرج من قصره في مأرب او
غيرها من قصباتهم الا نادراً . وقلما كانوا يعتنون بتنظيم الجند لقلة الحروب والفتوح الا
ما يدفعون به عن أنفسهم عند الحاجة أو لحماية القوافل في أسفارها وانما كانوا يجمعون
الرجال لاستخدامهم في بناء المدن او القصور أو في انشاء السدود أو ترميمها . وكانت
الحكومة عندهم وراثية تنتقل الى الابناء أو الاخوة الا حضرموت قبيل النصرانية فقد
ذكر استرابون ان الملك فيها لا ينتقل من الاب الى الابن أو احد اهله وانما هو ينتقل
الى أول مولود من الاشراف ولد في اثناء حكمه . وان من عاداتهم عند الاحتفال ببيعة
الملك ان يرفعوا اليه قائمة باسماء نساء الاشراف الحوامل فيمين لكل منهن من يخدمها
ويراقب وضعها ليعلموا السابقة الى الوضع وهل وضعت غلاماً أو جارية فاذا كان غلاماً
أمر الملك بمن يعتني بتربيته واعداده لملك كما يربى ولادة العهد اليوم (١)

وكان لملوكهم ألقاب ذكرنا امثلة منها بجانب اسمائهم مثل يثيع وريام وصديق في
الدولة المعينية وييين وينوف وونار في الدولة السبائية مثل ألقاب خلفاء المسلمين في صدر
دولتهم كالفاروق والصديق والولي وألقاب العباسيين كالمصور والرشيد والمأمون وغيرهم
وقد ضرب اليمنيون نقوداً نقشوا عليها صور الملوك وأسماءهم وأسماء المدن التي
ضربت فيها بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية كصورة البومة أو الصقر
أو رأس الثور رمز الزراعة والفلاحة أو صورة الهلال وهو رمز ديني عندهم . وبجانب
تلك الرموز كتابة بالقلم المسند كالحرايطش . ومن هذه النقود مجموعة حسنة في المتحف
الادبي في فينا (٢) هذه امثلة منها (انظر ش ٢٢)

ويؤخذ من صورهم على النقود التي وصلت اليها ان ملوك اليمن كانوا يصفرون
شعورهم جدائل يرسلونها على اقفيتهم او على جانبي رؤوسهم أو خديهم ويظهر انهم لم
يكونوا يرسلون لحامهم ولا شواربهم لاتسالم نجد لها صورة على النقود ولا غيرها من
الصور التي اكتشفوها في اليمن حتى الآن . فهم يشبهون المصريين أو الاثيوبيين من
هذا القبيل اكثر مما يشبهون الاشوريين . وتلك الآثار من بقايا الدولة السبائية او
الحيرية دون المعينية . وذلك يؤيد قولنا ان أصل السبائيين من الحبشة



ش ٢٢ — امثلة من تقود السبائين في اليمن

وكانوا يركبون الافراس أو المركبات تجرها الخيول أو الافيال ولا سيما بعد اختلاطهم بالاحباش على عهد الدولة الحميرية . وقد ذكر ثيوفانس خبر الوفد الذي أرسله يوستين قيصر القسطنطينية في اوائل القرن السادس للميلاد الى ملك حير ورئيس الوفد اسمه يوليانوس قال انه رأى الملك واقفاً على مركبة يجرها أربعة افيال وليس عليه من الالبسة الا منزر محوك بالذهب حول حقوية وأساور ثمينة في ذراعيه يحمل يده ترساً ورمحين وحوله رجال من حاشيته وعليهم الاسلحة يتقنون باطرائه وتفخيمه . فلما وصل السفير وقدم له كتاب القيصر تناوله الملك وقبله ثم قبل السفير نفسه وتبل الهدايا التي حملها وخوى الكتاب ان يرسل رجاله لدفع الفرس عن حدود بلاده ويحفظ طريق التجارة مفتوحاً لتجار الاسكندرية كما تقدم فوجد السفير انه قاعل ذلك (١)

الامة

كانت الامة في دول اليمن مؤلفة من أربع طبقات ار طوائف (١) الجند المسلح لحفظ النظام وحماية القلاع وحراسة القوافل (٢) الفلاحون لزراعة الارض واستغلالها (٣) الصناع (٤) التجار . ولكل طائفة حدود لا تتعداها ولا ينتقل أحد منها الى سواها

(١) Sharpe, II. 345

العرب قبل الاسلام

وذكر استرابون ضرباً من الاشتراكية عند اولئك العرب غريباً في بابه . فبعد ان اورد اشتراك كل عائلة بالاموال والمتاع بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجالها سنّاً قال « والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فن دخل منهم اليها اولا ترك عصاه بالباب والليل خاص باكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون امهاتهم . ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة بارعة في الجمال لها ١٥ أخاً كل واحد منهم يرواها حتى ملتهم واحتالت على منعهم بعصي اصطفتها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت اذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطفتها على مثالها فيتوهم سائر الاخوة انه لا يزال عندها وقد يجيء أحدهم يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبدل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعاً في ساحة ورأى أحدهم يباب اخته عصا وليس من اخوته أحد غائباً فظن فيها السوء فشكاها الى ابيها ولما اطلع على عذرها برأها » (١) هذه حكاية استرابون ولم تذكرها الا لغرابتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة

٢ - الصناعة والزراعة والتعدين

١ - الصناعة

ليست جزيرة العرب بلداً صناعياً وانما صناعتهم تحضير بعض أصناف التجارة كالبخور واللبان والطوب وغيرها وكان ذلك مشهوراً عنهم بين الامم القديمة لا يشاركون فيه أحد قال هيرودوتس « وبلاد العرب فيها وحدها البخور والمر والقرفة والدارصيني واللاذن والعرب يجنون كل هذه الاشياء بتعب جليل الا المر . ولا جتنا البخور يحرقون تحت الاشجار التي تولده صمغاً يسمى ميرة يأتي به الفينيقيون الى الاغارقة فيحرقون هذا الصمغ تنفيراً لتوع من الحيات الطيارة التي تأوي الى تلك الاشجار ولا تذهب منها الا بدخان الميرة . اما القرقة فلما يذهبون لجنيها يغطون ابدانهم ووجوههم الا الحدق بجلود الثيران والماعز . والقرقة تنبت في بحيرة قليلة المياه تسرح حولها حيوانات كالخفافيش تصيح صياحاً هائلاً وهي شديدة الاذى فيتقي العرب اذاها بهذه الجلود ريثما يجنون القرقة . وأما الدارصيني فيجنى بطريقة أعجب من الاولى والعرب انفسهم لا يعرفون من اين يأتي . ويزعم البعض انه

ينبت في البلاد التي تربي بها باخوس . وان طيوراً تحمل عيدان الدارصيني لتبني بها اعشاشها مع الطين في جبال وعرة بعيدة عن المدن لا يستطيع الانسان الوصول اليها . فالعرب يقال انهم يحنلون في الحصول على هذه العيدان بقطع من لحوم البقر او الحمير يضعونها في أقرب مكان من العش فيأتي الطير ويحملها الى فراخه وحالما يضعها في العش تثقله فيسقط فيتناول العرب عيدانه ويتجرون بها . اما الاذن فطريقة جنيته اعجب من هذه لانهم يجدونه في لحى النيوس والاعناز كالمفن الذي يتولد على الحشب فيدخلونه في تركيب طيوب كثيرة والعرب يتطايبون بالاذن خصوصاً وبلاد العرب زكية الرائحة حينما سرت . وفيها نوعان من الغنم أحدها ذيله يزيد طوله على ثلاثة اذرع اذا ارسلوه انسحب وراء الغنم وتقرح . والنوع الآخر عرض ذيله ذراع « (١) »

٢ — الزراعة

ومن قبيل الاعمال الصناعية ايضاً الزراعة ومن يحبوب بلاد العرب حتى يأتي حيث كانت مدائن معين وسبا وحمير وغيرها من الدول القديمة لا يرى الا رمالاً محرقة وجبالاً جرداء فيستغرب ما يسمعه عن ثروة تلك الامم وسعة سلطاتها . والحقيقة ان تلك البادية المحرقة كانت على عهد ذلك التمدن بساتين وغياضاً فيها الاغراس من الاشجار والياحين والحنطة والازهار . وكانت الزراعة في رقي حسن مع مشقة الري في بلاد لا نيل فيها ولا فرات وانما هي تسقى من السيول في الشتاء فاذا اقبل الصيف شحنت المياه ويبس الزرع فبلغ من رغبتهم في العمارة وعلو همتهم انهم انشأوا سدوداً كالجبال يحجزون بها المياه في الاودية حتى ترتفع ويسقوا بها المرتفعات يصرفون الماء اليها من نوافذ حسب الحاجة كما يفعلون بخزانات هذه الايام . والعرب اول من اصطنع الخزانات وهي السدود اعظمها سد مأرب وسندكرها في الكلام على العمارة وترى في الشكل (٢٣) صورة رجل من أهل اليمن يحراث الارض بالثيران وفوق الصورة كتابة بالمسند

وبلاد سبا ذكر استرابون انها اخصب بلاد العرب وذكر من محصولاتها المر والبخور والكبش قرنفل والبلسم وسائر المطريات فضلاء عن النخيل والغاب . ووصف الهمداني وادي ظهر باليمن وقد شاهده شهادة عين فذكر فيه نهراً عظيماً يسقي جنوبي الوادي وعليهما من الاعناب نحو عشرين نوعاً قال « وفيه اصناف الغضاه من الخوخ



ش ٢٣ - فلاح يماني بحرث الارض

الحيري والفارسي والحلامي والتين والبلس والكمثرى الذي ليس في الارض مثله يقول ذلك من يقد على صنعاء من الغرباء والاجاص والبرقوق والتفاح واللوز والجوز والسفرجل والرمان «

٣ - التعدين

ومن قبيل الصناعة أيضاً التعدين اي استخراج المعادن من بطن الارض . وقد اشتهرت بلاد العرب بمعادنها وجواهرها عند القدماء وان ظهر ذلك غريباً الآن لتقلب الاحوال وتحول الازمان ولكن التاريخ اصدق شاهد على ما كان في جزيرة العرب من الثروة في جوفها فضلاً عن سطحها . كان فيها كثير من مناجم الذهب والفضة والحجارة الكريمة وكان ذلك من أهم أسباب طمع الفاتحين فيها في ذلك العهد . وقد شبهها بعضهم بكفورنيا هذا الزمان لكثرة مناجمها . وأقدم هذه المناجم في بلاد مديان ولها شهرة واسعة في التاريخ القديم حتى ألف بعضهم كتباً خاصة في معادنها وذهبها وآثارها وذكروا كثيراً من آثار هذه المناجم واكتشفوا مدناً كانت آهلة لم يبق غير أطلالها (١)

وذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب وياقوت في معجم البلدان وغيرها كثيراً من مناجم الذهب بعضها في اليمن والبعض الآخر في اليمامة او تهامة او البحرين . منها معدن نحب في ديار بني كلاب وحليت في تلك الديار ايضاً ومعدن بيدش في مخاليف اليمن ومعدن ققاعة في اليمن ناهيك بذهب خولان الوارد ذكره في التوراة باسم حويلة

وفي البامة كثير من المعادن خصص لها الهمداني فصلاً سماه معادن البامة وديار ربيعة وهي معدن الحسن او الاحسن هو معدن ذهب غزير . ومعدن الحفير بناحية عماية وهو معدن ذهب غزير أيضاً . ومعدن الضبيب عن يسار هضب القليب ومعدن الثنية ثنية ابن عصام الباهلي ومعدن الموسجة من ارض غني فوق المغيرة بيطن السرداح ثم معدن شمام للفضة والصفرة ومعدن تياس ومعدن العقيق ومعدن الحججة بين العمق وبين أفيعية ومعدن بيشة ومعدن الهجيرة ومعدن بني سليم فهذه معادن نجد^(١) وقول العرب معدن كذا يراد به معدن الذهب الا اذا عرفت فوه بالفضة او الصفرة او غيرها وفي بلاد العرب فضلاً عن مناجم الذهب مناجم الجواهر الاخرى كمعدن الفضة في الرضراض لا نظير له ومعادن للحديد غير معمولة في نغم وغمدان وفيها فصوص البقران ويبلغ المثلث منها مالا كثيراً وهو ان يكون وجهه احمر فوق عرق ابيض فوق عرق اسود . والبقران الوان ومعدنه بجبل انس والسعوانية من سعوان واد جنب صنعاء وهو فص اسود فيه عرق ابيض ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد . والجش في شرف همدان والبلور يوجد في مواضع منها . والمسني الذي يعمل منه نصب السكاكين يوجد في مواضع منها . والعقيق الاحمر والاصفر العنيقان من الهان . وبها الجزع الموشى والمسير منه النقمي والسعواني والضميري والحولاني والجرتي . والشرب يعمل منه الالواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداخن وغير ذلك . وليس سواه الا في بلد الهند والهندي بعرق واحد^(٢) . فضلاً عن مفاوص الاولو في البحرين وهي اشهر من ان تذكر

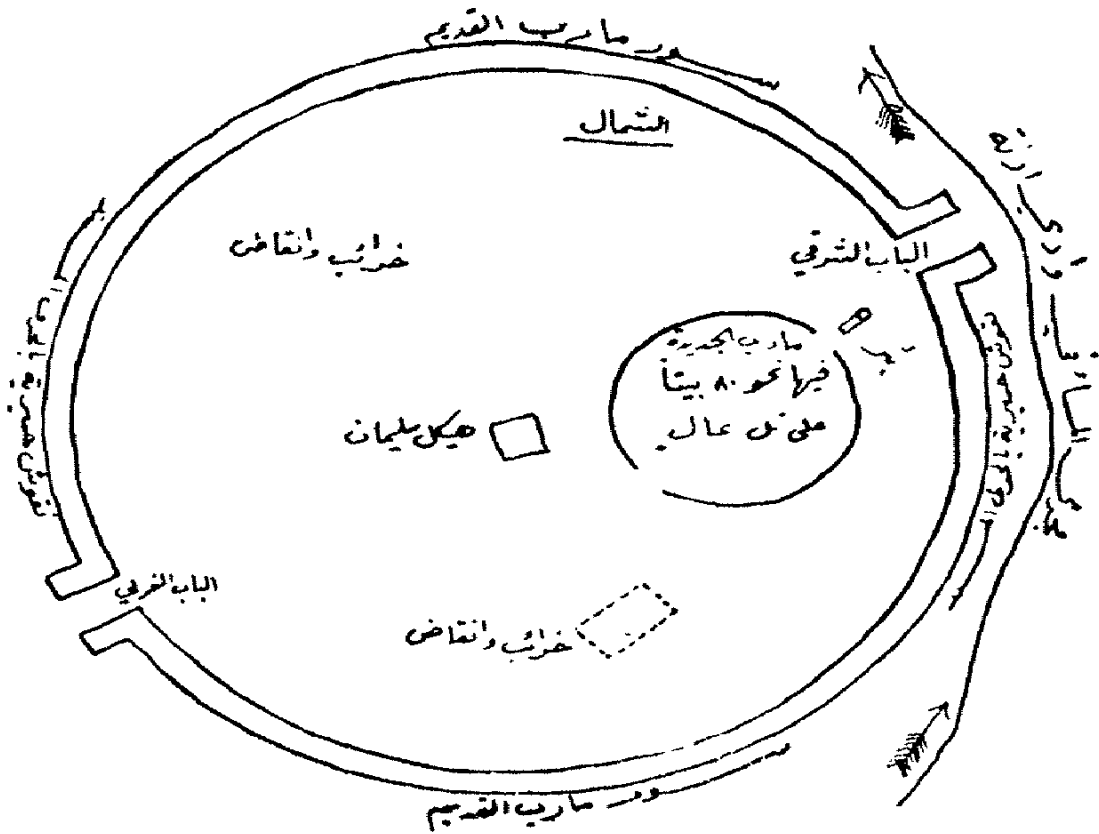
٣ — العمارة

١ — مدن اليمن

انشأت العرب باليمن وغيرها مدناً اكثرها اندثر ولم يبق الا خبره مثل مأرب ومعين وبراقش وظفار وشبوة وناعط ويذنون وصنعاء وغيرها وقد تقدم ذكر بعضها . واصل العمارة في مدن اليمن القصور والمحافد وهي أشبه بالقلاع او الهياكل يقيم فيها الاذواء كما تقدم . وربما احتوت المدينة الكبيرة على عدة قصور وهياكل نفحة البناء

كثيرة الزينة . وقد اطرى استرابون زخرف تلك القصور وقال انها تشبه بشكلها القصور المصرية ^(١) وذكر بلينيوس ان في مدينتي ناحية وتناء بالين ٦٥ هيكلاً وفي شبهة قصبة حضرموت ٦٠ هيكلاً ^(٢)

خريطة مدينة مارب بعد خرابها



الخريطة الثالثة - مدينة مارب او سبأ بعد خرابها

مارب : وتسمى ايضاً « سبأ » هي اشهر مدائن اليمن ويلوح لنا ان لفظها آراحي الاصل مركب من « ماء » و « راب » اي الماء الكثير او السيل الكبير . ويؤخذ مما وقفوا عليه من انقاضها انها كانت مستديرة الشكل قطرها نحو كيلومتر بحديق بها سور له بابان احدهما شرقي والاخر غربي وبجانب الباب الغربي كتابة تفسرها انه من بناء يثعمر بين بن سميملي ينوف مكرب سبأ ^(٣) وفي وسطها آثار هيكل يسميه اهل تلك الناحية الآن هيكل سليمان

(١) Strabon, III. 360 (٢) Glaser, Geo. II. 88

(٣) Müller, Burg. II. 16

وقد قال الطمحنان يذكر مأرب :

أما ترى مأرباً ما كان أحصنه وما حواليه من سور وبنيان
وبذلك اشارة الى سورها المنيع . وكان السيل في وادي اذنة يجري في شرقها
كما ترى في الخريطة الثالثة ليسقي ما بين يديها وما حولها فتصير كأنها في جنان وغياض .
غير ما كان فيها من الابنية الضخمة من الرخام كقصور سلحين والهجر والقشيب وقال
علقمة :

ومنا الذي دانت له الارض كلها بمأرب يبني بالرخام ديارا
وقد شاهد الحمداني انقاض مأرب في القرن الرابع للهجرة فذكر في الاكليل
بين تلك الانقاض أعمدة للعرش ولعله يريد قصر سلحين وهو القصر الذي كان يقيم
فيه الملك . قال « انها لا تزال قائمة ولو اجتمع جيل على ان يصرعوا واحدة منها لم
يقدرُوا لان كل عمود منها تقبوا له في الصفائح القم اسفله وصب بينه القطر » ويسمون
قصر سلحين ايضاً قصر بلقيس . وقد أفاض الشعراء في وصف مأرب وآثارها قال
علقمة :

وقصر سلحين قد عفاه ريب الزمان الذي يريبُ
تعوي الثعالب في قراها ما في مساكنها غريبُ

وقال تسع :

ومأرب قد نطقت بالرخام وفي سقفها الذهب الاحمرُ

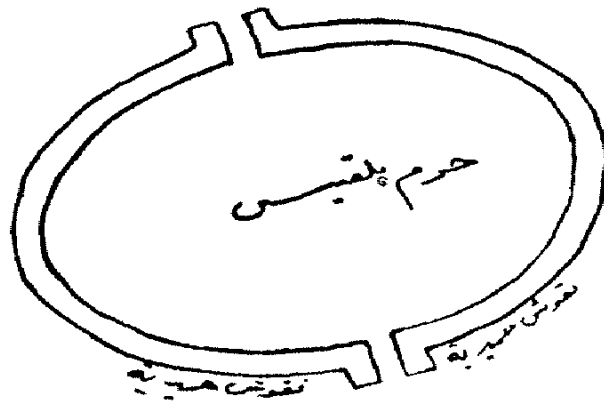
وقال علقمة :

او ما ترين وكل شيء للبلال سلحين خاوية كأن لم تعمر (١)
ومن مدن اليمن القديمة معين وبراقيش وشبوة وظفار وصنعاء وهذه الاخيرة
لا تزال باقية الى الآن . اما معين فقد خربت وغطتها الرمال حتى خفيت عن أهل
اليمن انفسهم فكشفها هالي في كما تقدم في الكلام عن دولة المعينيين وذكرنا ما قيل
فيها وفي براقيش

صنعاء : اما صنعاء فحدث عواصم اليمن قبل الاسلام نزلها الاحباش بعد فتح اليمن
وفيه عدة قصور أشهرها غمدان . والمدينة طيبة الهواء تنفي الشعراء في وصفها واطراء
طقسها ورغدها قال ابو محمد الزبيدي (٢)

قلت وتقسي جيمٌ تأوُّدها تصبو الى اهلها واندها
سقياً لصنعاء لا أرى بلداً اوطنه الموطنون يشبهها

خفصاً وليناً ولا كهمجتها ارغد ارض عيشاً وارفعها
 كأنها فضة مموتة احسن تمويهها مموتها
 كم دون صنماء سملقاً جدداً تذبو بمن رامها مموتها
 ارض بها العين والظباء ممأ فوضي مطافيلها وولها
 كيف بها كيف وهي نازحة مشبه نيهها ومهمها
 وفي صنماء بنى ابرهة الحبشي القليس كما مر



□ □ □ □ □
 اعمدة واقفه

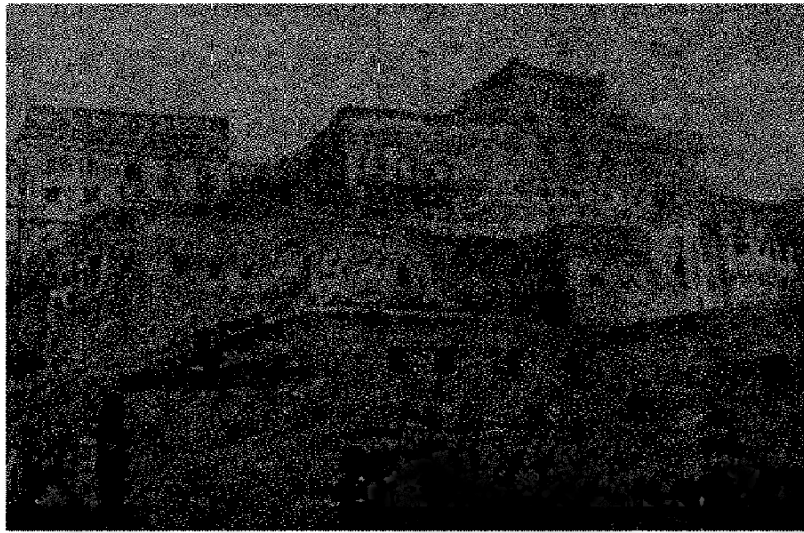
الخريطة الرابعة — حرم بلقيس

وعلى نصف ساعة من مأرب نحو الشرق الشمالي انقاض بناء عظيم يقال له « حرم بلقيس » وهو غير قصر بلقيس . ويظهر من بقاياها انه اهللجى الشكل طوله من الشرق الى الغرب . ومحيطه ٣٠٠ قدم حوله سور له بابان شمالي وجنوبي وعلى السور نقوش كتابية بالحرف المسند يستدل منها ان المكان كان هيكلًا للعبادة منها نقش هذا تفسيره « ان كرب ايل وتار يوهنم ملك سبأ وريدان بن ذمر علي بين . وهلاك امير بن كرب ايل أعادا بناء هذا الحائط لألقه من اجل تقدس قصر ساحين ومدينة مأرب » ونقش آخر بمثل هذا المعنى باسم اليشرح بن سمعلي ذرح ملك سبأ . وآخر باسم تبع كرب كاهن ذات غضرن^(١) وعليه نقوش كثيرة غير هذه لا محل ليرادها

٢ — قصور اليمن

اما قصور اليمن فهي كثيرة جداً ذكر العرب عشرات منها في أشعارهم ووصفوا

بعضها وصفاً يوم القاريء. لاول وهلة انه بعيد عن الحقيقة لما سبق الى اذهان الناس من اعتقاد المبالغة في أقوال العرب ولـسـكنه عند التأمل لا يري فيه غرابة وان دل على نخامة وعظمة لا يمهدها الناس في العرب قبل الاسلام . وسنعول في ما نقله من أخبارها على رجل شاهدها بنفسه وقد ثبت صدقه من قرآن كثيرة . نعي الهمداني صاحب كتاب صفة جزيرة العرب وكتاب الاكليل وهذا الاخير اجمع كتاب في وصف محافد اليمن ومساندها ودقائنها ولم يعثر العلماء الا على جزء صغير منه عني المستشرق مولر بنشره والتعليق عليه وفيه وصف كثير من الآثار الحميرية وفي جملتها سد مأرب وكان الناس يحسبون في كلامه مبالغة حتى ذهب ارنو وهاليني وغلازر وشاهدوا آثار ذلك السد وبعض انقاض تلك القصور فوجدوا الرجل صادقاً في ما ذكره عنها فاعتقدوا صدقه في سائر ما قاله وهو يقول ان اشهر قصور اليمن وأعجبها قصر غمدان



ش ٢٤ — بقايا قصر غمدان

قصر غمدان : هو في صنعاء ذكر الهمداني وياقوت ان بانيه اليشرح بحصب (١) فاذا صح قولهما كان بناؤه في القرن الاول للميلاد ونظـل باقياً الى أيام عثمان بن عفـار (٢) في أوائل القرن الاول للهجرة فيسكون قد عاش نحو ٦٢٠ سنة . وشاهد الهمداني بقاياها تلاً عظيماً كالجيل وقال في وصفه انه كان عشرين سقفاً غرقاً بعضها فوق بعض

(١) Müller, Burg. I. 57 وياقوت ٨١١ ج ٢ (٢) للمسعودي ٢٦١ ج ١

أي عشرين طبقة مثل أكبر ابنية العالم المتعدن واعلاها بين كل سقفين عشرة اذرع وقال ان بانيه لما بلغ غرفته العليا اطبق سقفا برخامة واحدة شفافة وكان يستلقي على فراشه في الغرفة فيمر به الطائر فيعرف الغراب من الحداة وهو تحت الرخام . وكانت حروفه أربعة تماثيل اسود من نحاس بجوفة رجلا الاسد في الدار ورأسه وصدره خارجان من القصر وما بين فيه الى مؤخره حركات مدبرة . فاذا هبت الريح فدخلت أجواف الاسود سمع لها زئير كزئير الاسد وكان يصبح فيها بالقناديل فتري من رأس عجيب . وكانت غرفة الرأس العليا مجلس الملك اثني عشر ذراعاً . وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب وعند كل باب منها تمثال من نحاس اذا هبت الريح زأر . وفيها مقيل من الساج والابنوس . وكان فيها ستور لها اجراس اذا ضربت الريح تلك الستور تسمع الاصوات عن بعد . وقال فيه اليشرح شعراً بالحميرية بقي منه هذا البيت :

واني انا القيل اليشرح حصنك (اي حصنت) غمدان بمهمت (١)
ومما قيل في وصف قصر غمدان :

يسمو الى كبد السماء مصعداً عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب مصبب بعمامة ومن الغمام منطق ومؤزر
متلاحكا بالقطر منه صخره والجزع بين صروحه والمرمر

قصر ناعط : ويلى غمدان بالمنظمة والشهرة « ناعط » وهو محفد مؤلف من عدة قصور . قال الهمداني في وصفه انه مصنعة بيضاء مدورة منقطعة في رأس جبل تئين بهمدان . وضمن قصور ناعط قصر المملكة الكبير الذي يسمى « يمرق » ومنها قصر ذي لعوة المسكب بكماب خارجة في معازب حجارته على هيئة الدرق الصفار . قال وذرت في معزب منه سبعة اذرع الا ثلثاً . وبها غير هذا القصر ما يزيد على عشرين قصراً كباراً سوى اما كن الحاشية وكان عليها سور ملاحك بالصخر المنحوت وما فيها قصر الا وتحت كريف الماء (صهريج) مجوف في الصخر فيبتلع الماء الذي ينزل من السطح وفيه الاسطوانات العظيمة طول كل واحدة نيف وعشرون ذراعاً لا يحضن الواحدة منها الا رجلان . وفيها بقايا مسامير حديد قيل انها كانت مراقي الى رؤوسها . وانها كان ينقث عليها الشمع اذا أرادوا الصرخة فتنظر النار من جبل سفيان ومن جبل حضور ورأس مدع وغيرها . وفيها يقول الهمداني على حد الخبرة ورأي العين ويصف ما شاهده عليها من التماثيل والصور : (٢)

فمن كان ذا جهل بايام حير وآثارهم في الارض فليأت ناعطا
 يجد عمداً تعلو القنا مرمرية وكرسی رخام حولها وبلائطا
 ملاحكها لا ينفذ الماء يدها - ومبهومة مثل القراح خرائطا
 على كرف من تحتها ومصانع لها بسقوف السطح لبس وعابطا
 ترى كل تمثال عليها وصورة سباعاً ووحشاً في الصفاق خلائطا
 تجانب ما تنفك تنظر قابضاً لاحدى يديه في الجبال وباسطا
 ومستفعات من عقاب واجدل على ارنب هم ذا فراخ وقامطا
 وسرب ظباء قد نهان الخيف وغضف ضراء قد تعلقن باسطا
 وذا عقدة بين الحيات مواكباً وسامي هاد للركاب مواخطا

ويظهر ان ناعطاً اقدم عهداً من غمدان لان علمان ونهقان ادخلا فيه اصلاحاً وها
 ن ملوك حير باوائل القرن الثاني قبل الميلاد - فهل تقلُّ هذه الآثار كثيراً عن بقايا
 تدمر واثينا ولقصر بعلبك وغيرها من مفاخر الدول القديمة ؟

ريدة او تلفم : قال الهمداني « قصر ريذة من اقدم قصور اليمن وهو قصر تلفم
 وليس من قصور اليمن قصر في اصل جبله بئر سوى تلفم وماؤها اعذب مياه اليمن
 واغزرها » قال « وحدثني بعض اهله انه وجد حجراً في تلفم مكتوب عليه بناء يريم » فاذا
 صح ذلك فان هذا القصر من بناء اواسط القرن الاول قبل الميلاد لان يريم ابن علمان .
 واصبح هذا القصر بعد الاسلام داراً للموليين

مدر : هو محفد مؤلف من ١٤ قصراً شاهدها الهمداني وقال في وصفها « منها ما
 هو مشعب ومنها ما هو عامر . اما قصرها العامر فقد دخلته وهو بوجوه من الحجارة
 البلوطية خارجه ومثله في داخله وقد اجري عليه الماشق فلست ترى عليها فصلاً ما بين
 الحجرين حتى لو كان داخله كريفاً للماء ما خان ولا نفذ وفيها اعداد تلك القصور
 كرف للماء باعمدة حجارة طوال مضجعة على اعمدة قيام بضعة عشر ذراعاً مربعة . وفي
 مسجد مدر اساطين مما نزع من تلك القصور ليس في المسجد الحرام مثلها هي اطول
 منها واكثف واحسن نجراً كأنها مفرغة في قالب . وقبالة قصر الملك منها بلاطة مستقبلة
 للشرق عليها صورة الشمس والقمر يقابلانه اذا خرج »

صرواح : هو قصر عظيم من قدم ابنية اليمن ما بين صنعاء ومأرب ذهب قديماً
 وله ذكر في اشعار العرب قال علقمة :

من يامن الحدنان - مد ملوك صرواح ومأرب .

وقال عمرو بن النعمان بن سعد بن خولان :

ابونا الذي كانت بصرواح داره وفي جبلي نعمان عزّ تمسكنا
ونحن ورثنا عزّ خولان ذي الندى ما أثر عزّ مثلها لم يدمننا
فاورثها سعد بن خولان جدنا بنيه فضا فوها دهوراً وازمنا (١)

وقصور اليمن كثيرة وقد جمع ابو علي المراني اهمها في قصيدة قال منها :

نحن المقاول والاملاك قد علمت اهل المواشي بانا اهل غمدانا
وانتارب يذنون واضرعة والشيد من هكر ناهيك بنيانا
براقش ومعين نحن عامرها ونحن ارباب صرواح وروثانا
وناعط نحن شيدنا مخالفها وقصرها وقرى نشق ونوفانا
وتلفم البون والقصرين من خمر وتنعماً وقرى شرح ودعانا
والهندتين بنى ذو التاج من تبع وقصر ذي الورد تامة رأس ماحانا
وصبح نحو ونجراً فوق قبتها بنى لنا وشباماً بيت اقيانا
وفي ريام وفي النجدين من مدر على المنار وحف الشيد ايوانا
وفي ظفار بنت آباؤنا غرقاً في كوكبان وقصر الملك ريدانا
وقصر يذنون علاه وشيده ذو الفخر عمرو وسوى قصر محمدانا
وقصر احور اس القيل ذو يزن وقصر ذي قانش ارياب قد كانا
وقصر سلحين علاه وشيده كهلان والدنا احب بكملانا
فاصبحت مأرب للريح مخترفاً بعد القصور وبعد الشيد ميدانا
ساق المياه الى سدّ بمأربنا للجنّتين مغانينا وبغيانا (٢)

واكثر هذه القصور لها اوصاف اغضينا عنها خوف التطويل . غير القصور خارج بلاد اليمن كقصر الشموس في البجامة والبتل التي كان يبنها طسم وحديس وقد تقدم ذكرها في كلامنا عن هاتين الامتين . ناهيك بما خلفوه من اماكن الحج والنسك والكهانة مثل كعبة نجران للتصاري وريام بيت نسك كان يحج اليه الناس في رأس جبل اتوة من همدان ينسب الى ريام بن نهقان وحوله مواضع كانت الوفود تحمل فيها . وقدام باب القصر حائط فيه بلاطة عليها صور الشمس واللال هي من بقايا الصابئة كما سيأتي في الكلام عن الدين

وغير القلاع والمصانع وبعضها لا تزال قائمة الى الآن منها مصنعة وحائط واسمها سباع تشابه ناعط في القصور والكرف كريفا اسمها درداع مساحتها ٦٠٠ ذراع في مثلها وقلة خدد معاندة لقلة وحائط بينهما ساعة من نهار وفيها قصر عظيم يقصر عنه الوصف . وللقلة طريقان على باب كل طريق ماء فالطريق الجنوبي عليه كريفا يسمى الوفيت منقور في الصخر الاسود عمقه في الارض خمسون ذراعاً وعرضه عشرون وطوله خمسون محجوز على جوانبه جدار يمنع السقوط فيه . والماء الثاني من شمال الحصن على باب الحصن الثاني في جوبة من صفا كالبر مطوي بالبلاط ودرج ينزل فيه من رأس الحصن بالسر في الليل والنهار على مسيرة ساعة حتى يؤتى الى الماء ولا يعلم من يكون على باب البر من فوق (١)

دع عنك ما في اليمن من آثار المحمة العالية والمهارة في البناء من قطع الجبال كما قطعوا باب عدن وهو شق في جبل محيط بموضع عدن في ساحل لم يكن له طريق الى البر الا للرجل الواحد اذا ركب ظهر الجبل فقطعوا من الجبل باباً في عرض الجبل حتى سد مسكنه الدواب والحائل وغيرها . ومثله قطع يبنون جبل قطعه بعض ملوك حمير حتى اخرج فيه سبيلا من بلد وراءه الى ارض يبنون . فهو اشبه بما ينقره أهل هذا التمدن من الاتفاق في الجبال لمرور المياه او قطر السكك الحديدية . ومن هذا القبيل حصن غراب وهو بقية قلعة منحوتة في الصخر عليها نقش بالمسند لفتح اليمن الحبشي ذكر فيه خبر فتحه كما تقدم . واكتشف المستشرق هريس في هران قرب دامار صهاريج من الماء لها آبار عميقة كانوا يخزنون الماء فيها للاجنداء الحصار وهي التي يسميها العرب الكرف وقد ذكرنا امثالها في ناعط وغيرها

الاسداد

ومن ادلة العمارة في بلاد اليمن الاسداد وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية لحجز السيول ورفع المياه لري الارضين المرتفعة كما يفعل أهل التمدن الحديث في بناء الخزانات . وانما عمد العرب الى بناء الاسداد لقلة المياه في بلادهم مع رغبتهم في احياء زراعتها . فلم يدعوا وادياً يمكن استثمار جانبيه بالماء الا حجزوا سيله بسد . فتكاثر الاسداد بتكاثر الاودية حتى تجاوزت المئات . وذكر الحمداني في

يحبس العلو من مخاليف اليمن وحده ثمانين سداً والى ذلك اشار شاعرهم بقوله :
وبالبقعة الخضراء من ارض يحصب ثمانون سداً تقذف الماء سائلاً
وكانوا يسمون كل سد باسم خاص به او بالاضافة الى بلده فن كبار هذه الاسداد
قصعان وربوان وهو سد قتاب وشحران وطمحان وسد عباد وسد لحج (وهو سد
عرايس) وسد سحر وسد ذي شحال وسد ذي رعين وسد نقاطة عند قرية ذي ربيع
وسد نضار وهران وسد الشعباني وسد المايكي وسد النواصي وسد المهباد وباقيها لطاف
واشهر اسداد اليمن « العَرم » وهو سد مأرب الشهير وسنعود اليه . وسد
الحائق بصعدة بناء نوال بن عتيك مولى سيف بن ذي يزن في القرن السادس الميلاد
ومظهره في الحنقرين من رحبان . وقد أخربه ابراهيم بن موسى العلوي بعد هدم
صعدة . وسد ريعان لابن ذي ماذن وسد سيان . واسداد بلاد عنس منها سد خيرة
وسد بيت كلاب في ظاهر همدان وآخر في ظاهر دعان ^(١) وسد شبام قرب صنعاء
على ثمانية فراسخ منها ^(٢)

ولم يقتصر بناء العرب للاسداد على ما بنوه في جزيرة العرب ففي مكرات
وبلوتشستان في عدوة خليج فارس الشرقية آثار اسداد كثيرة لا يعرف عنها اهل تلك
الناحية شيئاً فعمل بعض العرب نرحوا الى تلك البقاع قديماً وابتنوا فيها تلك الاسداد

سد مأرب او سر العرم

هو أعظم اسداد بلاد العرب واشهرها وقد كثر ذكره في اخبار العرب واشعارهم
على سبيل العبرة لما اصاب مأرب بانفجاره واليه اشار القرآن في سبأ بقوله :
« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا
له بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خط وائل وميء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي
الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير
سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم
احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور »
ذلك اقدم ما دون من خبر هذا السد في كتب العرب واختلف المسلمون في تفسيره

التاريخي لاقتصاره على العبرة دون التاريخ اذ لم يذكر من بناء او كيف بني ومتى كان تهدمه . فدخل خبره كثير من المبالغات والخرافات . قال بعضهم ان بانيه سبا بن يشجب وقال غيرهم بناء لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين مثقباً وجعل بناءه بالصخر والقار بحبس سيول العيون والامطار حتى يصرفوها من خروق في ذلك السد على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم . قالوا ومكث كذلك ما شاء الله ايام حمير فلما انحل نظام مملكتهم وتقلص ظلهم وذهب الحفظة القاءون بامر السد اندرخوا بخرابه على عهد عمرو بن مزينة ملكهم زعموا ان كاهنة اسمها طريفة اندرتهم بذلك في حديث طويل ^(١) لا فائدة من ذكره جاء في جملة قصة جرد رؤوها تنقب في السد نخافوا انفجاره

واختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهاني انه حدث قبل الاسلام باربعائة سنة ^(٢) اي في القرن الثالث للميلاد . وذكر ياقوت انه وقع في ملك حبشان ولعله يريد الاحباش لانهم لما فتحوا اليمن في القرن السادس اخرجوا كثيراً من قصورها وابنيها ^(٣) أو لعله اراد حسان بنصحييف اللفظ كما اراد ابن خلدون فقد ذكر أن السد تهدم في ايام حسان بن تبال أسعد (في القرن الخامس للميلاد) وقال آخرون غير ذلك مما يطول بنا ابراده

رواية الهمداني من سد مأرب

واوثق روايات العرب عن سد مأرب ما قاله الهمداني في كتاب الاكليل وقد شاهد انقاضه بنفسه في أوائل القرن الرابع للهجرة وكان يقرأ المسند ويفهمه فوصف تلك الانقاض مع تطبيقها على قول القرآن وهذان القولان اصدق ما جاء عن خبر هذا السد واكثر مطابقة لما وجدته النقابون الذين اكتشفوا آثار ذلك الحزان في القرن الماضي - قال الهمداني : ^(٤)

« قال الله تعالى (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وهي (اي سبا) كثيرة العجائب والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان والغامر العافي وانما عفتا لما اندحق السد فارفع عن ايدي السيول ووجدت في احدهما غريق اراك وفي أصله جذع نخلة أسود قد كبست باقيه السواني فقال بعض من كان معي لا أظنه الا من بقايا نخل الجنتين وما أظنه بقي من العصر القديم . أما مقامس الماء من مداخل السد فيما بين الضياع فقاعة

(١) ياقوت ٣٨٣ ج ٤ (٢) حمزة ١٢٦ (٣) الاغانى ٧٢ ج ١٦

(٤) Müller; Burg. II. 83

كَانَ صَانِعُهَا فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهَا بِالْأَمْسِ . وَرَأَيْتُ بِنَاءَ أَحَدِ الصَّدَفِيِّينَ وَهُوَ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ قَائِمًا بِحَالِهِ عَلَى أَوْثَاقٍ مَا يَكُونُ وَلَا يَتَغَيَّرُ إِلَّا أَنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَنَا وَقَعَ الْكَسْرُ فِي الْعَرَمِ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْعَرَمِ شَيْءٌ نَحْوُ يَصَالِي الْجُنَّةِ الْيَسْرَى يَكُونُ عَرْضُ اسْفَلِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا . قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ وَبَدَلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكْلٍ خَطٍ وَائِلٍ وَشَيْءٌ مِنْ سَدَرٍ قَلِيلٍ) قِيلَ الْخَطُّ الْإِرَاكُ وَالْإِئِلُ الطَّرْقَاءُ وَالسَدَرُ الْمَمْرُوفُ وَهُوَ الْعَلَبُ وَبِهَا مِنَ الْإِرَاكِ مَا لَيْسَ يَبْلُدُ . وَمِنْ الْحِمَامِ الْمَطُوقِ فِي الْإِرَاكِ مَا يَجَلُّ عَنِ الصِّفَةِ . وَكَانَ السَّيْلُ يَجْمَعُ مِنْ أَمَا كُنْ كَثِيرَةً وَمَوَاضِعَ جَمَّةٍ بِالْبَيْنِ (مِنْ عُرُوشٍ وَجَوَانِبِ رَدْمَانٍ وَشُرْعَةٍ وَذِمَارٍ وَجَهْرَانٍ وَكُومَانٍ وَاسْبِيلٍ وَكَثِيرٍ مِنْ مَخَالِيفِ خَوْلَانٍ) وَالْوَادِي اسْمُهُ (أَذْنَةُ) وَفِي هَذَا السَّدِّ يَقُولُ الْأَعَشِيُّ :

كَفَى ذَلِكَ لِلْمُؤْتَسِّي أَسْوَةً	وَمَا أَرَبَ قَفَّسَى عَلَيْهَا الْعَرَمَ
رَخَامٌ بِنَاءٌ لَهُ حَمِيرٌ	إِذَا جَاءَ مَأْوَهِمْ لَمْ يَرَمَ
فَارَوَى الْحُرُوثَ وَأَعْنَابَهُمْ	عَلَى سَاعَةِ مَأْوَهِمْ يَنْقَسِمَ
فَعَاشُوا بِذَلِكَ فِي غِبْطَةٍ	فَجَارِبُهُمْ جَارِفٌ مَنُهِزِمٌ
فَطَارَ الْقِيُولُ وَقِيَالُهَا	بَيْنَهُمَا فِيهَا سَرَابٌ يَطْمُ

وَكَانَ الْعَرَمُ مُسْتَنْدًا إِلَى حَائِطٍ مَا بَيْنَ أَعْضَادِ الْمَذْخَرِ بِمَازِيبٍ مِنَ الصَّخْرِ عَظَامٍ مَلْحَمَةٍ مَلَسَ الْإِسَاسُ بِالْقَطْرِ « أَنْتَهَى كَلَامُ الْهَمْدَانِيِّ »

وظَلَّ النَّاسُ مَعَ ذَلِكَ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِ هَذَا السَّدِّ حَتَّى تَمَكَّنَ الْمُسْتَشْرِقُ الْفَرَنْسَاوِيُّ أَرْنُو مِنْ الْوُصُولِ إِلَى مَأْرَبِ سَنَةِ ١٨٤٣ وَشَهِدَ آثَارَهُ وَرَسَمَ لَهُ خَرِيطَةً نَشَرَتْ فِي الْمَجْلَةِ الْأَسْبُوبِيَّةِ الْفَرَنْسَاوِيَّةِ سَنَةِ ١٨٧٤ وَزَارَ مَأْرَبَ بَعْدَهُ هَالِبِي وَغِلَازَرُ وَوَأَفَقَاءُ فِي قَوْلِهِ وَصَادَقَا عَلَى وَصْفِهِ وَهُوَ يَطَابِقُ مَا قَالَهُ الْهَمْدَانِيُّ مِنْ أَكْثَرِ الْوُجُوهِ . وَعَثَرُوا فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ عَلَى نَقُوشٍ كِتَابِيَّةٍ فِي خِرَائِبِ السَّدِّ وَغَيْرِهِ تَحَقَّقُوا بِهَا خَبْرَهُ . وَكَثُرَ اشْتِغَالُهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ غِلَازَرُ وَبَيْنَ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي وَقَفَ عَلَيْهَا اثْنَانِ جَاءَ فِيهِمَا خَبَرُ تَرْمِيمِ السَّدِّ فِي زَمَنِ الْأَحْبَاشِ بِالْفَرْنِ السَّادِسِ لِلْمِيلَادِ . فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ ظَلَّ قَائِمًا إِلَى قَرَبِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ . وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي نَسْبَةِ بِنَائِهِ وَتَهْدِمِهِ إِلَى عَصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَشْخَاصٍ مُخْتَلِفِينَ كَثْرَةُ تَصَدُّعِهِ وَتَرْمِيمُهُ فَكَانُوا يَبْدُونَ كُلَّ تَصَدُّعٍ تَهْدِمُهُ وَكُلَّ تَرْمِيمٍ بِنَاءً

وَبَعْدَ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَقْوَالِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالنَّقَائِيْنَ بِشَأْنِهِ يَحْسَنُ بِنَا الْإِتْيَانِ عَلَى أَصْلِ وَضْعِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ وَنُوضِّحُ ذَلِكَ بِالْخَرِيطَةِ الْخَامِسَةِ

أصل وضع سد مأرب

في الجنوب الغربي من مأرب سلسلة جبال هي شعاب من جبل السراة الشهير تمتد مئات من الاميال نحو الشرق الشمالي . وبين هذه الجبال أودية تصب في واد كبير يعبر عنه العرب بالميزاب الشرقي وهو اعظم اودية الشرق تميزاً له عن ميزاب مور أعظم اودية الغرب المتشعبة من جبل السراة المذكور . وشعاب الميزاب الشرقي كثيرة تنحدر في مصابها ومنحدراتها نحو الشرق الشمالي . وأشهر جبالها ومواضعها في ناحية رداع العرش وردمان وقرن والجبال المشرقة على سويق وفي ناحية ذمار بلد عنس جميعاً وهو مخلاف واسع وبه ينون وهكر وفيها المحافد العنسية وبلد كومان وبلد الحدا وجبل اسبيل ورجة وجيل بني وابش من مراد وغيرها ومخلاف ذي جرة وجهران وهران ومساقط بلد خولان من جنوبيه وما تيامن من القحف (١)

فشعاب هذه المواضع واوديتها اذا أمطرت السماء تجمعت فيها السيول وانحدرت حتى تنتهي اخيراً الى وادي اذنة وهو يعلو نحو ١١٠٠ متر عن سطح البحر فتسبب فيه المياه نحو الشرق الشمالي حتى تنتهي الى مكان قبل مأرب بثلاث ساعات هو مضيق بين جباين يقال لكل منهما بلق عبرنا عن احدها بالابن وعن الآخر بالايسر والمسافة بينهما ستمائة خطوة (او ذراع) وبسميهما الحمداني مأزمي مأرب يجري السيل الاكبر بينهما من الغرب الجنوبي الى الشرقي الشمالي في واد هو وادي اذنة (انظر الخارطة)

والبن مثل سائر بلاد العرب ليس فيها أنهر وانما يستقي أهلها من السيول التي تجتمع من مياه المطر . فاذا أمطرت السماء قاضت السيول وزادت مياهها عن حاجة الناس فيذهب معظمها ضياعاً في الرمال . فاذا انقضى فصل المطر ظمى القوم وجفت أغراسهم فكانوا اما في غريق أو في حريق قلما ينتفعون حتى في ايام السيل من استثمار البقاع العالية على منحدرات الجبال . وقد يفيض السيل حتى يسطو على المدن والقرى فينالهم من أذاه اكثر مما ينالون من قعمه . فساقطهم الحاجة الى استنباط الحيلة في اختزان الماء ورفعها الى سفوح الجبال وتوزيعه على قدر الحاجة . فاختر السبأيون المضيق بين جبلي باق وبنوا في عرضه سوراً عظيماً عرف بسد مأرب او سد العرم الذي نحن في حده لري ما يجاور مدينتهم (مأرب) من السهول او سفوح الجبال والجبلان المذكوران بعد ان يتقاربا عند بلق ينفرجان ويتسع الوادي بينهما . وعلى

ثلاث ساعات منها نحو الشمال الشرقي مدينة (مأرب او سبا) في الجانب الغربي او الايسر من وادي اذنة . فاذا جرى السيل حاذى بابها الشرقي (راجع الخريطة الثالثة) . وبين المضيق والمدينة متسع من الارض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل مربع ^(١) كانت جرداء قاحلة فاصبحت بعد تدبير المياه بالسد غياضاً وبساتين على سفحي الجبلين وهي المعبّر عنها بالجنتين بالشمال واليمين أو بالجنة اليمنى والجنة اليسرى

رسمه وكيف ينصرف الماء منه

والسد المشار اليه عبارة عن حائط ضخّم أقاموه في عرض الوادي على نحو ١٥٠ ذراعاً (او خطوة) نحو الشمال الشرقي من المضيق وسموه « العرم » وهو سدّ أصمّ طوله من الشرق الى الغرب نحو ثمانمائة ذراع وعلوه بضعة عشر ذراعاً وعرضه ١٥٠ ذراعاً . لا يزال نحو ثلثه الغربي أو الايمن باقياً الى الآن كما ترى في الخريطة الخامسة (ج د ف هـ) وأما الثلثان الباقيان فهما اللذان تفجرا وقاض الماء منهما وعجزت الدولة عن ترميمهما وجرفت السيول انقاضهما . وقد نقطنا حديهما بالخارطة ليظهر امتداد السد على طوله كما كان في اصله بعرض الوادي . ويظهر مما شاهدوه في جزئه الباقي انه مبني بالتراب والحجارة ينتهي أعلاه بسطحين مائلين على زاوية مفرجة تكسوها طبقة من الحصى كالرصيف يمنع انجراف التراب عند تدفق المياه . ولو قطعت ذلك الحائط او السور قطعاً عرضياً لكان شكل مقطوعه على هذه الصورة :



فالعرم يقف في طريق السيل كالجبل المستعرض ويصدّه عن الجري فتجتمع مياهه وترتفع مثل ارتفاعها في خزان اصوان باعالي النيل . وينتهي العرم في طرفيه بمصارف للماء يختلف شكلها وأسلوبها عن مصارف خزان

اصوان — وذلك ان الذين هندسوه جعلوا طرفيه عند الجبلين ابنية من حجارة ضخمة متينة فيها منافذ ينصرف منها الماء الى إحدى الجنتين اليمنى او اليسرى فانشأوا عند قاعدة الجبل الايمن (الشرقي الجنوبي) وهو جبل بلق الايمن بنائين بشكل الخروط المقطوع (١ و ٢) علوكل منهما بضعة عشر ذراعاً سموها الصدفين احدهما (١) قائم على الجبل نفسه والاخر (٢) الى يساره وبينهما فرجة عرضها خمس

أقدام . قاعدة الايمن منها تملو قاعدة الایسر ثلاث اقدام (انظر رسمهما في طرف الخريطة الى اليسار) والایسر مبني من حجارة منحوتة يمتد منه نحو الشمال والشرق جدار طوله ٤٠ ذراعاً ينتهي في العرم نفسه ويندغم فيه . وعلو الجدار المذكور مثل علو الصدف ومثل علو العرم

وفي جانب كل من الصدفين المذكورين عند وجهيهما المتقابلين ميزابٌ يقابل ميزاباً في الصدف الآخر . والميزابان مدرجان اي في قاع كل منهما درجات من حجارة كالسلم الدرجة فوق الاخرى . ونظراً لشكل الصدفين المخروطي ولما يقتضيه شكل الميزاب السلمي أصبحت المسافة بينهما عند القاعدة اقصر منها عند القمة . وقد مثلنا الميزاب في الخارطة بشكل (غ ع) كأنك تنظر اليه بجانب الصدف

ويظهر من وضع المخروطين او الصدفين على هذه الصورة ان اصحاب ذلك السد كانوا يستخدمون المسافة بينهما مصرفاً يسيل منه الماء الى سفح جبل بلق الايمن فيسقي اللجنة اليمنى . وانهم كانوا ينفلون المصرف بعوارض ضخمة من الخشب أو الحديد تنزل في الميزابين عرضاً كل عارضة في درجة فتكون العارضة السفلى اقصرها جميعاً فوقها عارضة اطول منها فاطول الى العليا وهي اطولها جميعاً . والظاهر ان تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تتراكب فيه او تتداخل حتى يتألف منها باب متين يسد المصرف سداً محكماً يمنع الماء من الانصراف الا عند الحاجة . فاذا بلغ الماء في علوه الى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا فيجري الماء على ذلك العلو الى سفح الجبل في امنية معدة لذلك وتقرر أو احواض لحزن الماء أو توزيعها في سفح ذلك الجبل . فلا يزال الماء ينصرف حتى يهبط سطحه الى مساواة العارضة الثانية فيقف فتي ارادوا رياً آخر نزعوا عارضة أخرى . وهكذا بالتدريج وعلى قدر الحاجة

وفي الطرف الایسر من العرم وهو الغربي الذي ينتهي بالجنة اليسرى بنسالة كالحائط (س ط م) دعواته السد الایسر عرضه عند قاعدته ١٥ ذراعاً وطوله نحو ٢٠٠ ذراع وبجانبه من اليمين مخروطان او صدقان ايمان (٣ و ٤) احدهما (٣) متصل بالعرم نفسه والآخر (٤) بينه وبين السد الایسر فيتكون من ذلك مصرفان (٦ و ٧) مثل المصرف الايمن لكل منهما ميزابان مدرجان متقابلان تنزل فيهما العوارض وتنزع حسب الحاجة لصرف الماء الى الجنة اليسرى . وينتهي العرم من حده الغربي بحائط منجلي الشكل (د ف) مبني بحجارة منحوتة صلبة لعله الذي يسميه الهمداني « المضاد »

فكان السيل اذا جرى في وادي اذنة حتى تجاوز المضيق بين جبلي بلق صده العرم

عن الجري فيتمالى ويحول جانب منه نحو اليسار الى السد اليسرى . فاذا ارادوا ري اللجنة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين الايمنين على قدر الحاجة واذا ارادوا ري اللجنة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين (٧ و ٨) بنفس الطريقة فيجري الماء في اقنية واحواض في سفح الجبل اليسرى حتى يأتي مأرب لانها واقعة الى اليسار كما تقدم

من بنى هذا السد ومتى

وقد عثر النعابون في انقاض سد مأرب على نقوش كتابية بالحرف المسند استدلوا منها على بانيه اهمها نقشان احدهما على الصدف الايمن (١) الملاصق للجنة اليمنى تفسيره « ان يشمر بين بن سمهلي ينوف مكرب سبا خرق جبل بلق وبنى مصرف رحب لتسهيل الري » (١) والاخر على الصدف الآخر (٢) تفسيره « ان سمهلي ينوف ابن ذمر علي مكرب سبا اخترق بلق وبنى رحب لتسهيل الري » وسمهلي هذا هو والد يشمر المذكور وكل منهما بنى صدفاً او حائطاً وكلاهما من اهل القرن الثامن قبل الميلاد . فهما مؤسساه ولم يتمكنا من اتمامه فأنعم خلفاؤهما وبنى كل منهم جزءاً نقش اسمه عليه . فعلى الخروط او الصدف (٤) في اليسار نقش قرأوا منه « كرب ايل بين بن يشمر مكرب سبا بنى . . . » وعلى جزء آخر من السد اسم « ذمر علي ذرح ملك سبا » وفي محل آخر اسم « يدع ايل وتار » وعلى السد اليسرى مما يلي اللجنة اليسرى عدة نقوش يمثل هذا المعنى (٣) مما يدل على ان هذا السد لم يستأثر ببنايه ملك واحد — تلك هي العادة في تشييد الابنية الكبيرة بكل زمان

اما نهدمه فالعرب يقولون انه حدث فجأة ففرقت قبائل الازد وغيرها في جزيرة العرب بسبب ذلك . ويؤخذ من مجمل اقوالهم ان ذلك وقع حوالي تاريخ الميلاد أي نحو ظهور دولة حمير (ملوك سبا وريدان) وانتقال عاصمة السبائيين الى ظفار . فالظاهر ان السد تصدع حينئذ للمرة الاولى فرمموه وظلوا خائفين منه فتحولت عنايتهم الى تعمير ظفار وقل تمسكهم بالبقاء في مأرب فصاروا ينزحون بطوناً وانحاذاً لاسباب مختلفة ومنها القحط وغيره وأخذت مأرب بالتقهر وكما انفق العرم من ناحية رمموه الى قبيل الاسلام فتهدم وأهملوه

ووفق غلاذر في اثناء زيارته انقاض ذلك السد الى اكتشاف أثرين عليهما كتابة

مطلوبة تتعلق بهدم السد بعد دخول اليمن في حوزة الاحباش احدهما مؤرخ سنة ٥٣٩ م والآخر سنة ٥٦٥ م وهما من أهم ما وقفوا عليه من آثار تلك الدولة لما فيها من الاشارات التاريخية والاجتماعية والملائق السياسية احدهما كتبه ابرهة الحبشي وهذه خلاصته :

« بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس ان ابرهة عزيز الاحباش الاكسوميين ملك اراحميس زيبان ملك سبا وذوريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم في نجد وتهامة قد نقش هذا الاثر تذكاراً لتغلبه على يزيد بن كبشة عامله الذي كان قد ولاه كندة وديء وعينه قائداً ومعه اقبال سبا الصحاريين وهم مرة وثمامة وحنش ومرثد وصنف ذو خليل واليزنيون اقبال معدي كرب بن السميغ وهفان واخوته ابناء الاسلم فانفذ الملك اليه الجراح ذا زنبور فقتله يزيد وهدم قصر كدار وحشد من أطاعه من كندة وحريب وحضرموت وفر هيجان الذماري الى عبران . وبلغ الملك الاستصراخ فنهض بجنده الاحباش الحيريين ألوفاً في شهر ذو القياط من سنة ٦٥٧ (من تاريخ اليمن) فنزل اودية سبا فجاء يزيد وبايع وخضع للملك بين يدي القواد . وهم في ذلك جاءهم النبأ بتهدم السد والحائط والحوض والمصرف في شهر ذو المدرح سنة ٦٥٧ فامر بالعمو وبعث الى القبائل بانفاذ الحجارة للاساس والحجر الخام والاشخاب ورصاص الصب . . . لترميم السد في مأرب . . فتوجه اولاً الى مأرب صلى في كنيستها ثم عمد الى الترميم فقبشوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه . وعلم وهو في ذلك ان القبائل تضايقت من العمل ورأى اعدائهم يعود بالضرر فعفا عنهم احباشهم وحيرتهم واذن بانصرافهم ورجع الملك الى مأرب بعد ان عقد تحالفاً مع الاقبال الآتي ذكرهم : اكسوم ذو معاهر بن الملك ومرجف ذو ذرناح وعادل ذو قاش واذواء شولمان وشعبان ورعين وحمدان والكلاع . . . الخ وجاء اليه وفد النجاشي ووفد ملك الروم ورسول من المنذر وآخر من الحارث بن جبلة وآخرون جاؤا بعبون الرحمن يخطبون مودته في اواخر شهر داوان وبعثوا اليه من غلة اراضيهم لترميم ما انصدع من البناء فرمموه ووسعوه حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعاً وارتفاعه ٣٥ ذراعاً (ثم ذكر ما انفق فيه من الحجارة والاطعمة للعملة والحيوانات للعمل) واستغرق العمل في ذلك ٥٨ يوماً و ١١ شهراً وكان الفراغ منه في شهر ذو معان سنة ٦٥٨ « (١)

وهذه السنة في حساب الحيريين تعدل سنة ٥٤٣ للميلاد لانهم كانوا يبدأون تاريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد ولغلازر كلام في هذا الشأن ^(١) سنأتي عليه في الكلام عن التوقيت عند العرب ونكتفي هنا بالإشارة الى تاريخ الفتح من نقش حصن غراب فقد رأيت انه سنة ٦٤٠ هجرية او حبشية والمعول عليه انه كان سنة ٥٢٥ ميلادية والفرق بينهما ١١٥ سنة

٤ - التجارة في بلاد العرب

ان توسط بلاد اليمن بين امم العالم القديم جعلها واسطة التجارة بينها من أقدم ازمنة التاريخ فكان بينها وبين الهند علائق تجارية لا يعرف أولها . وكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج اليها المصريون والاشوريون والفينيقيون وغيرهم فكان اليمنيون ينقلون هذه المتاجر الى تلك الامم في سفن البحر او قوافل البر . وكان على شواطئ اليمن فرض ترسو عندها السفن القادمة من الهند او وادي الفرات او وادي النيل كما ترسو اليوم سفن انكلترا وغيرها عند عدن في أثناء أسفارها بين اوربا والهند . وكانت لهم فرضة اسمها « موزا » يبتون فيها السفن الكبرى لقطع الاوقيانوس الهندي . ولهذا السبب عمرت جزيرة سوقطرة يومئذ لتوسطها في طريق تلك التجارة كما عمرت مالطة في البحر المتوسط لمثل هذا السبب . ومن الفرض التجارية المشهورة في اليمن في ذلك العهد عدن وقانا (حصن غراب) وظفار ومسقط ويقلب في مسقط ان ترسو عندها السفن الصاعدة في خليج فارس الى بابل

اصناف التجارة ببلاد العرب

أما الاصناف التي كانوا يحملونها من الهند فهي الذهب والقصدير والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والافاويه كال بهار والفلفل ونحوهما والقطن . وكانوا يحملون من شواطئ افريقيا الشرقية العطور والاطياب وخشب الابنوس وريش النعام والذهب والعاج غير ما كانوا يحملونه من حاصلات اليمن نفسها وهي البخور واللبان والمر واللادن . واكثر الاتجار بهذه الاصناف على يد القرين ^(٢) وبعض الحجارة الكريمة

كاليشب والعقيق ويحملون من سوقطره المود والند ويحملون الاولو من البحرين فكان الهنود والافريقيون يحملون هذه الاصناف الى اليمن او يذهب اليمنيون انفسهم لاستجلابها . ثم يحملونها الى مصر والشام والعراق وكانوا يفضلون حملها بالبر على القوافل فراراً من أخطار الانواء في البحر الاحمر او خليج فارس لانهما أشد خطراً عندهم من بحر الهند . وكانت علائقهم التجارية على امتتها مع اخوانهم الفينيقيين يحملون اليهم أصناف الهند وغيرها على القوافل الى صور وغزة وغيرها من شواطئ البحر المتوسط لتجمل من هناك الى سائر الشواطئ . . . والى ذلك أشار حزقيال بقوله مخاطباً صور (ص ٢٧ ع ٢١) « العرب وجميع رؤساء فيدار هم تجار يدك بالحلحان والكباش والتيوس فانهم بهذه أتجروا معك . تجار شبا ورعمة متجرون معك وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب أقاموا أسواقك . حاران وقانا وعدن وتجار شبا وأشور وكلد متجرون معك »

وكان السبأيون يحملون من الجهة الاخرى مصنوعات صور ومحصولات الشام الى بلادهم وغيرها بطريق المبادلة قبل سبك النقود أهمها الحنطة والزيت والتمر ومصنوعات فينيقية أو ما يحمل من آسيا الشرقية كالمنسوجات الكتانية والقطنية والارجوان والميعة والزعفران والآنية من الحديد والصفرة وسبائك الفضة لان هذا المعدن كان قليلاً في اليمن ولا يحملونه من الهند ولا من افريقيا . والفينيقيون انفسهم كانوا ينقلون بعض هذه المتاجر من الجنوب وان كانت اكثر أسفارهم الى الشمال وكان لهم على شواطئ خليج العجم مستودعات طرق التجارة في بلاد العرب

كان للقوافل بين اليمن وفينيقية ومصر طرق خاصة فيها مراحل (محطات) ومرافق ومعدات وأقوام من اهل البادية يخفرونها . فالقافلة كانت تنقل من حضرموت او عمان وتسير شمالاً يخفروها عرب فيدار فيقطمون بها بادية الدهناء وما بعدها حتى تصل الى ددان فتعطف غرباً في نجد حتى تأتني الحجاز ومن هناك يحتمل خفارتها المديانيون والادوميون او الانباط ويمرحون بها الى مكة او ينبع او المدينة ومنها الى بطرا عن طريق مدائن صالح . ومن بطرا تسير اما شمالاً الى فينيقية وفلسطين فتدمر واما غرباً الى مصر . اما العراق فكانت التجارة تنقل اليها بالقوافل رأماً من شرقي الجزيرة او بحرأ من خليج فارس ومنه على القوافل الى تدمر . على ان البابليين كانت لهم مستودعات تجارية ايضاً على شواطئ ذلك الخليج مثل ما للفينيقيين في القرية او

القطيف . وكان القريون يختصون بهذه التجارة الى بابل . وقد ذكر بليزيوس وبطليموس وغيرها تفاصيل مهمة عن طرق التجارة ببلاد العرب وعينوا مساقاتها ومحطاتها بما لا محل له هنا

وكانت قوافل السبأيين تقاسي في أسفارها مشقات وأخطاراً من تعدي البدو في أثناء الطريق كما يصيب قوافل التجار او الحجاج في بوادي جزيرة العرب لهذا العهد فضلاً عن طول مدة السفر فتحولت الافكار نحو السفر البحري وهو أقرب تناولاً وأقصر مسافة . فالبضائع التي تأتي للسبأيين من الهند وأفريقيا كانت تُخزن في موزا او عدن وبدلاً من حماها بالقوافل برّاً الى بطرا او غزة أصبحوا ينقلونها في السفن بالبحر الاحمر الى خليج العقبة ومنها بالبر الى الشام او فلسطين او مصر . او ان ترسو السفن في القصير على البحر الاحمر وتنقل البضائع منها برّاً الى قفط على النيل . وكان المصريون قد سلكوا هذا البحر من عهد رعمسيس الثالث (ها كون) . وقد ذكرنا في كلامنا عن غزو المصريين بلاد العرب ان رعمسيس هذا بنى اسطولا أنزله البحر الاحمر وسافر فيه لارتياح بلاد الفنت (الحبشة والصومال) والارض المقدسة (بلاد العرب) وغرضه الرئيسي تسهيل التجارة البحرية بين مصر وأقصى الشرق وانه أنشأ طريقاً تجارياً برياً بين القصير وقفط وطريقاً بحرياً بين الاوقيانوس الهندي والنيل عن طريق بلاد العرب . ولما تولى سيتي الاول من العائلة التاسعة عشرة احتفر القناة الموصلة بين النيل والبحر الاحمر تسهيلاً للعلاقات التجارية بين مصر وجزيرة العرب اولدفاع او الهجوم عند الحاجة . والملاحه يومئذ محصورة بالفينيقيين في البحرين المتوسط والاحمر فكان ذلك الشعب الذشيط يخترق البحار الى أقصى المعمور فاقتدى المصريون به ولما مضى سيتي لم يخلفه من يعمل عمله فاهملت القناة ولم يكن المصريون أهل اسفار فبطلت الملاحة المصرية . واتفق على اثر ذلك سقوط صور واضطراب أحوال الفينيقيين وتوقف أسفارهم فاصبح البحر الاحمر في حاجة الى من يسلكه فاتحد سليمان صاحب اورشليم وحيرام صاحب صور فأنشأ السفن بالتعاون على الملاحة . ولله اول اشتراك دولي من هذا القبيل وجعل المرفأ في ايلة (العقبة) تسير منها السفن في البحر الاحمر الى شواطئ بلاد اليمن تحمل منها البضائع الهندية والافريقية . ويقال انها كانت تستجلب تلك البضائع من مصادرها الاصلية . وفي سفر الملوك تفاصيل بهذا الشأن جاء فيها ذكر ملكة سبأ وخبرها مشهور . ولما مات سليمان توقفت الملاحة وعادت القوافل ^(١) وما زالت اليمن وسيلة التجارة في العالم القديم يشتمل بها المعينون

والسبائيون والحبائيون والقتايون والقريون حتى سلك الرومان البحور وعادت التجارة اليها فضعف امر العرب

٥ - الحضارة

أهل اليمن حضرة من أقدم أزمانهم ولذلك لم يطلق عليهم اسم « العرب » قديماً لانه كان يراد به « البدو » على الاجمال كما تقدم . فهم أهل مدن وقصور ومخافد وهياكل وأثاث ورياش لبسوا الخز وافتروشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة واغترسوا الحقائق والبساتين . قال اغارسيدس « وللسبائيين في منازلهم ما يفوق التصديق من الآنية والاعوية على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب وعندهم الاسرة والموائد من الفضة والرياش من انحر الانسجة واغلاها . قصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب او المنزلة بالفضة يعلقون على اقاريز منازلهم وابوابها حائض الذهب مرصعة بالجواهر ويبدلون في تزيين قصورهم اموالا طائلة لكثرة ما يدخلونه في زينتها من الذهب والفضة والداج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة » (١) ويؤيد ذلك ما جاء في شعر العرب من وصف القصور الفخمة كقول تبع يذكر بلقيس فقد قال في وصف عرشها :

عرشها رافع ثمانون باعاً كلمته بجوهر وفريد

وبدر قد قيدته وياقوت ت بالنبر ايما تقييد

ومن قوله في مأرب :

ومأرب قد نطقت بالرخام وفي سقفها الذهب الاحمر

وذكر الهمداني في وصف قصر كوكبان انه « كان مؤزر الخارج بالفضة وما فوقها

حجارة بيض وداخله ممرد بالعرعر والفسيفساء والجزع وصنوف الجواهر » وقال علقمة في وصف بينون :

واسأل بينون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر

وقد ذكرنا كثيراً من هذا القبيل في باب قصور اليمن ومخافدها . ولم يقدم

اليمنيون على هذا البذخ الا لتوفر الثروة بين ايديهم واغنائهم السبائيون والقريون (٢)

٦ و ٧ - الدين والالفه

سيأتي الكلام على ذلك في باب أديان العرب ولغاتهم على العموم في الجزء الثاني

من هذا الكتاب - وبقي من القحطانية على قول مؤرخي العرب دول الغساسنة والمناذرة وكندة سيأتي ذكرها في جملة عرب الشمال في الطور الثاني او الطبقة الثالثة

الطبقة الثالثة

العبد نانية او الاسماعيليت

او عرب الشمال في الطور الثاني

أصولهم

نريد بعرب الشمال على الاجمال الاسماعيليت او العدنانية في اصطلاح كتاب العرب ومنزلهم شمالي بلاد اليمن في تهامة والحجاز ونجد وما وراء ذلك شمالا الى مشارف الشام والعراق وهم يرجعون بانسابهم الى اسماعيل بن ابراهيم . وحكاية اسماعيل عندهم مبنية على ما ذكرته التوراة من اخراج اسماعيل وامه هاجر الى بركة بئر سبع وسكنها بركة قاران . وان اولاده آباء القبائل التي اقامت ما بين حويطة الى شور وكانت شور عند برزخ السويس وحويطة خولان في شمالي اليمن وبينهما الحجاز ونجد وتهامة ومديان وجزيرة سيناء

اما العرب فروايتهم في أصل عرب الشمال تكاد تكون منقولة عن التوراة الا من حيث المكان الذي اقام فيه اسماعيل وامه فهم يحملونه مكة بدل بركة قاران ويقولون ان اسماعيل اقام بمكة وتزوج امرأتين من حرهم أمحباب مكة في ذلك العهد فولدت له ١٢ ولداً . وليس لدينا رواية ثالثة عن اصل اوائل العرب . والروايتان متفقتان في ان اسماعيل ربي في البادية وانه كان رامياً بالقوس شأن اهل البادية وانه خلف ١٢ ولداً اماؤهم تطابق اسماء بعض قبائل الشمال . وانما اختلفوا في المكان الذي اقام فيه اسماعيل . فالتوراة تقول انه بركة قاران او جبل قاران وكلاهما عند العقبة شمالي جزيرة سيناء والعرب يقولون انه مكة بالحجاز ويسهل تطبيق الروايتين متى علمنا ان جبال مكة او جبال الحجاز تسمى ايضاً قاران^(١) فيكون المراد ان البركة التي اقام فيها اسماعيل بركة الحجاز او انه اقام حيناً في سيناء ثم خرج الى الحجاز وسكن هناك وتزوج . والتوراة لم تذكر اسماعيل بعد خروجه من بيت ابيه الا عند حضوره دفنه على عادتهم

(١) المشترك وضما لياقوت ٣٢٧

الاختصار في ما يخرج عن تاريخ أمة اليهود أودياتها . وليس لدينا مصادر أخرى تنافي هذه الرواية أو تؤيدها ولا فائدة من الاخذ والرد فيها فنتركها ونعول على الثابت من أخبار عرب الشمال أو المتواتر الذي لا يخالف العقل أو النقل

قد رأيت في كلامنا عن الطبقة الاولى من العرب في صدر هذا الكتاب ان المأقاة وسائر القبائل البائدة كان مقامها في شمال جزيرة العرب الى مشارف الشام وضفاف الفرات وشواطئ النيل . وقد ذكرنا ذهاب تلك الدولة بتوالي الاجيال وانما أردنا ذهاب دولها أو سيادتها وذلك لا ينافي وجود بعض قبائلها أو شعوبها في حال البداوة أو الحضارة ولم تترك آثاراً منقوشة فذهبت أخبارها كما ذهبت أخبار كثير من الأمم قبل زمن التاريخ . ولا بد من تغييرات تواتت عليها أوجبت نهوضها وتقهقرها مع تغيير حدث في مساكنها شأن أهل البادية في الانتقال والرحلة ولم يصل اليها من أخبارها الا القليل . ومن جملة تلك التغييرات نزول اسماعيل أو بعض ابنائه بينها . وكان لهذا النزول تأثير في أحوالها أكثر من تأثير سواء حفظته التقاليد مما لا نجث فيه الآن وانما ننظر في أولئك العرب باعتبار انهم شعوب مشتركة في الانساب ولها عادات واخلاق وأحوال تميزها عن عرب اليمن أو القحطانية . وعرفت قبائل الشمال في تاريخ العهد القديم باسم الاسماعيلية نسبة الى اسماعيل والعرب يسمونها أيضاً عدنانية نسبة الى عدنان أحد اعقاب اسماعيل

الفروق بين القحطانية والاسماعيلية

اهم الفروق بين هذين الشعبين نظام الاجتماع واللغة والدين وأسماء الاعلام كما يأتي :
١ نظام الاجتماع : قد رأيت في كلامنا عن العرب في صدر هذا الكتاب ان لفظ « العرب » أريد به في الاصل سكان بادية جزيرة العرب في الشمال ثم أطلق على سائر سكانها وقلنا ان لفظ العرب باللغات السامية يرادف لفظ البدو عندنا . فالعرب هم البدو وهذا التعبير يصدق على عرب الشمال الذين نحن في صدد فهم في الاكثر أهل خيام وابل ورحلة وغزو لا يستقرون في مكان لان معاشهم من كسب الابل والقياس عليها في ارتياد المرعى واتباع المياه والتناج والتوايد وغير ذلك من مصالحها والفرار بها من أذى البرد عند التوليد الى القفار ودفعها وطاب التلول في المصيف للحبوب وبرد الهواء . لا يبنون بيوتاً ولا ينشئون مدناً بخلاف أهل اليمن فأكثرتهم اصحاب قصور ومحافد ومدن وأسوار ومقارس وحدائق

٢ اللغة : ان لغة اليمن أو عرب الجنوب تعرف بلغة حمير وهي تختلف كثيراً عن

لغة عرب الحجاز أو الشمال وان كاتا من أصل واحد . ولكن الفرق بينهما يدل على تباعد اصحابهما في العادات والاخلاق فهما يختلفان في الاعراب وفي الضمائر وفي كثير من أحوال الاشتقاق والتصريف مما سنأتي عليه عند كلامنا على لغات العرب

٣ الاديان : يشترك هذان الشعبان في كثير من ضروب العبادة وفي عبادة بعض الاصنام ولكنهما يختلفان في الاجال . فالهة البن اقرب الى معبودات البابليين وعندهم عشتار وايل وبعل وغيرها . وأما الشماليون فيشترون في عبادات تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها مما سنبينه في فصل الدين

٤ الاسماء : لكل من الطائفتين اسماء خاصة لا تشاركها فيها الطائفة الاخرى . ولا يخفى ما للاسماء من الدلالات الاجتماعية فاسماء البنيين في الدولتين المعينية والسبائية تشبه اسماء الدولة الحورانية أو البابلية كما يذاه في محله كقولهم اب يدع واليفع ويشع ايل ومعدى كرب وابو كرب وعلمان والبشرح وكرب ايل وذمر علي ووهب ايل ويامر انعم وشمر يرعش ونحو ذلك مما لا شبيه له عند عرب الشمال في الطور الثاني . ويختص هؤلاء باسماء لا تجدها عند البنيين لانها من مقتضيات البداوة ولذلك رأيت بينهما كثيراً من اسماء الحيوانات لكثرة وقوع أبصارهم عليها فالفوها وأصبح لكل منها رمز عن خلق أو خصلة فسموا أبناءهم بها وليس ذلك من بقايا الطوغمية كما توهم بعضهم^(١) فمن اسمائهم من هذا القبيل أسد ونمر وتعلبة وكلب وبكر وتعبان ونحوها وبعض اسمائهم تنسب الى آلهتهم كعبد اللات وعبد العزى وعبد مناة وبعضها مقتبس من الامم المجاورة لهم كاليونان والسرمان وقد حرفوها فامرء القيس مثلاً نظمه تحريف ماركوس (مرقس) وربما تعمدوا تحريفه ليكون له صبغة عربية كما حرفوا « سامراً » فجعلوها « سرّ من رأى » وكما جعلوا دوسارس المعبود اليوناني « ذوالشرى » ويؤيد ذلك ان هذا الاسم (امرء القيس) لم يكن معروفاً عند العرب قبل النصرانية أو قبل مجاورتهم اليونان

وقد يتسمون باسماء اليونان بعد ترجمتها « فالخارث » يجوز ان يكون ترجمة جيورجىوس اليونانية ومعناها العامل في الارض . و « صخر » ترجمة بطرس ونحو ذلك . وبعض اسماء أولئك البدو مأخوذ من الاوصاف أو المناقب مثل سعيد وطامر وحسان وعلي ومحمد ونحوها . ولا عبرة بما ادخله العرب منها بين اسماء ملوك حمير مثل الحارث وعمرو فانه قليل ولم نجد له ذكراً في الآثار المنقوشة

(١) راجع كتاب أنساب العرب القدماء لمؤلف هذا الكتاب

اقدم اخبار العدنانيين او عرب الشمال

يؤخذ من القران التي تقدمت ان عرب الشمال في الطور الثاني تتصل أخبارهم باقدم تاريخ تلك الجزيرة ولا سيما اذا اعتبرنا حكاية اسماعيل التاريخية وعدناها بده تاريخ جديد لاولئك العرب . لان الاسماعيلية يبدأ تاريخهم في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ومع ذلك فليس لدينا من أخبارهم القديمة ما يعول عليه كان أولئك العرب كانوا في سبات ولم يستيقظوا الا حوالي التاريخ المسيحي . والغالب انهم كانوا خاملي الذكر لانهم لم ينشئوا دولاً وكانت دول العرب الاخرى في اليمن ومشارف الشام والعراق وغيرها تستخدمهم في نقل التجارة على القوافل بين ممالك ذلك التمدن ويعبرون عنهم تارة بالاسماعيلية وطوراً بقيدار أو غيرها

واقدم ما ذكره العرب عن أخبار الاسماعيلية مأخوذاً كثره عن اليهود وعليه صبغة عربية خلاصته ان اسماعيل لما نزل مكة كان فيها بقية من جرهم وآخرهم مضاض بن بشير فتزوج اسماعيل من بناتهم وتعلم العربية منهم وتناسل فيهم وأولاده هم العرب الاسماعيلية ويسمونهم المستعربة لانهم دخلوا في العرب وهم ليسوا منهم كما فعل الفحطانية في اليمن قبلهم . وأشهر اولاد اسماعيل قيدار توجه اخواله وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز واسمه وارد في التوراة . وتناسل من قيدار اعقاب كثيرة حتى ولد عدنان . والعرب مختلفون في عدد الآباء بين اسماعيل وعدنان فقال بعضهم انهم اربعون أباً وقال آخرون انهم عشرون أو خمسة عشر أو اقل من ذلك . ومن عدنان تناسل العرب الاسماعيلية فمنهم ان عدنان ولد عكاً ومعداً ومعد هو أبو القبائل العدنانية أو الاسماعيلية كما سترى

واقدم ما علمناه من أخبار هذه القبائل وصل اليها عن طريق التوراة . فقد جاء في سفر التكوين باثناء قصة يوسف بعد ان طرحه اخوته في البئر قوله « ثم جلسوا يأكلون ورفعوا عيونهم ونظروا فاذا بقافلة من الاسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم محملة نكمة وبلساناً ولاذناً وهم سائرون لينزلوا الى مصر » ^(١) وكان ذلك في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وكان الاسماعيليون يحملون التجارة الى مصر وهم الذين اشتروا يوسف وباعوه بمصر

ثم جاء ذكرهم في سفر القضاة بعد ذلك الحين بخمسة قرون وهم يحاربون الاسرائيليين ويسمون هناك تارة « بني المشرق » وطوراً « الاسماعيليين » ^(٢) وبعد

(١) سفر التكوين ص ٣٧ عدد ٢٥ (٢) القضاة ص ٦ عدد ٣٣ و ٧ و ١٢ و ٨ و ٢٤ و ٢٦

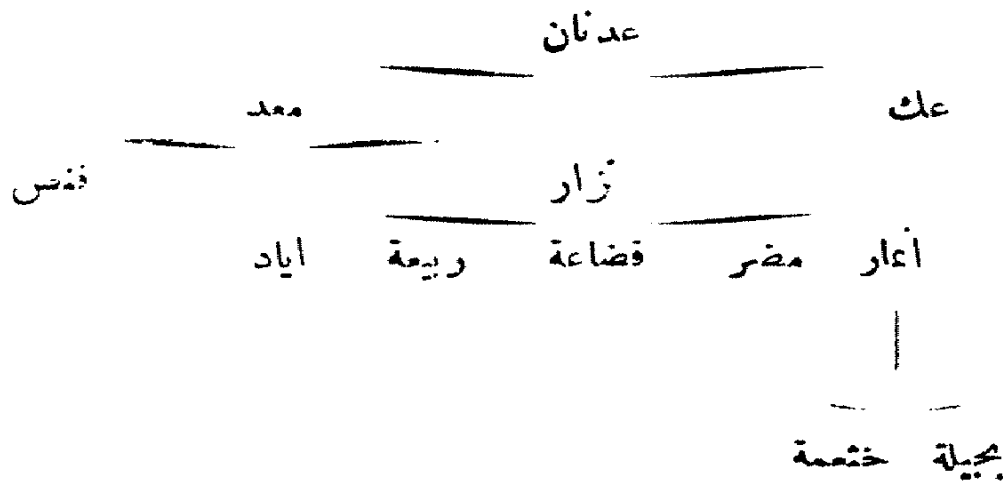
ذلك بخمسة قرون آخر ذكر أولئك العرب في سفر أشعيا باسم « قيدار » وهو في التوراة ابن اسماعيل فيراد باسمه قبيلة الاسماعيلية على الاقل وهو يتنبأ بقرب زوال مجدهم ^(١) واصبح الاسماعيلية في عرف التوراة من ذلك الحين قبيلتين قيدار ونبيت وطن بعضهم ان المراد بالنبيت او النبيط الانباط أصحاب بطرا وعارضهم آخرون وبعد أشعيا بقرن وبعض القرن (في القرن السادس قبل الميلاد) جاء نبوخذ نصر الذي يسميه العرب بختنصر واكتسح شمالي جزيرة العرب وغلب على الاسماعيلية أو بني قيدار أو بني المشرق في البادية . وقد جاء ذلك الخبر في أسلوب التحذير أو النبوءة قال « على قيدار وممالك حاصور التي ضربها نبوخذ نصر ملك بابل هكذا قال الرب قوموا اصعدوا الى فيدار ودمروا أبناء المشرق انهم يأخذون اخيبتهم وغنمهم ويستولون على شققهم وجميع أدوانهم وابلمهم وينادون عليهم بالهول من كل جهة » ^(٢) ذلك آخر ما ذكرته التوراة عن الاسماعيلية

ويظهر في كل حال ان تلك القبائل كانوا أهل ماشية وخيام وابل وكانوا يحملون التجارة ولهم شأن وثروة وذهب وارحوان . وقد ذكرنا ما قاله حزقيال عن العرب وقيدار في عرض رئائه مدينة صور . وجاء في سفر القضاة « قال لهم جدتوني اني افترح عليكم أمراً واحداً يعطيني كل واحد منكم حرصاً من غنيته فقد كانت لهم خرصان من ذهب لانهم اسماعيليون فقالوا لك ذلك وبسطوا رداء فأتى عليه كل امرئ منهم خرصان غنيته وكان وزن الخرصان الذهب التي طلبها ألفاً وسبع مئة مثقال ذهب ما خلا الالهة والنظفات والثياب الارجوانية التي كانت على ملوك مدين وما خلا القلائد التي كانت في اعناق جماهم » ^(٣)

أما العرب فأقدم ما ذكره من احوال الاسماعيلية انما يأتي متعمداً لاخبار التوراة ولعلمهم اخذوه عن اليهود او بنوه على روايتهم فبني غزوة بختنصر العرب وقد اوردناها في كلامنا عن غزوة الاشوريين بلاد العرب . ثم سكك المؤرخون عنهم دهوراً كان بختنصر اضعفهم ففارقوا وذهبت شهرتهم أو خفيت اخبارهم . ثم تكاثروا وعادوا الى الظهور في اوائل النصرانية او قبيلها وهم قبائل وأمم ذات شأن ملأوا تهامة وتفرقوا فيها الى الحجاز ونجد وبادية الشام وغيرها في ازمان متفاوتة القبيلة بعد القبيلة وترجع كلها الى خمسة اصول لكل اصل منها فروع عديدة . اما الاصول المشار اليها فيتصل نسبها بعدنان على هذه الصورة :

(١) اشعيا س ٢١ عدد ١٦ و ١٧ (٢) يهوديت ٣ و ٢ و نبوءة ارميا ٤٩ و ٤٨ و ٢٨

(٣) القضاة ٨ و ٢٤ و ٢٦



أما الفروع فسيأتي كل مجموع منها في محله

عرب عدنان

منازلهم في تهامة ونجد والحجاز

كانت العرب العدنانية بادية اقامت في تهامة والحجاز ونجد الا قريشاً فقد تحضروا في مكة . وتقسم العدنانية اولا الى فرعين عظيمين عك ومعد . اما عك فنزلت في نواحي زبيد جنوبي تهامة وقد ذكرها اليونان في كتبهم فسموها *Ednana* وبقي من عك بقية الى ايام الاسلام وليس لهم تاريخ يذكر

أما « معد » فهو البطن العظيم ومنه تناسل عقب عدنان كلهم وادنا قال العرب « معد » يريدون القبيلة لا الرجل . فاذا صحت غزوة بختنصر كما ذكرها العرب كانت معد قبيلة كبرى في القرن السادس قبل الميلاد . وانقسمت الى فرعين كبيرين زار وقنص والكثرة والنسل في زار وهم عدة فروع اشهرها خمسة قضاة ومضر وربيعة واباد وانمار وكانت منازلهم في تهامة والحجاز ونجد على هذه الصورة ^(١)

كانت مساكن قضاة ومراعي انعامهم جدّة من شاطئ البحر الاحمر فادونها شرقاً الى منتهى ذات عرق وهي الحد بين نجد وتهامة الى حيز الحرم من السهل والجيل . وقبائل مضر اقامت في حيز الحرم الى السروات وما دونها من الغور وما

(١) البكري ١٣

العرب قبل الاسلام

والاها من البلاد . واقامت ربيعة في مهبط الجبل من غمر ذي كندة (بينه وبين مكة مسيرة يومين) وبطن ذات عرق وما صاقبها من بلاد نجد الى الغور من تهامة . واقامت اباد وانمار معاً ما بين حد ارض مضر الى حد نجران وما والاها وصاقبها . وصار لقنص وغيره من وله معد ارض مكة وأوديتها وشعابها وجبالها وما صاقبها من البلاد

وما زالت هذه القبائل في منازلها هذه بوفاق كانهم قبيلة واحدة في اجتماع كلمتهم وائتلاف اهوائهم تضمهم المجامع وتجمعهم المواسم حتى وقعت الفتنة بينهم فتفرقت جماعاتهم وتباينت مساكنهم والى ذلك يشير المهمل بقوله :

غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو معدٍ حلولا
فتساقوا كأساً امرت عليهم بينهم يقتل العزيز الذليلا
واليك ما يذكره العرب من اخبار هذه القبائل واسباب تفرقها كل على حدة

١ - قضااعة

هي اول من نزع من قبائل معد . وبعض النسابين يعدون قضااعة من القحطانية والارجح عندنا انها من عدنان . وكان السبب في نزوحها حرباً وقعت بينها وبين ربيعة بسبب فتاة ربيعية تعشقها رجل قضااعي من بني نهد وانتصرت مضر واباد وانمار لربيعة وانتصرت عك لقضااعة فدارت الدائرة على قضااعة فاجلوا عن اماكنهم وعموا نجداً وفي ذلك يقول عامر بن ظرب وهو من مضر :

قضااعة اجايينا من الغور كله الى فليجات الشام تزجي المواشيا
وما عن تقال كان اخراجنا لهم ولكن عقوفاً منهم كان باديا
عما قدم الهندي لا در دره غداة تمنى بالحرار الامانيا

وتقسم قضااعة الى بطون تفرقت في جزيرة العرب في نجد والبحرين ومشارف الشام فانشأ بعضها دولا في العراق والشام وغيرهما وظل الباقون بادية رحلاً . اما بطون قضااعة فهي مع اسماء منازلها :

(١) تيم اللات : نزلت الى البحرين وكان فيها قوم من النبط فاجلهم واقاموا

مكانهم

(٢) زيد بن حلوان : نزلوا عبقر من ارض الجزيرة بالعراق واليهم تنسب الزرابي العبقرية والبرود التزبدية

(٣) سليح : نزلوا مشارف الشام وفلسطين وكانت لهم دولة سيأتي خبرها

(٤) اسلم : هم اربعة اخاذ عذرة ونهد وحوثكة وجهينة نزلوا جميعاً الحجر بوادي القرى ثم نزحوا الى نجد

(٥) تنوخ : نزلوا البحرين ثم رحلوا الى الحيرة وانشأوا بها دولة سنذكرها

(٦) ربان بن حلوان : هي ثلاثة اخاذ كلب وجرم والعلاف لحقوا بالشام

(٧) بلي وبهرا : نزحوا الى بلاد اليمن حتى نزلوا مأرب واقاموا بها زماناً ثم تفرقوا فجاء بلي الى ما بين تيماء والمدينة - وهذا جدول يوضح تفرع قبائل قضاة باختصار :

اسلم — جهينة	سليح — معد — نجم — عوف — عمر	هبلولة — زياد
عمران — حلوان	ربان	هباله — داود اللثق
بهره	تغلب — وبرة	النمر
عمرو	تغلب — وبرة	تيمم اللات — تنوخ
بلي	كلب — كنانة	

ولم يكن نزوح هذه البطون وغيرها من قضاة دفعة واحدة ولا نظن السبب الذي ذكره لنزوحها صحيحاً او لعله بعض السبب . واما السبب الحقيقي فهو البداوة لان اهل البادية اذا تكاثروا مع الزمن تضيق بهم مواطنهم لتقاعدهم عن الزرع وقلة عنايتهم في اصلاح الارض واستثمارها . ينزلون المكان وفيه من الماء او الكلاب ما يكفيهم فاذا تكاثروا وتناصر عن كفايتهم ذهب بعضهم يطلبون سواء - غير ما قد يدعوا الى النزوح من اسباب العدوان وطلب الغزو

وكان بنو قضاة اقدم النازحين من بني عدنان ويظهر انهم نزحوا حوالي تاريخ الميلاد او قبله قليلاً فمن نزل البلاد العامرة انشأ دولاً وفتح مدناً ومن نزل البادية ضاعت اخباره . على ان لكل فرع من فروعهم شأنه خاصاً واخباراً وصل اليها بعضها مختلطاً متضارباً فلا نذكر منهم الا الذين انشأوا الدول او كان لهم تأثير سياسي في تاريخ ذلك العصر

دول قضاة

قد رأيت ان بطون قضاة كثيرة ولم يصل اليها من اخبارهم الا القليل . ويقال بالاجمال انهم نبعوا وانساحوا في الارض حوالي تاريخ الميلاد . ولعلمهم هبوا للفتح على اثر دخول الجنود الرومانية بلادهم بحملة اليوس غالوس قبيل الميلاد كما تقدم . فان مثل هذه النهضة طبيعي بعد الحركات الحربية كما حدثت نهضة قريش قبيل الاسلام بعد هجوم الاحباش على مكة في عام الفيل . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب العرب ان قضاة كانوا في تهامة ثم نزحوا الى البحرين ^(١) فلمل زوحهم كان فراراً من جند الروم . ووافق ذلك تضعع ملوك الطوائف في العراق وفارس وهم يسمعون بخيرات تلك البلاد وخصها بالنظر لباديتهم فحملوا على العالم المتمدن يلتمسون الرزق . وربما كان لزوحهم سبب آخر . وفي كل حال فقد مر بمشارف الشام والعراق بضعة قرون كان يتنازع السيادة عليها القضاة كما كان يتنازعها قبلهم النبطيون والتدمريون وكما تنازعها بعدهم الفساسنة والمناذرة

واشهر بطون قضاة التي كان لها تأثير في التاريخ اربعة وهي :

١ و ٢ — جهينة و بلي

هما القسم الغربي من بطون قضاة وكانت منازل جهينة من حدود رضوى والاشعر الى واد ما بين نجد والبحر . ومنازل بلي في حدود جهينة شمالاً الى حد تبوك ثم الى جبال الشراة ثم الى ممان ثم راجعاً الى ايلة الى المغار ثم الداروم ثم الحفار غرباً الى الفرما في حدود مصر ^(٢) وبعبارة اخرى كانت منازلهم ما بين ينبع ويثرب وحدود مصر في متسع من برية الحجاز وعلى شواطئ البحر الاحمر كانهم كانوا يشغلون الجزء الشمالي من الحجاز العربي و برية سيناء الى حدود مصر . ولم تكن لهم دولة وملوك ولكنهم غلبوا على بادية مصر وصعيدها احياناً . فقد ذكر ابن خلدون انهم « اجتاز منهم امم الى العدو الغربية من البحر الاحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هناك سائر الامم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلهم وازالوا ملكهم وحاربوا الحبشة قارهم قوهم الى هذا العهد » ^(٣)

ويوافق ذلك ما ذكره اليونان عن اخبار مصر لاوائل النصرانية فقد ذكر استرابون وبلينيوس « ان العرب تسكثروا في ايامهما على العدو الغربية من البحر

(١) حمزة ٩٤ (٢) الهمداني ١٣٠ (٣) ابن خلدون ٢٤٧ ج ٢

الاحمر حتى شغلوا ما بينه وبين النيل في اعلى الصعيد واصبح نصف سكان قفط منهم . وكانت لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل « وكان العرب في ايام أوغسطس قيصر باوائل النصرانية قد دوخوا الحبشة وتملكوها واولعوا في بلاد النوبة ولهم فيها وفي مصر طرق مختصرة يعرفونها . وبالغ اليونان في وصف خشونتهم وحبهم الغزو وقالوا « ان زعماءهم يدهنون وجوههم بالزنجفر كما يدهنون وجوه آلهتهم وانهم يقاتلون للغزو لا لفتح حتى ضايقوا مصر واضطر اليونان ان يقيموا الحامية عند شلال اصوان . واتفق في اثناء ذلك تجريد الروم لفتح بلاد العرب بقيادة اليوس غالوس المتقدم ذكره . ومعه معظم جند مصر فانهمز اولئك العرب تلك الفرصة وزحفوا على الصعيد وضايقوا اهله « ويسمى المؤرخ « عرب الاحباش » وكانت عليهم ملكة يقال لها قنடைفة وتغيرت لغة الاثيوبيين وعبادتهم بنزول اولئك العرب فيها فبعد ان كانت مصرية أصبحت عربية (١)

فيستدل من ذلك ان العنصر العربي كان في اوائل النصرانية غالباً على صحراء مصر الشرقية والحبشة والنوبة فان لم يكن المراد بهم قبيلتي جهينة وبلي اللتين ذكرهما ابن خلدون فقد مهدتا فتح تلك البلاد لهم لان الرومانيين ما زالوا منذ دخلت مصر في حوزتهم وهم يجردون الجند لرد هجمات العرب والعرب يهزمونهم

٣ - تنوخ

جذيمة الابرش

تنوخ فرع كبير من قضاة جاء ذكره في كتب اليونان وهم يلفظونه « ثانويت » Thannoute (٢) وذكر النسابون ان تنوخاً مزيج من قضاة والازد قالوا « ان زعيماً من الازد اسمه مالك بن فهم أتى البحرين والتقى هناك بزعيم من قضاة اسمه مثل اسمه فتحالفا على التعاون في القتال فسموا « تنوخاً » وكان ذلك في ايام ملوك الطوائف او في اوائل النصرانية (٣)

وكان لتنوخ دول في مشارف الشام والعراق اقدمها في العراق لجذيمة الابرش او الايرص او الواضح بن مالك بن فهم المذكور . والعرب مختلفون في نسبه ويرى المسعودي وحمزة انه من تنوخ قضاة (٤) وهو الراجح عندنا جرياً على ما يقتضيه سياق التاريخ .

(١) Sharpe, II. 90 & 37 (٢) Sprenger, 208 (٣) حمزة ٩٥

(٤) المسعودي ٢٠٠ ج ١ وحمزة ٩٤

ولهذه الدولة شأن في تاريخ العرب لانها مهدت السبل لدولة المناذرة اصحاب الحيرة وكانت دار ملكها في المضيرة بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا . واول ملوكها مالك بن فهم وخلفه ابنه جذيمة المتقدم ذكره وذكروا انه كان معاصراً للزباء وله معها واقعة ذكرناها في كلامنا عن تدمير — فهو اذن من اهل القرن الثالث للميلاد وكان جذيمة ملكاً عظيماً ناقب الرأي شديد النكاية ظاهر الحرم ذكروا انه اول من غزا بالجيوش فشن الغارات على قبائل العرب واستولى من السواد على ما بين الحيرة والانبار والرقعة وعين النمر والقطقطانية وسائر القرى المجاورة لبادية العراق فكان يحبي أموالها وله هبة وسطوة فدحه الشعراء واستجدوه . ولم يكن له غلام ذكر يرث ملكه فبعد ان ملك ستين سنة خلفه على ملكه ابن اخته عمرو بن عدي وهو اول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب واول ملك ذكره اهل الحيرة في كتبهم وهو جد دولة آل نصر او لحم ومنهم المناذرة ^(١) وسيأتي ذكرهم

أما تنوخ الشام فجاءها عند انحلال دولة النبطيين في بطرا وكانت دولة الروم قد ملكت الشام فقرّبوهم واستعملوهم على بادية العرب ومشارف الشام كما استعملوا اخوانهم بني سليح ثم الغساسنة بعدهم . واخبار دولة تنوخ هذه مضطربة متناقضة لم يذكر العرب من ملوكها الا ثلاثة هم النعمان بن عمرو وعمرو بن النعمان والحواري بن عمرو ^(٢) ولم يذكروا شيئاً من اعمالهم ولا زمن ملكهم على انه لم يطل فغلبهم على تلك البلاد بطن آخر من قضاة اسمه سليح — وتفرقت تنوخ واقام بعضها في قدسرين ^(٣)

٤ - سليح

جاءت سليح مشارف الشام مع التنوخيين اخوانهم لكنهم لم يملكوا الا بعدهم . وكانت الدولة في بطن من بطونهم يقال لهم « الضجاعة » خلفوا التنوخيين على حكومة مشارف الشام وكان نزولهم في بلاد مواب من ارض البلقاء وفي سلمية وحوارين والزيتون ^(٤) ولم يذكر العرب من ملوكهم الا ثلاثة هم النعمان بن عمرو بن مالك ومالك بن النعمان وعمرو بن مالك ^(٥) كانوا يملكون العرب في مشارف الشام يأخذون منهم الاتاة ديناراً عن كل رجل ويجمعونها للروم عند الحاجة الى حرب او عمل يستطيعونه . وما زالوا على ذلك حتى غلبهم الغساسنة على الشام وحلوا محلهم كما سيجي .

(١) حمزة ٩٦ (٢) ابن خلدون ٢٤٩ ج ٢ واليعقوبي ٢٣٤ ج ١ والمسعودي

٢٠٦ ج ١ (٣) ياقوت ١٨٥ ج ٤ (٤) الهمداني ١٧٠ (٥) المعارف ٢١٥

والظاهر ان ملوكهم كانوا اكثر من ذلك فقد ذكر اصحاب الاخبار ان بني غسان لما اتوا مشارف الشام كانت في حوزة الضجاعة وعليهم ملك منهم اسمه زياد اللثقي بن هبولة فطالب الغسانيين بالاناوة فاستنكفت وأبت اداها فاقتتل الفريقان ودارت الدائرة على غسان وأقرت بالصغار وأدت الاناوة حتى صارت حكومة الضجاعة الى سبيطة بن المنذر بن داود وقيل سبيط بن ثعلبة بن عمرو . وفي ايامه تغلب الغسانيون وأخرجوا الضجاعة من الشام في حديث ذهب مثلاً . وذلك ان سبيطاً لما طالب الغسانيين بالاناوة كان اميرهم ثعلبة بن عمرو وشدد في طلبها وكان ثعلبة حليماً فقال « هل لك في من يزيع علمتك في الاناوة » قال « نعم » قال « عليك باخي جذع بن عمرو » وكان جذع فاتكاً فانه سبيط نخاطبه بذلك فخرج عليه ومعه سيف مذهب وقال « هل فيه عوض من حقك » اي من ان أجمع لك الاناوة قال « نعم » فقال « خذه » فد سبيط يده وتناول غمد السيف فاستل جذع نصله وضربه حتى قتل فقيل « خذ من جذع ما اعطاك » وذهبت مثلاً^(١) وصارت مشارف الشام الى غسان من ذلك الحين — هذا ما رواه العرب وفي تاريخ الروم ان اميراً من العرب في القرن الرابع للميلاد اسمه زكوموس Zkomos صار من عمالهم المعروفين برتبة فيلارك Phylarch^(٢) فرمما كانت زكوموس تحريف ضجعم هذه

مدينة الحضر

فلما غلب الضجاعة على امرهم بالشام نزع بعضهم الى العراق ونزلوا الجزيرة وفيها مدينة يقال لها الحضر قرب تكريت بينها وبين الموصل والفرات ويسميتها اليونان (اترا) Atra وكانت حصينة عليها الابراج والقلاع يتولاها حاكم جرمقاني من اهلها اسمه الساطرون وعلى الضجاعة ملك اسمه الضيزن فتح الحضر وتولاها حيناً وكانت الدولة الساسانية في اوائها فلما أفضى الملك الى سابور بن اردشير وهو سابور الاول ورأى من الضيزن طمعاً وغزواً سار اليه وحاربه وفتح المدينة بعد ان حاصرها اربع سنين . وتبعهم سابور حتى اخرجهم من بلاده^(٣) وذهب ملك الضجاعة من ذلك الحين

سائر قضاة

كلب : وكان لقضاة ايضاً دولة صفرى في دومة الجندل وتبوك في اعالي الحجاز

(١) ابن خلدون ٢٧٩ ج ٢ وحز ١١٥ (٢) Noeldeke (٣) ابن خلدون

حكامها من كلب من قضاة خلفهم عليها السكونيون من كندة
وكان لقضاة بطون اخرى اقامت في اماكن مختلفة من جزيرة العرب في البحرين
ووادي القرى واليمن كما تقدم ولكنهم لم يكن لهم دولة تذكر
فانتقال القضاة الى شمالي جزيرة العرب نهضة عربية في طلب الفتح او التوسع
في الرزق من جملة نهضات كثيرة مما علمناه او لم نعلمه أهمها وأكثرها تأثيراً نهضتهم في
زمن المسلمين فانهم قلبوا فيها العالم وغيروا وجه التاريخ

٢ - اعمار

فلترجع الى تفرق قبائل عدنان من تهامة فبعد قضاة ضاقت تهامة عن اعمار
فزحت والعرب يجعلون سبب النزح خصاماً بينها وبين مضر وان اعمار فقاً عين اخيه
مضر وهرب ولعلمهم يرمزون بذلك عن شيء . وانهما بطنان بحيلة وختم فظعنا الى
جبال السروات فنزلوها وملكوها وتخاصموا عليها في خبر طويل وتفرقت بطون
بحيلة من الحروب التي كانت بينهم

٣ - ايام

ثم نزحت ايام من تهامة ذكروا أن السبب في زوحها حرب وقعت بينها وبين ربيعة
ومضر في خانق وغلبت ايام على امرها فخرجت من تهامة الى العراق وفي ذلك يقول
احد بني حفصة من مضر :

اياداً يوم خانق قد وطئنا بخيل مضمرات قد برئنا
تصادا بالفوارس كل يوم غضاب الحرب تحمي المحجريننا
قابنا بالنهاب وبالسمايا وأضحوا بالديار بجندلينا

ونزلت ايام في سواد العراق قرب مكان الكوفة . اقاموا هناك دهرأ وانتشروا
في تلك الانحاء وكانوا يغزون اهل العراق على عادة عرب البادية والمعجم يحملون منهم
حتى تولى كسرى انو شروان فاغارت ايام على نساء من الفرس فاخذوهن فزاهم
كسرى فقتل منهم ونفاهم عن ارض العراق فنزل بعضهم تكريت وبعضهم الجزيرة
وارض الموصل فاستنصر عليهم قوماً من بكر وائل ففتكت بهم وتفرقوا في ارض
الروم وبلاد الشام . وقيل في سبب نكبتهم غير ذلك .^(١)

۴- ریخته

لم يبق من بني معدة في تهامة من القبائل الكبرى الا
 ربيعة ومضر وهما أكبرها. فنزحت اولاً ربيعة بسبب فتن
 قامت بين قبائلها وهذه أهم تلك القبائل بحسب تفرعها :
 (انظر الجدول) . واشهر القبائل التي نزحت منها عبد
 القيس نزات البحرين وهجر وفيها اياد فاجلت اياداً
 وغلبت عبد القيس على البحرين واقتسموها بين قبائلهم
 وهي كثيرة

وزلت قبائل أخرى من ربيعة في نجد والحجاز
وطراف تهامة وما والاها وزلت قبائل منها في بلاد اليمن
نخالت أهلهم ومنهم اكلب . وقامت سائر قبائل ربيعة في
ظواهر نجد والحجاز وهم بكر وتغلب وعنزة وضبيعة حتى
وقعت الحرب بينهم في قتل جساس كما سييجي .

وما زالت الوقائع والحروب تنقلهم من أرض الى أرض وتغلب في كل ذلك ظاهرة على بكر حتى التقوا يوم قضة وهي عقبة في عارض اليمامة فكانت الدائرة لبكر على تغلب فتفرقوا وتبددت تغلب في البلاد وانتشرت بكر بن وائل وعزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين الى أطراف سواد العراق ومناظرها وناحية الابله الى هيت. وانحازت النمر وغفيلة الى اطراف الجزيرة وعانات وما دونها الى بلاد بكر بن وائل وما خلفها من بلاد قضاء من مشارف الارض^(١) — (راجع الخريطة الثامنة من خرائط هذا الجزء)

اللواء في ربيعة

ولريمة شأن عظيم في تاريخ العرب لأنها هي التي بدأت باخراج العدنانية من سيطرة اليمن أو غيرها وطلبت الاستقلال كما يجب . وكان من نظامهم في اجتماعهم للحرب أو

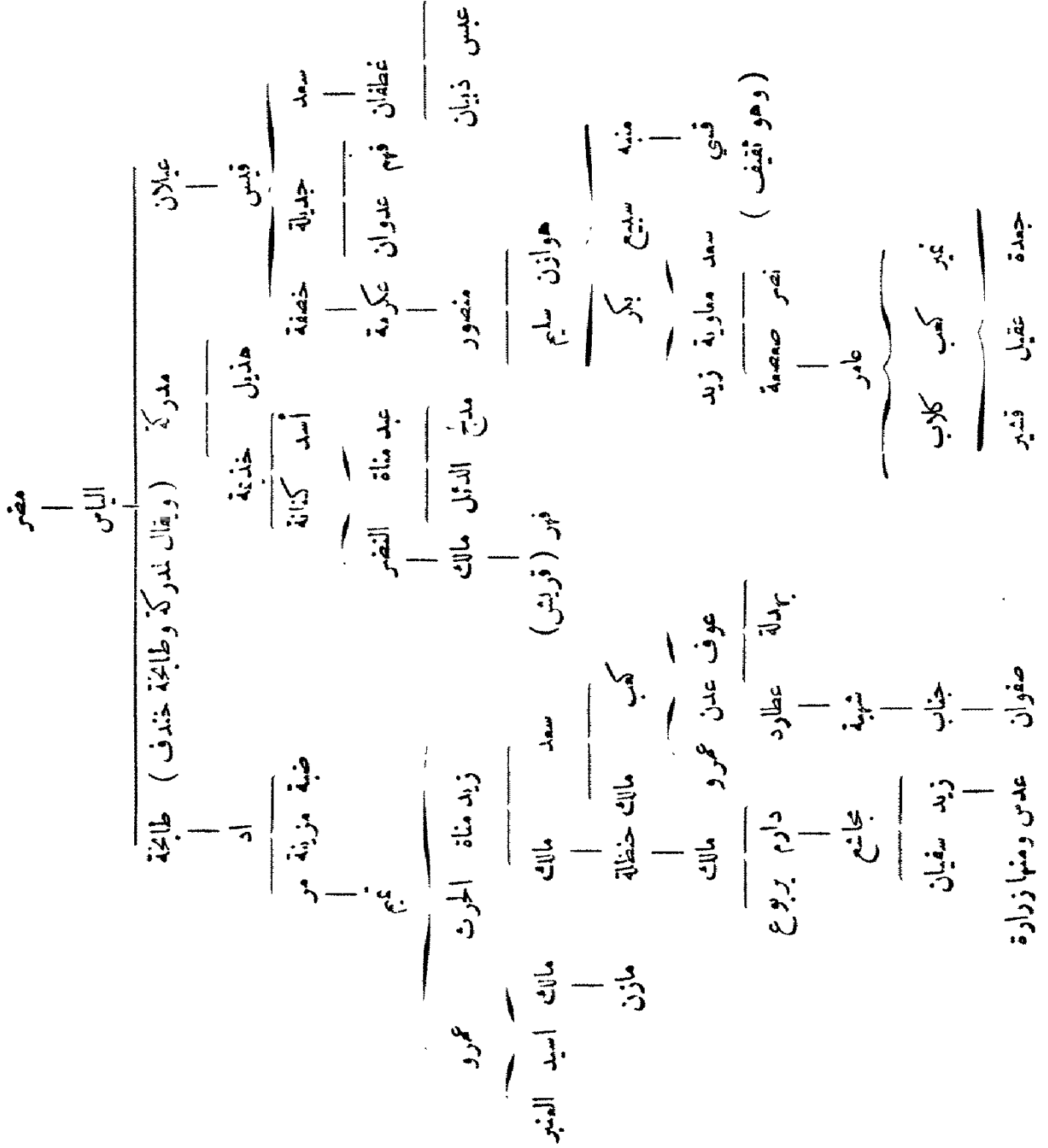
(١) البكري ٥٦

الغزو ان يكون اللواء الاكبر فالأكبر . فكان لواؤهم أي زعامتهم في عنزة وكانت سنتهم ان يوفروا لحامهم ويقصوا شواربهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يخالفهم ويريد حربهم ثم تحول اللواء الى عبد القيس وكانت سنتهم اذا شتموا لطموا واذا لطموا قتلوا من لطمهم . ثم تحول اللواء في النمر بن قاسط وكان لهم غير سنة من تقدمهم . ثم تحول الى بكر بن وائل فسأوا غيرهم في فرخ طائر كانوا يوثقونه بقارعة الطريق فاذا علم الناس بمكانه لم يسلك أحد منهم ذلك الطريق ومن اضطر للمرور سلك عن عين الطائر أو يساره . ثم تحول اللواء الى تغلب فوليه منهم وائل بن ربيعة (وهو كليب المشهور) . وكانت سنتهم اذا سار زعيمهم هذا أخذ معه جروكلب فاذا مرّ بروضة أو موضع يعجبه ضرب الجرو ثم القاه في ذلك المكان وهو يصيح ويهوي فلا يسمع عواءه أحد الا تجنبه ولم يقربه . وكانوا يقولون كليب وائل ثم اختصروه فقالوا « كليب » فغلب عليه (١)

٥ - مضر

ولم تزل مضر بعد خروج ربيعة مقيمة وحدها بمنازلها في تهامة حتى تباينت قبائلها وكثر عددهم وفصائلهم وضافت بلادهم عنهم فطابوا المتسع والمعاش وتبعوا الكلاء والماء وتنافسوا في الحال والمنازل وبني بعضهم على بعض فاقتتلوا وهم قبائل عديدة كما ترى في الجدول بالصفحة التالية . وهي ترجع الى حيين كبيرين قيس عيلان وخندف - فظهرت أولاً خندف على قيس فظننت قيس من تهامة طالعين الى بلاد نجد الا قبائل منهم انحازت الى أطراف الغور من تهامة فنزلت هوازن ما بين غور تهامة الى ما والى يدشة وبركا وناحية السراة والطائف وذو الحجاز وحنين واوطاس وما صاقبها من البلاد

وخندف تشمل طابخة ومدركة فخرجت طابخة الى ظواهر نجد والحجاز . فنزلت مزينة جبال رضوى وما والاها في الحجاز وزححت تميم وضبة من الحجاز وحلوا منازل بكر وتغلب التي كانوا ينزلونها في اثناء الحرب بينهم . ومضوا حتى خالطوا اطراف حجر ونزلوا ما بين الهامة وحجر . ونفذت بنو سعد الى يبرين وتلك الرمال حتى خالطوا بني طامر بن عبد القيس ووقعت طائفة منهم الى عمان وصارت قبائل منهم بين أطراف البحرين الى ما يلي البصرة ونزلوا هناك منازل كانت لا ياد



واقامت قبائل مدركة بهامة وما والاها من البلاد وصاقيها فصارت مدركة في ناحية عرقات وعرنة وبطن نعمان . وكانت لهذيل جبال من جبال السراة ولهم صدور ارديتها وشعابها الغربية ومسائل تلك الشعاب والاودية . ونزل فهم وعدوان من قيس عيلان بجوار هذيل . وخذاعة بن مدركة اسفل هذيل واستطالوا في تلك التهام الى اسياف البحر . واقام ولد النضر بن كنانة حول مكة وما والاها وبها جماعتهم وعددهم فكانوا جميعاً ينتسبون الى النضر بن كنانة . واقام ولد فهر حول مكة حتى انزلهم قصي بن كلاب الحرم وهم قریش (١) . فنزل الحجاز من العرب على اختلاف أصولهم أسد وعبس وغطفان وفزارة ومزينة وسليم وفهم وعدوان وهذيل وخثعم وسلول وهلال وكلاب ابن ربيعة وطى وأسد وجهينة وغيرها (راجع الخريطة الثامنة)

وكل قبائل عدنان بدو رحل الا قريشاً (٢) فانهم تحضروا في مكة وسيأتي ذكرهم هذه فذلك اختصرنا فيها تفرق قبائل عدنان من تهامة الى انحاء بلاد العرب وقد حدث ذلك على الغالب في القرون الاولى قبل الميلاد وبعده بالتدريج . بقي علينا ايراد اخبارهم بعد تفرقهم الى ظهور الاسلام ولكنهم قبائل رحل لا كتابة عندهم ولا مقر لهم واكثر حوادثهم الغزو والنهب الا ما ذكرناه عن بعض قبائل قضاة . فلا يتأني سرود وقائهم متناسقة وقلمنا يكون لها أهمية تاريخية لان اكثرها خصام على مرعى او ماء أو اختصام على فتاة أو نهب أو نحو ذلك . ولم يحفظ الاخباريون منها الا وقائع قليلة سموها ايام العرب سنأتي على خلاصتها بعد ان نذكر من بقي من دول الطبقة الثالثة غير عدنان من عرب الشمال في الطور الثاني نعي الدول القحطانية خارج اليمن

الدول القحطانية خارج اليمن

قد رأيت من تاريخ سبا وحيرانهم ملكوا اليمن بضعة عشر قرناً وكانوا دولاً تجارية قليلة الغزو والحرب فكان القتل فيهم قليلاً وكانوا يتكاثرون حتى تضيق بهم مواطنهم وهم عرضة للقحط من قلة المطر أو انفجار الاسداد فكانوا ينزحون بطوناً وانفراداً يطلبون الرزق في أطراف جزيرة العرب شرقاً وشمالاً فينزل بعضهم البجامة أو البحرين أو عمان أو الحجاز أو مشارف الشام أو العراق فحينما آسوا فرجاً استقروا وتناسلوا

بدوا أو حضراً . وقد تطول آجالهم حتى ينشئوا الدول ويبنوا المنازل أو تقصر فيبيدون بالحرب أو غيرها . ولقلة الكتابة عندهم لم يصل إلينا من أحوال النازحين الا القليل . وقد وصلنا هذا القليل مشوشاً مضطرباً لضياع أخبارهم واختلاطها بعد عهدها . وهذا هو سبب اختلاف الرواة في انسابهم بين ان يرجعوا بها الى حمير او كهلان او معد او العالقة او غير ذلك مما يسر تحقيقه . فننظر في تلك الدول او القبائل من حيث تأثيرها في شؤون التاريخ

فالدول العربية التي ظهرت في شمال جزيرة العرب من الطبقة الثالثة غير قبائل عدنان التي تقدم ذكرها بضع دول بعدها مؤرخو العرب من بني قحطان وقد جاربناهم في تسميتها واهمها: دول الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق وكندة في نجد وما يليها . ويقول نسابو العرب ان هذه الامم وبضع عشرة أخرى من القبائل التي عاصرتهم في شمالي جزيرة العرب ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا بن قحطان على هذه الصورة :

كهلان	طبي	}	مازن	الاشعر	}				
	بجيلة					غسان	عَدْنَان		
	جذام							مزبِقيا	ازد شنؤة
	الازد								
	عاملة								
	كندة								
	لحم — نصر		الاشعر	عَدْنَان					
	مذحج					مزبِقيا	ازد شنؤة		
	همدان								

فهذه القبائل وعددها ١٩ قبيلة لكل منها بطون وانفاد وعماثر وعشائر لا يحصى منها في هذا المقام الا التي انشأت الدول وكان لها دخل في التاريخ على ما وصل إلينا من أخبارهم وهي غسان ولحْم وكندة

انساب هذه الدول قحطانية أم عدنانية

اجمع النسابون تقريباً على نسبة هذه الامم الى كهلان من قحطان وانهم خرجوا من اليمن وتمرقوا في انحاء جزيرة العرب مع من ذكرناهم من اخوانهم بعد تهم سد مأرب وان هذه البطون هاجت اليمن على اثر سيل العرم . ولهم في ذلك حديث

لا بأس من اراد خلاصته : قالوا ان الامكنة المعمورة في أرض اليمن كان اكثرها
الكملان وحير وكان رئيس القوم يومئذ عمرو بن عامر ماء السماء من كهلان فتوفي
عن عدة أولاد قبل السيل خلفه على الرئاسة أخوه عمران بن عامر وليس له أولاد
وكان ذا ثروة وله الحدائق والبساتين ما لم يكن لاحد غيره مثله . وكان في قومه كاهنة
اسمها طريفة فانبأته بقرب انفجار السد بجرد تمقب فيه . فخطب خاصته بذلك
واستمكتهم الخبر حتى يحتال في الخروج بهم الى بلاد أخرى فتواطأ مع ابني أخيه
على ان يخاصموا ويهيناه فيظهر الغضب ويعزم على الرحيل ويعرض أمواله للبيع فيشتريها
الناس ويقبض أثمانها ويرحل . وقد وفق الى ما أراد فابتاع الحميريون بساتينه
وحديقته وقصوره وهم لا يعلمون وارتحل بنو كهلان من اليمن وهم ارهاط فنزل كل
رهط منها في بلد وهم :

- (١) رهط ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر نزلوا المدينة ومنهم الاوس الخزرج
 - (٢) رهط حارثة بن عمرو بن عامر نزلوا مكة وهم خزاعة
 - (٣) رهط عمران بن عامر نفسه ذهبوا الى عمان وهم ازد عمان
 - (٤) رهط ازد شنوءة في تهامة
 - (٥) جفنة بن عمرو بن عامر وهو مزيقياء سار نحو الشام وهم الغساسنة
 - (٦) لحم في العراق ومنهم المناذرة او آل نصر
- غير طيء وكندة وغيرها ولهم في تفرقهم أقوال آخر . وكل هذه البطون أو
القبائل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي انهم قحطانية - ذلك ما اجمع
عليه العرب ولكن لنا رأياً في هذا الاجماع لا يخلو ذكره من فائدة
- قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعدنانية ان لكل منهما
خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين وامماء الاعلام . واذا تدبرت أحوال
هذه الدول من غسان ولحم وكندة رأيتها تنطبق على العدنانية اكثر مما على القحطانية
من حيث اللغة فالتماثل في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حمير
بل لغة العدنانية او عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط
الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من
الضعيف نحو القوي - فلو كان اولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم
وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بدو الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى

أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان البنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ولا ترى لهذا الحرف ذكرآ في أخبارهم ولا أثرآ في اطلالهم

وقد علمت ان السكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سيل العرم وكيف ان السكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعوها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاردها لان السيل لم يخرب الا جزاء صغيراً من اليمن . فلم يكونوا يعمدون مكاناً يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضر . واخوانهم الحميريون ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

فما كان اغنى السكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البدواة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

واعتبر ذلك في معبوداتهم فانها من معبودات عرب الشمال أو المدنانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نحوها

وهكذا يقال في أسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبائية أو المعبنية بل هي مثل أسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط ونحوهم ومنها اثار وثملبة وجبل والنعمان وغيرها . ولا يعترض بما ذكره العرب بين أسماء ملوك حمير من أمثال هذه فان اكثرها مبدل بأسماء شمالية وانما عمدتنا في ما ذكرناه على الاسماء التي وقفوا عليها في الآثار المنقوشة

فلا دلائل على قحطانية هذه الامم الا أقوال النسابين وهي أضف من ان يعول عليها في هذا الشأن لاحتمال ان تكون تلك الامم قد انحلت الانتساب الى عرب اليمن التماساً للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سيما بعد ان تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عمالهم .

هذه ملاحظات نعرضها على اولي البحث لينظروا فيها فاذا رأوا بها اصابة والا فلا دخل لها في ما سنورده من تواريخ تلك الدول وعلائقهم بالدول المعاصرة فلتكلم عن هذه الدول كل واحدة واحدة وهي غسان ولخم وكندة ونبدأ بفسان



دولة الغساسنة

يزعم نسبوا العرب ان الغساسنة لم يرحلوا من اليمن الى الشام رأساً بل اقاموا حيناً في تهامة بين بلاد الاشعرين وعك على ماء يقال له غسان فنسبوا اليه . وكان هذا المكان معروفاً هناك حوالي تاريخ الميلاد وقد ذكره اليونان في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد في جملة بلاد تهامة وشواطئ البحر الاحمر . اما القبيلة فذكرها بطليموس في أواسط القرن الثاني للميلاد ^(١) قال انهم يقيمون على شواطئ جزيرة العرب الغربية نحو ما هو الآن تهامة فاذا صح انتقادنا نسبة الغساسنة الى كهلان كانوا بالحقبة من عرب تهامة المدنانيين أو غيرهم بمن ضاعت انسابهم



ش ٢٥ — قصر في بصرى حوران

وفي كل حال فان الغساسنة نزلوا مشارف الشام وفيها الضجاعم من قضاعه فغلبهم على ما في أيديهم كما تقدم وانشأوا لانفسهم دولة تحت رعاية الروم في ما هو الآن البلقاء وحوران عرفت بدولة الغساسنة أو بني غسان فتحضروا بتوالي الاجيال وعمروا المدن وشادوا القصور والقلاع وكانت طاعتهم بصرى في حوران وتعرف انقاضها باسكي شام وفيها كان دير بحيراء الراهب



الخريطة السادسة - مشارف الشام والعراق ومنازل غسان ولحم

ملوك غسان

ان ما ذكره كتاب العرب عن ملوك هذه الدولة كثير الاختلاط والاضطراب لتناقضه ونقصه ومخالفته في بعض أجزائه لحوادث الدول المعاصرة . وأقدم ما لدينا عن تسلسل ملوك غسان وأوقافها كتاب سني الملوك حمزة الاصفهاني وهو أقدم المحققين من مؤرخي العرب وغرضه على الأكثر تحقيق توالي الملوك ومدات حكمهم ومعاصرتهم وقبلما يلتفت الى أعمالهم . فعنده ان ملوك غسان ٣٢ ملكا حكموا نحو ستمائة سنة وقد أورد اسماءهم وانسابهم ومدات حكمهم كما تراها في الجدول الآتي :

ملوك غسان على رواية حمزة الاصفهاني

مدة الحكم		مدة الحكم	
٣	المنذر الاكبر بن الحارث الثاني	٤٥	١ جفنة بن عمرو مزريقاه
١٥ ١/٢	» » النعمان	٥	٢ عمرو بن جفنة
١٣	» » المنذر الاصغر	١٧	٣ ثعلبة بن عمرو
٣٤	» » جبلة	٢٠	٤ الحارث الاول بن ثعلبة
٣	» » اليم	١٠	٥ جبلة بن الحارث الاول
٢٦	» » عمرو	١٠	٦ الحارث ٢ بن جبلة (ابن مارية)

مدة الحكم		مدة الحكم	
٢٦	الحارث الرابع بن حجر	٣٠	جفنة بن المنذر الأكبر
١٧	جيلة بن الحارث الرابع	١	النعمان » » »
٢٥	الحارث بن جيلة (بن أبي شمر)	٢٧	النعمان بن عمرو » »
٣٧	النعمان بن الحارث (أبو كرب)	١٦	جيلة بن النعمان
٢٧	الأيهم بن جيلة بن الحارث	٢١	النعمان بن الأيهم
١٣	المنذر » » » »	٢٢	الحارث الثالث بن الأيهم
٢٥	شراحيل » » » »	١٨	النعمان بن الحارث الثالث
١٠	عمرو » » » »	١٩	المنذر بن النعمان
٤	جيلة بن الحارث	٣٣	عمرو » »
٣	جيلة بن الأيهم	١٢	حجر » »

مدة سيادة الغسانيين على رواية حمزة المذكور نحو ٦٠٠ سنة أي من أوائل القرن الأول للميلاد إلى ظهور الإسلام . ولـكـنـنـا نـعـلم من قرائن أخرى ومما قدمناه من أن الغسانيين كانوا في أواسط القرن الثاني للميلاد لا يزالون في تهامة ان هذه الرواية لا تخلو من الخطأ

وقد عني الأستاذ تولدكي الألماني الشهير بدرس تاريخ هذه الدولة من مصادر يونانية ومصرية فوجد ملوكها الذين عرفهم الروم لا يتجاوز عددهم عشرة ملوك أقدمهم حكم في آخر القرن الخامس للميلاد وآخرهم عند ظهور الإسلام فلا تتجاوز مدة حكمهم قرناً وبعض القرن

وهاك جدولاً للملوك الغسانيين الذين اعترف تولدكي بوجودهم (١)

١	جيلة أبو شمر	توفي نحو سنة ٥٠٠
٢	الحارث بن جيلة أبي شمر	٥٦٩
٣	المنذر أبو كرب بن الحارث	٥٨٢
٤	النعمان بن المنذر	٥٨٣
٥	الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر	
٦	الأعرج » » » الأصغر	
٧	النعمان بن الحارث الأصغر	
٨ و ٩	عمرو أخو النعمان وحجر ابنه	
١٠	جيلة بن الأيهم	

من سنة ٥٨٣ - ٦١٤

واستخرج نولدي من أشعار العرب وغيرها أسماء ملوك وأفراد غسانيين لم يذكرهم المؤرخون كابن صلمي ذكره حسان ويزيد بن عمرو في الاغانى وغيرها . وعثر على تفاصيل من أحوال أولئك الملوك لم يعرفها العرب أو أنهم شوهاها بالتناقل وانكر كثيراً من الحوادث التي ذكرها العرب للغسانيين أو وضع فيها شكاً

والاستاذ نولدي بحاث نقاد وقد عول في ما قاله على ما أخذ وثيقة من تواريخ الكنيسة أو الدولة أكثرها مدون في حينه وجاءت اخبار هؤلاء الملوك فيها مقرونة باخبار قياصرة القسطنطينية أو ولاية الشام وتواريخهم معروفة ثابتة . فلا تنكر عليه أصابته في كثير من ملاحظاته ولا كنا لا نوافق على حصر تلك الدولة في عشرة ملوك حكموا مئة سنة وبعض المئة كما اتنا لا نوافق حمزة الاصفهاني على أنهم ٣٢ ملكاً حكموا ستة قرون للاسباب الآتية :

الروم والعرب

فتح الاسكندر الشام والعراق في القرن الرابع قبل الميلاد وأراد اصحابه اكتساح جزيرة العرب فامتدت عليهم لوعورة الطرق اليها وبدأوا أهلها . وقتلوا النبطيين فارتدوا عنهم خائبين . وتحقق خلفاء الاسكندر على الشام ان اخضاع أهل البادية لا يتيسر لهم فعمدوا الى مسالمتهم للاستعانة بهم في نقل القوافل أو حماية الطرق أو استنصارهم على جيرانهم الفرس أو غيرهم . ودخلت الشام في حوزة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد وبادية الشام في حوزة الانباط ومن والاهم وحالفهم من العرب . وقد رأيت ما آل اليه امر الانباط في أول القرن الثاني للميلاد ولم يغلبهم الروم الا لتحضرهم واركانهم الى السكينة والرخاء فتفرقوا في مشارف الشام والعراق

أما بدو العرب في تلك الضواحي فلم يغلبهم الروم ولا غيرهم فكانوا يضايقون الدولة فينزلون أطراف المدن للغزو أو يتعرضون للقوافل بالنهب كما يفعل بدو هذه الايام بقافلة الحج وغيرها . ويئس الروم منهم فعمدوا الى مسالمتهم لاتقاء شرهم واشهرهم يومئذ الضجاعة بنو سليح من قضاة

وكانت العراق وفارس يحكمها ملوك الطوائف بعد الاسكندر يستبد كل منهم بقسم منها يشتغلون بذلك عن مناوأة الروم اعدائهم القدماء حتى اذا نشأت الدولة الساسانية في أول القرن الثالث للميلاد وجمت كلمة الفرس تحت لوائها اصبح الروم يخافونها على بلادهم لما بينهما من المنافسة القديمة فازدادت رغبتهم في تقريب العرب ليس لاتقاء شرهم

فقط بل للاستعانة بهم على أولئك المنافسين
واتفق نزوح الغسانيين نحو الشمال كما تقدم وقد نزلوا باللقاء وفيها الضجاعة وغيرهم
من قبائل العرب وتنازعوا على المقام هناك وتنافسوا في النفوذ على أهل البادية فظهر
الغسانيون . فلما احتاج الروم الى نصرتهم استنصروهم وقربوهم فتنصروا بتوالي
الاجيال وأصبح لهم شأن في حروب الروم والفرس

عدد ملوك غسان ومدات حكمهم

لا مشاحة في ان المؤرخين اختلفوا كثيراً في عدد ملوك هذه الدولة وفي تسلسلهم
ومدات حكمهم يدلك على ذلك اختلافهم في عدد الملوك من كل اسم على حدة . فذكر
حمزة مثلاً خمسة ملوك باسم النعمان وهم عند ابن السكبي واحد وعند تولدي اثنان
وقس على ذلك اختلافهم في سائر الاسماء على هذه الصورة :

عند ابن السكبي	عند حمزة	عند تولدي
١	٥	٢
٣	٢	١
١	٢	١
١	٥	١
النعمان		
المغذر		
الايهم		
عمرو		

واعبر ذلك الاختلاف ايضاً في عدد الملوك على الاجمال فقد رأيت ان عددهم عند
حمزة الاصفهاني ٣٢ ملكاً وهم عند ابن قتيبة ١١ وعند الجرجاني ٩ وعند المسعودي ١٠
واختلفوا في أول من ملك منهم فقال بعضهم ثعلبة وقال آخرون الحارث بن عمرو وقال
غيرهم جفنة وقال غيرهم غير ذلك . وقس عليه اختلافهم في تعاقب أولئك الملوك وسني
ملكهم واعمالهم مما يجعل القطع في حقيقة ذلك كله مستحيلاً فنقتصر على النظر في
قائمة حمزة وما جاء في كتب اليونان

يقول حمزة ان عدد ملوك غسان ٣٢ ملكاً اولهم جفنة بن عمرو وآخرهم جبلة بن
الايهم وانهم حكموا نحو ستمائة سنة وذلك كثير لان الغسانيين لم ينزلوا الشام الا بعد
أواسط القرن الثاني للميلاد وقد يكون نزولهم في القرن الثالث فلا تتجاوز مدة حكمهم
٤٠٠ سنة وهذا ما قاله أبو الفداء (١) مع انه أورد من أسماء ملوك غسان مثل الذي
أورده حمزة وفي مثل ترتيبه ولكنه خالفه في جعل سني حكمهم واغضى عن مدة

حكم كل واحد منهم على حدة . ولعله تخاشى ذلك لتحقيقه من سياق التاريخ ان مدة دولتهم لم تتجاوز ٤٠٠ سنة مع اعتقاد وصحة عدد ملوكها فخاف اذا جرى حمزة في ذكر مدة حكم كل منهم ان تأتي النتيجة مخالفة لما تحققه فاكثف بذكر المدة على الاجمال . ولو امكن النظر في تفصيل سني الحكم مع تعاقب الحاكمين من حيث تسلسلهم من الاب الى ابناؤه لظهر له سبب ذلك الاختلاف فيعلم ان ما اورده حمزة من تفصيل سني الحكم لا يخالف ما تحققه هو عن مجملها

وبيان ذلك ان الاصفهاني نقل مدات او تلك الملوك كما سمعها او قرأها ممن سبقه كل ملك على حدة كما في القائمة التي ذكرناها ثم جمع السنين فبلغت نحو ستمائة سنة وجمع عدد الملوك فبلغ ٣٢ ملكاً فذكر ذلك مجملاً في آخر الكلام وهذا مصدر الخطأ . لان مدات الحكم اذا ثبت مقدار كل منها على حدة لا يستلزم ان يكون مجموعها صحيحاً . اذ يؤخذ من تعدد الاخوة الذين تولوا الحكم في بعض الاحوال ان كثيرين منهم كانوا يحكمون متعاصرين اذ لا يعقل ان يحكم اولاد الحارث الثاني بن حبة (ابن مارية) الستة مثلاً الواحد بعد الآخر بعد وفاة والدهم ومجموع مدات حكمهم ٩٤ سنة لاتنا اذا فرضنا ان والدهم توفي في سن الاربعين لاقتضى ان يعيش معظمهم أكثر من مئة سنة . ويقال نحو ذلك في ابناء جبلة بن الحارث بن أبي شمر وابناء المنذر والنعمان - ولايضاح ذلك رتبنا ملوك غسان في جدول حسب تسلسلهم على رواية حمزة وابي الفداء وبجانب كل اسم مدة الحكم تقريباً (انظر الجدول في الصفحة التالية) فاذا نظرت في هذا الجدول تبين لك ما أردناه وهان عليك رد مجموع مدات الحكم الى ٤٠٠ سنة وان كنا لا نستطيع تعيين كل مدة على حدة تعييناً مدقفاً

بقي علينا النظر في ما صح عند الاستاذ فولدكي من قلة ملوك هذه الدولة . فعنده ان عددهم لا يتجاوز عشرة ملوك فكيف يمكن تطبيقها على قائمة حمزة ولو جعلنا مجموع المدات ٤٠٠ سنة فان الفرق لا يزال بعيداً . وتبيل ذلك في اعتقادنا ان الغسانيين قضوا زمناً طويلاً في ضواحي الشام يتوارثون الامارة والروم لا يعرفون عنهم شيئاً لانهم لم يحتاجوا الى نصرتهم أو يستخدموهم في جندهم . والغسانيون في اثناء ذلك يحكمهم امراؤهم وهم يحصون سني حكمهم . وقد يتعاصر اميران او ثلاثة أو أكثر فيتولى كل منهم بطلاً أو رهطاً من القبيلة - وما زالوا على ذلك حتى احتاج الروم اليهم في محاربة الفرس فلما استخدموا بعضهم ومنحوهم لقب ملك كما سيحيى اطلق العرب هذا اللقب على سائر امرائهم فسموهم ملوك غسان كما يطلق كتب هذا العصر

على ولاية مصر من ابناء محمد على لقب « خديو » مع ان أول من نال هذه الرتبة منهم اسماعيل وهو خامسهم . وهذا هو جدول ملوك غسان :

حكم من سنة

جفنة بن عمرو	٢٢٠ م
عمرو بن جفنة	٢٦٥
ثعلبة بن عمرو	٢٧٠
الحارث الاول بن ثعلبة	٢٨٧
جبلة بن الحارث الاول	٣٠٧
الحارث الثاني بن جبلة (ابن مارية)	٣١٧
<hr/>	
عمرو جبلة الایم النعمان المنذر الاصغر المنذر الاكبر	٣٢٧
النعمان الحارث الثالث النعمان جفنة الحرق عمرو (لم يحكم)	٣٨٠
النعمان	٤٣٠
عمرو	
النعمان	
جبلة	
حجر المنذر عمرو	٤٦٠
الحارث الرابع	٤٨٦
جبلة	٥١٢
الحارث بن أبي شمر (الخامس)	٥٢٩
النعمان أبو كرب جبلة (لم يحكم)	٥٦٩
شراحيل الایم المنذر عمرو الحارث (لم يحكم)	٦٢٥
جبلة	٦٣٣

ويؤيد ذلك ان الروم لم يحتاجوا الى نصرة العرب لمحاربة الفرس في أوائل الدولة الساسانية لانهم كانوا يحتقرونها ويعتدون بقوتهم حتى كانوا يهاجمون الفرس في بلادهم وقد غلبوهم ايام دقلطيانوس مراراً في أواخر القرن الثالث للميلاد وأوائل الرابع

وتنازل لهم الفرس عن بعض بلادهم^(١) ثم اصاب الدولة الرومانية الانقسام وتضعفت أحوالها بالحروب الاهلية حتى استبد قسطنطين بالدولة وجمع شتاتها وانصرف الى نشر النصرانية وتأيدها . وافضت حكومة الفرس في أيامه الى سابور ذي الاكتاف فخاربه الروم وكانت عاصمته في جندي سابور فنقلها الى المدائن بالعراق وطال حكمه وحارب الروم في عدة وقائع باواسط القرن الرابع . وفي أوائل القرن الخامس عقد يزدجرد ابن بهرام معاهدة صالح مع الروم لمئة سنة وشعر الروم بضعفهم من ذلك الحين ورأوا الفرس يستنجدون الاخمينيين عرب العراق فاضطروا الى استنصار عرب الشام وهم الغساسنة

• ملوك غسان في تاريخ اليونان

أول من ذكر اليونان من أمراء غسان في خدمة الروم أمير اسمه « جبلة » لم يذكر والداه ولا لقباً يمتاز به وإنما قالوا انه نصرهم سنة ٤٩٧ م فآخذ ثورة اقلقت راحتهم فمضوه رتبة فيلارك Phylarch أي أمير أو رئيس قبيلة وجعلوه عاملاً على بطرا . ويرى نولدكي ان جبلة هذا هو والد الحارث بن جبلة أكبر ملوك غسان وأكثرهم ذكراً في كتب اليونان من ٥٢٩ - ٥٦٩ م واذا نظرنا في قائمة حمزة بعد تعديل - في الحكم بحسب تماقب الابناء نراه يوافق الحارث بن أبي شعر فقد قدرنا هناك انه نبغ في أوائل القرن السادس . وجاء في أخباره بكتب العرب ما يلائم أخبار الروم عنه^(٢)

وقد جاء في تاريخ مالالاس ان الحارث المذكور حارب المنذر ملك الحيرة سنة ٥٢٨ م وهو المنذر بن ماء السماء (حكم من سنة ٥١٤ - ٥٤٦ م) كما سترى في تاريخ ملوك الحيرة وكان الحارث المذكور يؤيد يلقب فيلارك فاستعان به الروم بواقعة في السامرة فاز بها فرقه سنة ٥٢٩ وسموه « باسيلوس » ومعناه في لسانهم « الملك » ولاكنهم كانوا يستخدمونه اصطلاحاً لقباً للأمراء على أعمالهم كما فعل المسلمون بعد ذلك في العصر الاسلامي الوسطى فكانوا يسمون الوزراء والقواد ملوكا . ولما عرض لكتاب السريان ذكر هذا الأمير في كتبهم ترجموا اللقب حرفياً فقالوا « ملك » وجاراهم العرب في ذلك . اما الروم فلا يفهمون منه هذا المعنى . ولذلك فلما أرادوا ترقية الحارث المذكور بعدئذ لقبوه بالبطريق وهو لقب أشرف الروم وعمالهم . وعرف من ذلك الحين باسم « البطريق الحارث » وقد تمتع بهذا اللقب هو وابنه أبو كرب

وشاع ذلك وعرفه السريان واليونان . وكانوا يلقبونه احياناً « فلايوس » وهو من القاب القواد عند الروم . أما العرب فلم يحفظوا من القابه غير « الملك » واطلقوه على سائر امراء هذه الاسرة

الحارث بن جبلة عند الروم

كان للحارث هذا مقام رفيع عند الروم وكانوا يهابون سطوته ويمجبون بشجاعته وقد بانوا في تقريبه وترقيته والخلع عليه حتى سموه ملكاً وبطريقاً كما رأيت . وبلغ من شهرته في الشجاعة وشدة البأس حتى كانت النساء يخوفن أولادهن باسمه فاذا بكى الطفل او تمرّد قالت له امه « اسكت والا اتيتك بالحارث بن جبلة » ولم يبلغ هذه الشهرة الا بعد ان ابلى في نصرة الروم والدفاع عن مملكتهم

وكان الحارث هذا من اكبر اعوان بليزاريوس القائد الروماني في محاربة الفرس سنة ٥٣١م لرد هجمات الفرس والعرب المناذرة عن مملكة الروم . وكان كسرى انوشروان قد خلف ابيه قباذ على عرش ايران في تلك السنة وكان على مملكة الروم القيصر يوستنيان العظيم فتماصر الملكان وكلاهما شديد البأس . وكان جند الروم يومئذ في حرب باوربا وافريقيا وقائده الاكبر بليزاريوس المذكور فسعى يوستنيان في مصالحة الفرس ليتفرغ لتلك الحرب فصالحه انوشروان على شروط وضياها . ثم أدرك انوشروان ما كسبه عدوه بتلك المصالحة لان بليزاريوس امعن في فتوحه بافريقيا وأوربا فقدم على صلحه ولم يتعود النكث فليجأ الى عامله على العرب في الحيرة وهو اذ ذاك المنذر بن ماء السماء اللخمي وكان ذا دهاء ولم يدخل في المهادنة . والمنافسة بين المنذر هذا وبين الحارث زعيم الغسانيين طبيعية يومئذ وكانا في نزاع على طريق الماشية في جنوبي تدمر يزعم المنذر انها من مملكته ويقول الحارث انها له وتجاربا فانتصر كسرى لعامله وكانه اوعز اليه سرّاً ان يوغل في سوريا غزواً ونهباً ففعل فعادت الحرب بسبب ذلك بين الدولتين . وحمل كسرى على سوريا وآسيا الصغرى وكاد يفتح القسطنطينية ونصيره المنذر المذكور . فاهتزت مملكة الروم وارتعدت فرائص القيصر فاستنفض قائده بليزاريوس واستنصر عرب غسان وخلع على زعيمهم الحارث بن جبلة قمى جند الروم بقيادة هذين الرجلين وتقدم بليزاريوس في معظم هذا الجيش حتى خالف جند كسرى في الطريق فنزل ما بين النهرين وتجاوز نصيبين الى بلاد الفرس وخلف الحارث وراءه ليستأثر هو بثمار الفتح والتهب وادرك الحارث غرضه فقطع أخباره عنه . وبلغ كسرى ما فعله الروم فرجع اليهم وأخرجهم من بلاده ولم يفلح الروم بحملاتهم هذه لاسباب لا يحل لها هنا

ثم تقاتل الفساسنة واللخميون وطالت الحرب بينهما وانتهت بواقعة آلت الى دخول قسرين في حوزة الحارث بعد ان قتل بعض أبنائه وقتل المنذر بن ماء السماء . وهي المعركة التي يسميها العرب يوم ذات الحيار أو عين اباغ . ويقولون في سببها ان المنذر المذكور نزل عين اباغ وبعث الى الحارث بالشام يقول « اما ان تعطيني الفدية فانصرف عنك بجنودي واما ان تأذن بحرب » فارسل اليه الحارث « انظرنا ننظر في أمرنا » فجمع عساكره وسار نحو المنذر وارسل اليه يقول « انا شيخان فلا تهلك جنودنا وانما يخرج رجل من ولدي ورجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فني أولادنا خرجت انا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك » فتعاهدا على ذلك وغدر المنذر بالحارث فانزل بعض رجاله بدلاً من أولاده فقتل للحارث ولدان ثم علم بالمشيكة فحمل على المنذر برجاله وهم ٤٠٠٠٠ فقتلوا المنذر وهزموا رجاله (١)

وعقب يوم اباغ يوم حليلة وفيه حمل المنذر بن المنذر المقتول (تولى سنة ٥٨٢) للاخذ بشار أبيه فلاقاه الحارث الاعرج (غير ابن أبي شمر) في مكان اسمه مرج حليلة ودارت الحرب بينهما أياماً لا ينتصف احدهما من صاحبه . فجعل الحارث ابنته زوجة لمن يقتل المنذر فقتله لبید ابن عمرو الغساني وكانت واقعة هائلة اجتمع فيها عرب العراق كافة تحت راية المنذر وعرب الشام كلهم تحت راية الحارث . وفي ابن الاثير ان الحارث صاحب يوم حليلة هو نفس الحارث صاحب يوم اباغ ولكن سياق التاريخ يقتضي ان يكون سواه . فلعله الحارث حفيد ابن أبي شمر ولم يذكره حمزة بين ملوك غسان بل ذكر ابنه جبلة (راجع الجدول) أو لعل المنذر نأر لابييه قبل ان يتولى الملك وشخص الحارث بن أبي شمر سنة ٥٦٣ م الى القسطنطينية لخبرة القيصر بشأن ابنه المنذر ليكون خلفاً له في امارة القبائل وفي ما ينبغي اتخاذه من الوسائل على صاحب الحيرة وهو يومئذ عمرو بن هند مضرط الحجار . وهي أول مرة زار الحارث عروس المدائن (القسطنطينية) فادهشه ما رآه فيها من العظمة والاهبة والثروة كما دهش أهلها من رؤية الحارث الذي طالما سمعوا به وخوفوا أبناءهم باسمه فأروه رجلاً ذا هبة وقامة وجلار اما هو فلم يستأنس بالمدينة ولا بأهلها لبعدها عما الفه من طلاقة البادية وسذاجة عيشها

والحارث هذا هو الذي توسط لامرئ القيس الشاعر في الذهاب الى قيصر القسطنطينية بعد ان اودع السموأل ادراعه في القصة المشهورة (٢) وتوفي الحارث

(١) ابن الاثير ٢٤٥ ج ١ (٢) الاقاني ٩٩ ج ١٩

سنة ٥٦٩ م وقد قضى أربعين سنة في الحروب والغزوات ونال من المنزلة والسطوة ما لم ينله سواه وخلفه ابنه المنذر والروم يسمونه المنذروس . وكان على الحيرة قابوس اخو عمرو بن هند فخاربه المنذر وغلبه . وكان المنذر قد حارب مع جند الروم في حياة أبيه وهو أمير فلما خلف أباه سمي بطريقاً وأعان الروم في مواقع كثيرة وحاز فوق ما حازه أبوه من الاحتفاء فشخص الى القسطنطينية سنة ٥٨٠ مع ولديه فاحتفل به الروم وقبضهم يومئذ طيباريوس فألبسه التاج ولم يلبس أبوه قبله غير الاكليل وسماه بعض مؤرخي الروم لذلك « المنذر ملك العرب »

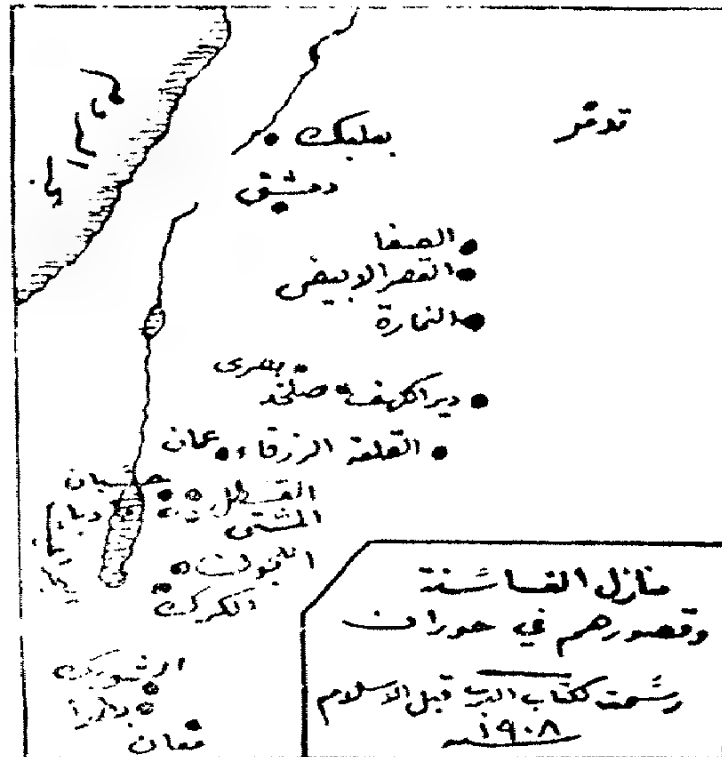
فإذا كان الحارث بن جبلة هذا هو الحارث بن أبي شمر عند العرب كما قلنا فالمنذر ابنه هو النعمان بن الحارث عندهم ويلقبونه أبا كرب وأيس عندهم للحارث ابن اسمه المنذر وأما هو ابن ابنه كما ترى في الجداول فلا ندري وتم الخطأ من العرب أم من الروم وذكر الروم بعد المنذر ابنه النعمان حكم سنة ٥٨٢ ولم يطل حكمه فخلفه الحارث الأصغر ثم غيره وغيره كما مر بالجدول المنقول عن تولدكي . ولم يذكر الروم من أعمالهم شيئاً لأنهم فلما استنجدوهم في أواخر الدولة لاشتغال الفرس عنهم واشتغال الروم بأنفسهم إلا ما كان من حمل الفرس على مملكة الروم سنة ٦١٣ وفتحوا سوريا فذهبت دولة العرب منها وانقضت بذلك الفتح وآخر ملوكها عند الروم حنجر بن النعمان . فلما نهض هرقل لاسترجاع سوريا من الفرس ظهر من الفسانيين جبلة بن الأيهم وخبره مع عمر بن الخطاب في صدر الإسلام مشهور



مملكة القساسة وآثارها

لما نزل آل غسان الشام خيموا في باديتها من جهة حوران ثم سكنوا البلقاء واذرح واتسعت مملكتهم باتساع سلطاتهم فبلغت معظم اتساعها في أيام الحارث بن جبلة المذكور وأولاده واصبحت كله القسائين نافذة في حوران وسائر مشارف الشام وفي تدمر وعلى سائر عرب سوريا وفلسطين ولبنان البدو الحضر . وشاد القسائيون كثيراً من القصور والاديار وانشأوا المدن والقرى وبنوا القناطر واصلحوا الصهاريج . ومما ينسبون بناءه اليهم من المواضع أو البلاد « قسطل » بالبقاء وفيها يقول كثير :

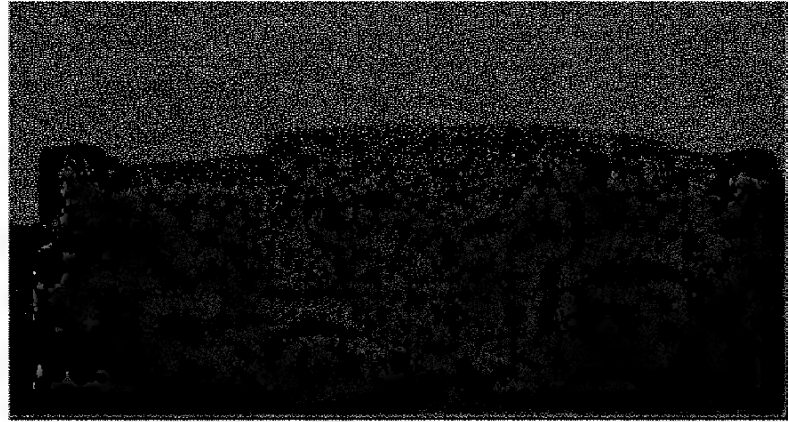
سقى الله حياً بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب (١)
ومنها اذرح من أعمال الشراة والجرباء بجانبها ويقال ان في اذرح كان أمر التحكيم بين ابي موسى الاشعري وعمرو بن العاص وشادوا نجران ومعان



الخريطة السابقة - منازل القساسة وقصورهم

ومما ينسبونه اليهم من القصور صرح الغدير والقصر الأبيض والقلمة الزرقاء وقصر المشقي وقصر الفضا وقصر منار وقصر السويداء وقصر بركة وقصر ايبين وغيرها . ومن

الاديار دير حالي ودير الكهف ودير هناد ودير النبوة . ومن الابنية الاخرى القناطر
وجسر طاملة واصلاح صهاريج الرصافة ورسافة الشام . وذكر لهم العرب ابنية اخرى
يصعب معرفة اما كنها لقلة العناية في التنقيب عن آثار هذه الدولة ولتصحيف
اسماها



ش ٢٧ - بقايا قصر المشتى

وآخر من عني بالتنقيب عن تلك الآثار الاستاذ دوسو القرنساوي
حوران ووعورها في اللجا والحراء والرجبة وجبل الصفا واطلع على كثير من الآثار
والانتقاض فاستدل من ذلك على خط دفاع كان في أطراف حوران يفصل بينها وبين
البادية . وهذا الخط كان مؤلفاً في الاصل من عدة حصون في جملتها القصر الابيض
والنمارة ودير الكهف والقلمة الزرقاء وقد شاهد انتقاضها فرأى القصر الابيض مبنياً في



ش ٢٨ - بقايا القصر الابيض .

دولة اللخمين في العراق

وتاريخ هذه الدولة أوضح من تاريخ آل غسان واثبت لانه كان مدوناً في كتب
الحيرة مثبتاً في كنفائهم وأشعارهم وفيها انسابهم واخبارهم ومبالغ أعمارهم وولي منهم
للاكامرة وتاريخ نسبهم وعليها كان ممول المسلمين في ما ورد من أخبار هذه الدولة (٢)
واكمل ما وصل اليها من توالي ملوك هذه الدولة ومبالغ أعمارهم ما ذكره حمزة
الاصفهاني في كتابه سني الملوك فانه اورد نسب كل ملك ومدة حكمه ومن عاصره من
ملوك الفرس ومدة معاصرة كل ملك ولذلك هان علينا تعيين بداية حكم كل منهم ونهايته
مع ملاحظة قرائن أخرى اقتضت التعديل في بعض الاحوال . ولا سيما في مدات
حكم بعض الملوك التي تجاوزت طور المعقول كمدة حكم عمرو بن عدي فقد جعلوها
١١٨ سنة ومدة خلفه امرىء القيس ١١٤ سنة فعدلنا ذلك وامثاله بالتطبيق على
مدات حكم المعاصرين من ملوك الفرس وغيرهم وبقرائن أخرى - وهذا جدول
باسماء ملوك الحيرة وبداية تاريخ كل منهم وبجانبه جدول ملوك الفرس الساسانية الذين
عاصروا تلك الدولة :

ملوك الدولة الساسانية في فارس			جدول ملوك آل لحم في الحيرة		
اسم الملك	سنة الحكم	مدة الحكم	اسم الملك	سنة الحكم	مدة الحكم
اردشير	٢٢٦	١٥	عمرو بن عدي	٢٦٨ م	٢٠
سابور الاول بن اردشير	٢٤١	٣١	امرؤ القيس بن عمرو	٢٨٨	٤٠
بهرام الاول هرمز بن سابور	٢٧٢	١	عمرو بن امرئ القيس	٣٢٨	٤٩
بهرام الثاني بن بهرام	٢٧٣	٣	اوس بن قلام	٣٧٧	٥
بهرام الثالث بن بهرام بن بهرام	٢٧٦	١٧	امرؤ القيس المحرق بن عمرو	٣٨٢	٢١
زرمي بن بهرام	٢٩٣	٩	النعمان الاعور بن امرئ القيس	٤٠٣	٢٨
هرمز الثاني بن زرمي	٣٠٢	٧	المنذر بن النعمان الاعور	٤٣١	٤٢
سابور الثاني ذو الاكتاف	٣٠٩	٧٠	الاسود بن المنذر	٤٧٣	٢٠
اردشير الثاني بن سابور	٣٧٩	٦	المنذر بن المنذر أخوه	٤٩٣	٧
سابور الثالث بن سابور	٣٨٣	٥	النعمان بن الاسود ابن أخيه	٥٠٠	٤
بهرام الرابع » »	٣٨٨	١١	علقمة أبو يعفر	٥٠٤	٣
يزدجرد الاول بن بهرام (الائتم)	٣٩٩	٢١	امرئ القيس بن النعمان	٥٠٧	٧
بهرام جور الخامس بن يزيد جرد	٤٢٠	١٨	المنذر بن امرئ القيس		
يزدجرد الثاني بن بهرام	٤٣٨	١٩	الملقب ابن ماء السماء	٥١٤	٤٩
هرمز الثالث فيروز بن يزيد جرد	٤٥٧	٢٧	والحارث بن عمرو السكندي		
بلاش بن فيروز	٤٨٤	٤	عمرو بن هنده ضرط الحجاره	٥٦٣	١٦
قباذ الاول بن فيروز	٤٨٨	٤٣	قابوس أخوه	٥٧٨	٤
كسرى انوشروان بن قباذ	٥٣١	٤٧	فيشهرت أو زيد	٥٨١	١
هرمز الرابع بن كسرى انوشروان	٥٧٩	١١	المنذر بن المنذر بن ماء السماء	٥٨٢	٣
كسرى برويز بن هرمز	٥٩٠	٣٨	النعمان بن المنذر ابو قابوس	٥٨٥	٢٨
من شيرويه بن كسرى الى يزيد جرد الثالث	٦٢٨	٤	اياس بن قبيصة	٦١٣	٥
			زاديه	٦١٨	١١
			المنذر المفلور	٦٢٨	٤

فلوك الحيرة ٢٢ ملكاً تولوا انلك ٣٦٤ سنة ركلهم من نسل عمرو بن عدي من آل نصر أو لحم الالسة من الدخلاء وهم اوس بن قلام والحارث بن عمرو بن حجر الكندي وعلقمة بن يعفر واياس بن قبيصة وفيدشهرت وزاديه الفارسي وقصبة ملكهم جميعاً الحيرة

الحيرة

كانت الحيرة على ثلاثة أميال من مكان الكوفة في موضع يقال له النجف على ضفة الفرات الغربية في حدود البادية بينها وبين العراق وتقع الآن في الجنوب الشرقي من مشهد علي^(١). وقد أكثر العرب من تحليل اسمها وتعليله على عادتهم في ارجاع الاعلام الى مشتقات عربية فقالوا سميت بذلك من الحيرة أي الضلال لان تبعاً لما بلغ موضع الحيرة (على ما يزعمون) ضلّ دليله ونحير. وزعم آخرون ان مالكا لما زلها جعلها حيراً أي حظيرة أو بستاناً واقطعه قومه ثم صارت الحيرة. وقال غيره بل سميت الحيرة من الحوار أي البياض لبياض ابنيها. والحقيقة ان لفظها سرياني معناه الحصن او المقل حول الخندق وهي والحير العربية من أصل واحد كما ترى من تقارب اللفظ والمعنى. ولذلك كانوا يسمونها بقولهم «حيرة النعمان» او «حيرة المنذر» اسم حصنه أو معقله على جاري العادة في انشاء المدن يومئذ. فكان الملك أو الأمير يبنى معقلاً لنفسه وحاشيته ثم يبني الناس حوله فيتسع المكان بتوالي الازمان ويصير مدينة وعلى هذا النمط نشأت البصرة والكوفة والفسطاط وبغداد وغيرها من المدن الاسلامية^(٢) ومن هذا القبيل ما بناء الفساسة على حدود البادية في شرقي حوران من الماقل أو القصور فقد كان المراد ببنائها حماية حدود المملكة من جهة البادية كما هو الغرض من حيرة العراق

والحيرة المذكورة ما لبثت الا قليلاً حتى صارت مدينة فيها المنازل والقصور والحدائق والانهار على حد قول الشاعر عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً ورجلاً فوق اثباح الركاب
حضرنا في نواحيها قصوراً مشرفة كاضر اس الكلاب

واشتهرت الحيرة بصحة هوائها لقربها من هواء البرية التي حى قالوا «يوم وليلة في الحيرة خير من دواء سنة» وظلت الحيرة عارة بعد الاسلام عدة اجيال. وكان بجوارها قصران كبيران هما الخورنق والسدير كالفلاح الاول على مرتفع متسلط على الحيرة على نحو ميل في شرقيها وسيأتي ذكرهما

سكان الحيرة

لما كانت الحيرة على طرف العراق في الغرب وليس بعدها غير البادية وغب فيها البدو فكان يؤمها البدوي لا بتبائع بعض الحاجيات ثم لا يلبث ان يقيم فيها . وكان يأتيها جماعات من مدن العراق والجزيرة فراراً من حكم أو تحيأاً عن عمل كان يحدث أحدهم حدثاً في قومه أو تضيق به المشيشة في بلده فيخرج الى ريف العراق وينزل الحيرة ولذلك كان سكانها اخلاطاً من امم شتى أكثرهم من العرب وقد قسمهم هشام الكلبي الى ثلاثة أقسام أولاً: تنوخ من بقايا العرب الذين كانوا مع مالك بن فهم وجذبة الارش وكانوا يسكنون المظال والبيوت من الشعر او الوبر في غربي الفرات ما بين الحيرة والانبار وما فوقها (٢) العباد وهم سكان الحيرة نفسها الذين نزلوا فيها وابتنوا المنازل لسكنائهم (٣) الاحلاف الذين لحقوا باهل الحيرة ونزلوا فيهم وهم ليسوا من تنوخ سكان بيوت الشعر ولا من العباد

والعباد شأن في تاريخ العراق قبل الاسلام وبعده وقد اختلف الناس في حقيقتهم فقال بعضهم ان المراد بهم نصارى الحيرة على الاجماع وهم في الاصل قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية في الحيرة . ولما صارت النصرانية في اواسط القرن الخامس ثلاث كنائس الملكية واليمقوبية والنسطورية كانت النسطورية من حظ المشاركة على الخصوص في العراق وفارس والعباد من جماتهم . وابتنوا في الحيرة بيعة كبرى لهذه الطائفة تولاهما عدة اساقفة وزادت اهميتها على الخصوص بعد ان تنصر ملوكها يدل على ذلك كثرة ما بنوه من البيع والاديار حتى النساء فقد كانت لهن عناية في انشاء المعاهد الدينية اشهرها دير هند الكبرى في الحيرة بنته هند أم الملك عمرو بن المنذر المعروف بعمر بن هند وكان على صدر الدير نقش هذا نصه :

« بنت هذه البيمة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وأم الملك عمرو بن المنذر امة المسيح وأم عبده وبنت عبيده في ملك ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمن مار افريم الاسقف . قالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر لها خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها ويقومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر »

ودير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر . وللنصرانية في الحيرة تاريخ ليس هذا محله ولايضاح تاريخ ملوك الحيرة نذكر تسلسلهم في جدول ثم تأتي على اعمال كل منهم على حدة :

ملوك الحيرة آل نصر حسب تسلسلهم غير الدخلاء

عمرو بن عدي
 امرؤ القيس بن عمرو
 عمرو بن امرئ القيس
 امرؤ القيس بن عمرو
 النعمان الأعور بن امرئ القيس

المنذر بن النعمان	امرؤ القيس
المنذر	المنذر بن ماء السماء
الاسود	المنذر
النعمان	قابوس
	المنذر
	المنذر (ابو قابوس)
	المنذر (المغرور)

ملوك الحيرة

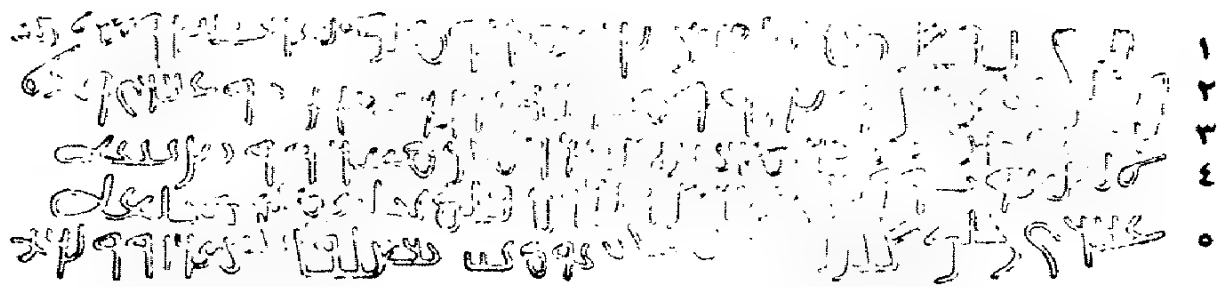
(١) عمرو بن عدي من سنة ٢٦٨ - ٢٨٨ م

هو ابن عدي بن نصر من لحم تولى عدي شراب جذيمة الابرش في اثناء دولته . وكان لجذيمة اخت اسمها رقاش احبت الشاب واحتالت في تزوجه وتواطأت معه على ان يسقي أخاها حتى يسكر ثم يخطبها ففعل فاجابه جذيمة وهو سكران فلما صحا ندمت وخاف عدي فهرب . ووضعت رقاش غلاماً جميلاً جاء به بعضهم الى جذيمة فاجبه بلحاله وذكائه وصباه عمرأ . ولما كان ما كان من أمر الزباء وقتلت جذيمة قام ابن اخته عمرو المذكور مقامه وأخذ بثأر خاله بحيلة على يد رجل من لحم اسمه قصير حتى قتلها في حديث طويل جاء فيه كثير من الامثال القديمة (١) واتخذ عمرو الحيرة منزلاً خاصاً به وباهل دولته في أوائل الدولة الساسانية فناصر سابور الاول والبهرامات الثلاثة

(١) ابن الاثير ١٤٩ ج ١

(٢) امرؤ القيس بن عمرو من سنة ٢٨٨ — ٣٢٨ م

وهو امرؤ القيس الاول بن عمرو بن عدي وبسمونه البدء وقد اتسع سلطانه وطالت مدة حكمه وبالغ العرب فيها فعملها بعضهم مئة سنة وبعض المئة وهي لا تزيد على اربعين سنة . وامرؤ القيس هذا أول من وقف النقبابون على اسمه من ملوك لخم منقوشاً على قبره وفيه تاريخ رفاقه — وذلك ان دوسو المستشرق الفرنسي عثر في خرائب النخاعة التي ذكرناها بين آثار الغسانيين في حوران على حجر من الباسليت مربع الشكل مساحته ٤٠ ٤٠ متر في ٣٠ ٣٠ متر أصله من انقاض قبر قديم وهو القبة العليا من ذلك القبر . وعليه خمسة أسطر منقوشة بالحرف النبطي واللسان العربي الشمالي وليس باللغة الحميرية أو الحرف المسند كما ينتظر لو ان آل نصر من بني قحطان كما يقولون . بل هي منقوشة باللغة العربية الشمالية أو لغة عدنان كما كانت في ذلك الحين أي في اوائل القرن الرابع للميلاد وبالحرف النبطي الذي كان يكتب به عرب الشمال . وهذه اقدم كتابة عربية شمالية قرأوها منقوشة على الآثار طولها متر و١٦ سنتراً في ٣٣ سنتراً هذه صورتها :



ش ٢٩ - كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرؤ القيس بن عمرو

وهذا نصها بالحرف العربي كل سطر على حدة :

- ١ تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج
 - ٢ وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء
 - ٣ بزجو (?) في حبس نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
 - ٤ الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
 - ٥ عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده
- هذا لسان عربي تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضاح . ففيها من الالفاظ

الآرامية أو النبطية « تي » أي هذا و « نفس » قبر و « بر » ابن و « عكدي » اليوم وكان العرب يومئذ في دور الانتقال لاستخدام لغتهم بدل اللغة الآرامية للكتابات الرسمية . وإذا نظرت في صورة الخط نفسها رأيته في أول دور الانتقال أيضاً من الشكل النبطي الى الشكل العربي . لان الخط العربي الشائع ينشأ الآن متحول عن الحرف النبطي الذي كان شائعاً في مملكة الانباط ^(١) وقد نشرنا امثلة منه في ما تقدم وتفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى هو :

- ١ هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد التاج
- ٢ واخضع قبياتي اسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد
- ٣ الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر واخضع ممدًا واستعمل بنيه
- ٤ على انقبائل وابائهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه
- ٥ الى اليوم . توفي سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من ايلول (سبتمبر) وفق بنوه للسعادة وكان أهل الشام وهوران وما يليهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم البصري نسبة الى بصرى عاصمة حوران وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد فاذا اضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ للميلاد وهي السنة التي توفي فيها هذا الملك

فامرؤ القيس المذكور يرجح انه ملك الحيرة الذي نحن في صددہ لاننا لا نعرف ملكاً بهذا الاسم عاش نحو ذلك الزمن . ويرى الموسيو كليرمون غانو المستشرق الفرنسي ان لفظ التاج كاف وحده للدلالة على علاقته بالفرس وان وجدوا قبره في حوران وهي تابعة لاروم لان لقب « ذي التاج » من القاب ملوك الحيرة . وأما وجود قبره في حوران بعيداً عن الحيرة فلعل سببه ان سلطته امتدت على قبائل العرب في بادية الشام والعراق واقواها يومئذ معد وأسد ونزار ومذحج . ويظهر انه حارب شمر وعش صاحب حمير وهو معاصر له (راجع قائمة ملوك حمير) وولى أولاده على تلك الاعمال كما ذكر على قبره . ويؤيد ذلك قول العرب « ان امرئ القيس كان عاملاً للفرس على مذحج من ربيعة ومضر وعلى سائر بادية العراق والجزيرة والحجاز » ^(٢) ولعله جاء الى حوران في مهمة أو شأن وتوفي فيها فبنوا له قبراً دفنوه فيه . بنوا قبره في أرض رومانية وكتبوا عليها بالحرف النبطي قلم تلك الولاية وارخوه بتاريخها مما يدل على علائق ودية كانت بينه وبين الشام ^(٣) وعاصر امرؤ القيس من ملوك الفرس بهرام

(١) تاريخ المدن الاسلامي ٥٤ ج ٣ (طبعة رابعة) (٢) ابن خلدون ١٧١ ج ٢

(٣) Dussaud, 37

الثالث وزمي وهرمز بن زمي وسابور ذا الاكتاف

(٣) عمرو بن امرئ القيس من ٣٢٨ — ٣٧٧ م

ولما توفي امرؤ القيس بن عمرو خلفه ابنه عمرو بن امرئ القيس وامه هند بنت كعب بن عمرو وطالت مدة حكمه نحو نصف قرن فعاصر ذا الاكتاف معظم حكمه ولا نعرف عنه شيئاً كأن أيامه كانت أيام سلم ورخاء فلم يذكره التاريخ - وأقل الناس ذكراً في التاريخ أقربهم الى السعادة

(٤) اوس بن قلام من ٣٧٧ -- ٣٨٢ م

هذا دخيل في دولة آل نصر ليس له نسب فيهم . حكم خمس سنين في أيام اردشير ابن سابور حتى قتله احد بني نصر فعادت حكومة الحيرة اليهم

(٥) امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس من ٣٨٢ — ٤٠٣ م

ويعرف بامرئ القيس البدن وهو محرق الاول لانه اول من عاقب بالنار وحكم ٢١ سنة في أيام سابور بن سابور وبهرام بن سابور وزدجرد الاول وليس لنا من أخباره ما يستحق الذكر

(٦) النعمان بن امرئ القيس الاعور السامح من ٤٠٣ — ٤٣١ م

هو من أشهر ملوك الحيرة حكم ٢٨ سنة عاصر فيها من ملوك الفرس يزيدجرد الاول وبهرام جور . وكان من أشد ملوك العرب نكالية في أعدائه وابعدهم مغاراً . غزا الشام مراراً واكثر من المصائب في أهلها وسبي وغنم وجند الجند على نظام عرف به . وكان عنده من الجيش كنيبتان احدهما مؤلفة من رجال الفرس اسمها الشهباء والاخرى من تنوخ اسمها دوسر فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب . وكان صارماً حازماً ضابطاً لملكه واجتمع له من الاموال والرقيق والحول ما لم يملكه أحد من ملوك الحيرة

وكانت الحيرة على شاطئ الفرات والفرات يدنو من اطراف البر حتى يقرب من النجف فلما تبسط النعمان في العيش رأى أن يتخذ مجلساً عالياً يشرف منه على المدينة فالتخذ الحورنق على مرتفع يشرف على النجف وما يايه من النخل والبساتين والجنان والانهار مما يلي المغرب وعلى الفرات مما يلي المشرق . فاعجبه ما رأى في البر من الخضرة والنور والانهار الجارية ولقاط الكأة ورعي الابل وصيد الظباء والارانب . وفي الفرات من الملاحين والفواصين وصياد السمك وفي الحيرة من الاموال والحول من يوج فيها من رعيه . فذكر في ذلك وقال في نفسه «أي درك في هذا الذي قد

ملكته اليه وملكه غداً غيري » فبعث الى حجابيه نجاهم عن بابه فلما جن الليل التحف كساءه زساح في الارض فلم يره أحد . وفيه يقول عدي بن زيد يخطب النعمان بن المنذر الآتي ذكره :

وتدبر رب الخورنق اذا شرف يوماً ولاهدى تفكير
سرته حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبطة حي الى الممات يصير

وقد ذكروا من حديث بناء الخورنق ما هو مشهور متناقل نبي حديث ستمار الذي بناه وكيف قتله حتى لا يبني سواه

وكان النعمان هذا متزوجاً الى زهير بن قيس بن جذيمة من بني عيس فارسل الى حميه المذكور يستزيره بعض أولاده فارسل ابنه شاساً فآكرمه النعمان واعطاه مالا وطيباً فلما رجع شاس يريد قومه قتله في الطريق رباح بن الاشمل الغنوي وأخذ ما كان معه . وعلم أبوه فحمل عليهم فخصات معركة عرفت بيوم رحرخان سيأتي ذكرها في كلامنا على أيام العرب

(٧) المنذر بن النعمان بن امرئ القيس من ٤٣١ - ٤٧٣ م

ذكر حمزة هذا المنذر وقال ان أمه هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو القسائي وانه حكم ٤٤ سنة وذكر ملوك فارس الذين عاصروهم وهم بهرام جور بن يزدجرد الاثيم ويزدجرد بن بهرام وفيروز بن يزدجرد . ومع ذلك فهم يقولون انه تولى تربية بهرام جور دفعه اليه أبوه يزدجرد الاثيم ليربيه من الرضاعة فلما بلغ خمس سنين احضر له مؤدبين علموه الكتابة والرمي والفقه بطلب من بهرام بذلك واحضر له حكماً من حكماء الفرس فوعى كل ما علمه فلما بلغ ١٢ سنة فاق معلميه فامرهم المنذر بالانصراف واحضر معلمي الفروسية فاخذ عنهم كل ما ينبغي له ثم صرفهم وأمر فاحضرت خيل العرب للسباق فعلمه ركوب الخيل والرمي والصيد وغير ذلك فاقبل على اللهو والتلذذ فمات أبوه وهو عند المنذر . فتعاهد العظماء وأهل الشرف على ان لا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد لسوء سيرته ونشوء بهرام عند العرب وتخلقه باخلاقيهم وملكوا رجلاً من عقب اردشير بن بابك فاستنصر بهرام بالمنذر فنصره ورد اليه الملك بالسيف وأطاعه الجميع في حديث طويل (١) والكنه ظل على لهوه حتى طمع به ملك الترك فعاد الى رشده ومار بهم وغلبهم

والمنذر هذا فضل على بهرام جور وعلى أبيه يزدجرد لانه أطاعه في حروب كثيرة

ومن جعلتها حرب مع الروم . وذلك ان يزدجرد اضطهد النصارى في بلاده وجاراه ابنه بهرام جور فنهض الروم لنصرة النصارى أو هي ذريعة للحرب طمعاً بالفتح على عادة الطامعين من دول أوربا في الشرق . ولا يزال ذلك دأبهم الى اليوم - فانتشبت الحرب بين الدولتين وحاصر الروم نصيبين فاستنصر بهرام المنذر فلباه ووعد ان يكتسح له سوريا أيضاً وقد فعل وبألف رجاله في النهب والقتل . فلما بلغ خبر ذلك الى القسطنطينية وقع الرعب في قلوب الروم وعمدوا الى الصلاة والاستعاذة بالله من ذلك الاسد العربي . ولو دخل الفرس عاصمة النصرانية يومئذ لتغير وجه أوربا كما تغير لما فتحها الهمانيون بعد ذلك بذيئف وألف سنة . ولكن أوربا نجت يومئذ باضطراب وقع في معسكر المنذر اضطره الى عقد الصلح

(٨) الاسود بن المنذر بن النعمان ٤٧٣ - ٤٩٣ م

اشتهر هذا الملك بمركة حارب بها الفساسنة واسر عدة من ملوكهم ثم أراد ان يهفو عنهم وكان له ابن عم اسمه أبو اذينة قد قتل آل غسان له اخاً في بعض الوقائع فقال أبو اذينة في ذلك قصيدة يفري بها الاسود على قتلهم مطلعها :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا
وانصف الناس من ان فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول مقتضيا

الى ان قال :

والغفو الا عن الاكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا
قتلت عمرأ وتسبقني يزيد لقد رأيت رأياً يحجر الويل والحربا
لا تقطن ذنب الافى وترسلها ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا^(١)

فقتلهم

(٩) المنذر بن المنذر أخوه ٤٩٣ - ٥٠٠ م - ليس له حوادث تستحق الذكر

(١٠) النعمان بن الاسود ٥٠٠ - ٥٠٤ م

لم يورد له العرب خبراً هاماً ولكن جاء في كتب اليونان انه قضى مدة حكمه الصغيرة وهو خارج الحيرة يحارب الروم في سوريا والجزيرة وابلى بلاءً حسناً . وفي ايامه تعدى بكر وتغلب على حدود العراق فجرد النعمان المذكور اليهم فلم يقو عليهم وقتل من أهله كثيرين ولم يحضر المعركة بنفسه ولكنه مات في ذلك العام وهو محاصر الرها مع قباز وهي ممتمة عليهم وينسب مؤرخو النصرانية وفاته الى معجزة دينية^(٢) وكان معاصراً لقباز والد كسري انوشروان

(١١) علقمة أبو يعفر ٥٠٤ - ٥٠٧ م

كان معاصراً لقباذ وهو من غير آل نصر وليس له خبر يستحق الذكر
(١٢) امرؤ القيس بن النعمان ٥٠٧ - ٥١٤ م - شأنه مثل شأن علقمة

(١٣) المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء ٥١٤ - ٥٦٣ م

هو أشهر ملوك الحمْ والحمْ واكثرهم عملاً لانه عاصر من ملوك الفرس قباذ المذكور وابنه انوشروان ومن قياصرة الروم يوستنيانوس ومن الغساسنة الحارث بن جبلة وكلهم من كبار الرجال اجتمعوا في عصر واحد . وفي أيامه فتح الاحباش بلاد اليمن على يد ابرهة وكان المنذر في جملة الوفود على ابرهة كما تقدم وهو صاحب يوم اباغ افضت سيادة الحيرة الى المنذر المذكور في أواسط حكم قباذ وظهر في اثناء ذلك مذهب مزدك وغاياته الاشتراك في الاموال والاشياء . وكان أعيان الفرس واصرافهم قد احرزوا اموالاً طائلة وبجوهرات وبقارات لا تقدر - قالوا : فاراد قباذ ان يستعين بهذا المذهب على مشاركتهم فيها فانخله وتعصب لصاحبه وحمل رجاله عليه ومنهم من أطاع ومنهم من أبى والمنذر من جملة الذين اكبروا هذه البدعة فلم يتبعها . وكانت دولة كندة الآتي ذكرها قد ظهرت وتوالى منها بضعة ملوك منهم الحارث بن عمرو ابن حنجر الكندي وكان معاصراً لقباذ والمنذر . وملوك كندة يومئذ ينافسون اللخمين في السيادة على عرب الشمال كما ينافسون الغسانيون . وكان الحارث الكندي المذكور يتقرب من الالكاسرة لفرصة ينتمى لها لتأييد سلطته وهم يدافعونه أو يسايرونه حتى اذا تغير قباذ على المنذر تصدى الحارث للولاية فولاه قباذ الحيرة واخرج المنذر منها فظل مختبئاً بقية أيام قباذ فلما تولى انوشروان وكان على غير رأي والده اقبل عليه المنذر فرحب به ثم أعاده الى منصبه بعد ان قتل مزدك وهرب الحارث ونجا . واصلاح انوشروان ما أفسده ابوه ومزدك (١)

وقد ذكرنا في تاريخ الحارث بن جبلة الغساني ما كان من حروبه مع المنذر المذكور في يوم اباغ وغيره . وهو صاحب الغريين ويومي البؤس والنعيم . وذكرنا في سبب ذلك انه كان للمنذر نديمان من بني اسد ثملاً فراجعا الملك مرة في بعض كلامه قامر وهو سكران فحفروا لهما حفرتين في ظهر الحيرة ودفنوهما حينئذ . فلما صحا ندم وامر ببناء صومعتين عليهما واقسم لا يمر أحد من وفود العرب الا بيدهما . وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويطي بدمه الصومعتين

ويحسن الى من يأتيه في يوم النعم . ولبث على ذلك برهة من الدهر حتى جاء عبيد
ابن الابرص الاسدي الشاعر ممتدحاً واتفق قدومه يوم البؤس فشق على المنذر قتله
ولم يرَ بدءاً من البر بقسمه في حديث لطيف لا محل له هنا (١)

وفي رواية أخرى ان الذي أناء في يوم البؤس حنظلة بن أبي عفراء ولما علم بقرب
اجله استعمل الملك ريثما يعود الى أهله وكفله رجل من خاصة المنذر حتى عاد وكان
لرجوعه ووفائه تأثير على المنذر حتى ابطال هذه المادة (٢) . وقال بعضهم ان النعمان
تنصر لهذا السبب ولقول حنظلة انه أناء حمله على الوفاء النصرانية - وتشبه هذه القصة
قصة يونانية عن رجل يوناني اسمه دامون من أصحاب فيثاغورس وتابعي مذهبه كان له
صديق من هذا المذهب اسمه قنطياس حكم عليه ديونيسيوس الاول صاحب سرقوسة
بالاعدام لهمة وجهت اليه فالتمس الرجوع الى أهله يقضي عندهم اياماً يدبر بها شؤونهم
ثم يعود لتنفيذ الحكم فطلبوا من يضمه فتصدى صديقه دامون وضمه . ثم وفي
قنطياس وعده وعاد قبل الموعد بيوم واحد فأعجب ديونيسيوس باريحية دامون ووفاء
قنطياس فعفا عنهما وقرَّبهما اليه وجعلهما من خاصته . وللمنذر بن ماء السماء يوم مشهور
بين أيام العرب يعرف بيوم اواراة بينه وبين بكر بن وائل سيأتي ذكره في أيام العرب
(١٤) الحارث بن عمرو الكندي - جاء خبره في اثناء خبر المنذر بن ماء السماء
ومدة حكمه داخله في مدة حكم المنذر

(١٥) عمرو بن هند مضرط الحجارة من ٥٦٣ - ٥٧٨ م

هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ويسمونه المحرق الثاني ويعرف باسم امه هند
بنت عمه امرئ القيس الشاعر الشهير ولدت للمنذر عمراً هذا وقابوساً . وكان عمرو
شديد السلطان وقد غزا بني نعيم في دارهم وقتل من بني دارم كثيرين يوم اواراة الثاني
وبالغ بالعظمة والكبرياء حتى توهم في نفسه الفضل على الناس كلهم وخيل له انه ليس
من أمير في العرب لا يخدمه ويتمنى رضاه وكانت تلك الدعوى سبب قتله - وذلك انه
قال يوماً لجلسائه « هل تعرفون أحداً من أهل مملكتي يأتي ان تخدم امه امي »
قالوا « ما نعرفه الا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي فان امه ليلى بنت مهمل بن ربيعة
وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو » . فسكت مضرط الحجارة على ما في
نفسه وبث الى ابن كلثوم يستزيره ويأمره ان يهرور امه . فقدم ابن كلثوم في
فرسان من تغلب ومعه امه ليلى فنزل على شاطئ الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه

قامر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وصنع طعاماً دعا اليه وجوه أهل دولته فقرب لهم الطعام على باب السرادق وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ولامه هند قبة في جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة وكان مضط الحجارة قد قال لامه « اذا فرغ الناس من الطعام ولم تبق الا الطرف نحي خدمك عنك فاذا دنت الطرف استخدي ليلى » ففعلت . فلما استدعى الطرف قالت هند لليلى « ناوليني ذلك الطبق » قالت « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فألحت عليها فقالت ليلى « وا ذلاه يا آل تغلب » فسمعها ولدها ابن كلثوم فثار الدم في عروقه والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه ونهض ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فاخذه وضرب به مضط الحجارة فقتله وخرج قتادى يا آل تغلب فاتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء ولحقوا بالحيرة . وعاصر عمرو المذكور كسرى انوشروان

(١٦) قابوس بن المنذر ٥٧٨ - ٥٨١ م

هو اخو عمرو المتقدم ذكره وكان ضعيفاً وفيه لين وسموه قننة العرس وله مع بني يربوع يوم طخفة وسيأتي خبره

(١٧) فيشهرت (أو زيد) ٥٨١ - ٥٨٢ م ليس له خبر يذكر

(١٨) المنذر بن المنذر بن ماء السماء ٥٨٢ - ٥٨٥ م

هو صاحب يوم حليلة الذي تقدم ذكره

(١٩) النعمان بن المنذر ابو قابوس ٥٨٥ - ٦١٣ م

كان معاصراً لهرمز الرابع وكسرى برويز وبلغت الدولة في أيامه منتهى الترف والرخاء اقتداء بالفرس . وبعد ان كان الاكامرة في أوائل الدولة يسحبون بنشاط العرب وانقمهم ويسعدون البهم بتربية اولادهم وتنقيفهم اصبح هؤلاء يسعدون بتربية اولادهم الى آخرين . وذلك أن المنذر بن المنذر والد النعمان المذكور عهد بتربيته الى رجل من عباد الحيرة اسمه عدي بن زيد وكان المنذر ١٢ ولداً يسمون الاشاهب وكان النعمان من بينهم احمر ابرش قصيراً وكان قابوس عم النعمان قد بعث الى انوشروان بعدي بن زيد واخوته وهم من أهل السكتابة يعرفون الفارسية والعربية فكانوا في جملة كتابه ومترجيه . فلما مات المنذر والد النعمان اقام على ولده رجلاً من طيء اسمه اياس بن قبيصة وجعل امره كله بين يديه وفكر انوشروان في من يملكه على العرب بعد المنذر المتوفى وشاور عدي بن زيد المذكور واستنصحه في بني المنذر فاشار عليه بالنعمان

وكان في خاصة ملك الفرس رجل آخر من بني مرينا اسمه عدي ايضاً وكان هواه مع أخ النعمان اسمه الاسود فسأه انتخاب النعمان للملك وعزم على الكيد به وبعدي بن زيد وحرص الاسود على ذلك واخذ هو يسمى سرّاً مكرّاً بعدي لدى النعمان نفسه بالاغتياب والوشاية واسترضاء الحاشية حتى أضغى النعمان عليه وكان عدي يومئذ في المدائن عند كسرى والنعمان في الحيرة . فبعث النعمان يستنزيه فاستأذن كسرى بذلك ونزل الحيرة فامر النعمان بحبسه فجعل عدي يقول الشعر فبلغ النعمان قوله فقدم على حبسه وخاف منه اذا أطلقه . وبلغ كسرى حال عدي فكتب الى النعمان ان يطلقه . وعلم النعمان بالرسالة قبل وصول الرسول فشاور أصحابه فخوفوه من اطلاقه فبعث اليه جماعة خنقوه ودفنوه . وكان الرسول قد رآه في السجن قبل وصوله الى النعمان فلما ادى الرسالة قال له النعمان اذهب الى السجن نخذه ف قيل له انه مات منذ ايام فلم اهتم غدروا به وقتلوه فعاد الى النعمان بذلك فرشاه واستوثقه ان لا يقول لكسرى وقد قدم على ما فرط منه

ورأى النعمان ابناً لعدي اسمه زيد فاراد أن يكرمه تكفيراً عن اساءته لايه فطلب اليه زيد أن يسعى له عند كسرى ليجمعه مكان أبيه ففعل فتقرب زيد من كسرى وفي نفسه شيء على النعمان يضمه ويظهر الثناء عليه ويتقرب الفرص . فاتفق ان كسرى احتاج الى نساء تزوج اولاده فلما اشار عليه زيد ان يطلب من النعمان بعض بنات عمه واثني على جمالهن وهو يعلم أن النعمان يرضى بذلك فكلفه كسرى أن يسير في طلبهن وانفذ معه سفيراً يعرف العربية ليرفع جواب النعمان

فلما دخل زيد والرسول على النعمان افهاماه ما طلبه كسرى فشق ذلك عليه فقال « ما في عين السواد وفارس ما تبلغون به حاجتكم ؟ » فسأل الرسول زيدا عن معنى لفظ « عين » فقال « البقر » فلما عاد الى كسرى اخبراه بما قاله فغضب لقوله « ما في بقر السواد ما يكفيه » وسكت اشهرًا ثم بعث يستقدمه اليه . وبلغ النعمان غضبه فاخذ سلاحه وما استطاع حمله ولحق بجبلي طيء وكان متزوجاً اليهم وطلب منهم أن يمنعوه قابوا عليه خوفاً من كسرى . فاقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل في ذي قار على بني شيبان سرّاً فلقى هناك هاني بن مسعود الشيباني وكان سيداً منيعاً فاودعه اهله وماله وفيه ٤٠٠ درع وتوجه الى كسرى فلما وصل الى بابه بعث اليه من قيده وارسله مخفوراً الى خانقين وحبسه فيها حتى جاء الطاءون فمات فيه سنة ٦١٣ م ويقول بعضهم ان النعمان هذا هو صاحب الغريين وانه كان يعبد الوثن فتنصر على يد عدي بن زيد المذكور . وانه باني تقاطر النعمان قرب قرميسين والغالب انها من بناء الاكاسرة

وهو صاحب يوم طخفة ويوم السلان . الاول بينه وبين بني يربوع وسبب يوم طخفة ان الردافة وهي بمنزلة الوزارة والرديف يجلس عن يمين الملك كانت ابني يربوع من تميم بتوارثونها صغيراً عن كبير . فلما كانت ايام النعمان وقيل ايام ابنه المنذر سألها حاجب بن زرارة الدارمي التميمي النعمان ابني دارم فقال النعمان ابني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم اسفل طخفة فلما امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوساً ابنه وحساناً اخاه على أن يكون قابوس على الناس وحسان على المقدمة وضم اليهما جيشاً كثيفاً فيهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم فساروا حتى اتوا طخفة فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا وصبرت يربوع وانهمزم قابوس ومن معه وضرب طارق ابو عميرة فرس قابوس فمقره وامره وأراد ان يحجز ناصيته فقال قابوس ان الملوك لا تجز نواصيها فارسله . واما حسان فامر به بشر بن عمرو بن جوين فمن عليه وارسله فعاد المنهمزون الى النعمان . وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك فقال له يا شهاب ادرك ابني وأخني قال ادركتهما حين فلبني يربوع حكمهم وارد عليهم رفادتهم وأترك لهم من قتلوا وما غنموا واعطيهم ألفي دينار . فسار شهاب فوجدهما حين فاطلقهما ووفى الملك ابني يربوع بما قال ولم يعرض لهم في ردافتهم وقال مالك بن نورة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما رأى القوم منه الموت والخيال تلجب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه جراز من الهندي ابيض مقضب
طلبنا بها انا مداريك نيلها اذا طلب الشأو البعيد المغرب

ويوم السلان بين النعمان المذكور وبني عامر بن صمصمة وسببه ان كسرى برويز كان يجهز كل سنة لطيمة (قافلة تجارية) تباع بمكاظ فغزا بنو عامر لطيمة منها في بعض السنين فغضب النعمان واستنفر أخاه لأمه وبرة بن رومانوس السكابي وارسل الى بني تميم فجمعهم وجهز معهم عيراً وقال لهم اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم فاقصدوا بني عامر فانهم قريبون بنواحي السلان . فخرجوا وكتبوا أمرهم وقالوا خرجنا لئلا يمرض أحد للطيمة الملك . فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قریش بحالهم فارسل عبد الله بن جدعان قاصداً الى بني عامر يعلمهم الخبر فسار اليهم واخبرهم خبرهم فخذروا وتهايأوا للحرب ونحذروا ووضوا العيون وعاد عليهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة وافبل الجيش فالتقوا بالسلان فاقتتلوا قتالاً شديداً وعادت العائدة على جيش النعمان ^(١)

(٢٠) اياس بن قبيصة من سنة ٦١٣ — ٦١٨ م

فلما مات النعمان استعمل كسرى اياس من قبيصة الطائي مكانه وأمره ان يجمع ما خلفه النعمان ويرسله اليه فبعث اياس الى هاني بن مسعود برسالة ما استودعه النعمان فاقبى فغضب كسرى فاشار عليه أحد اعداء شيبان وسائر بكر بن وائل ان ينتظر ريثما ينزلون ذي قار فيبعث من يأخذهم بالقوة . فصبر كسرى حتى نزلوا المكان فبعث اليهم ان يسلموا ما خلفه النعمان عندهم أو الحرب فاخثاروا الحرب فحمل عليهم اياس بن قبيصة ومعه جند الفرس والعرب واياك بالافياء والعدة الثقيلة . أما هاني بن مسعود ففرق سلاح النعمان في رجاله وعزم على الفرار خوفاً من كثرة جند الفرس . فاعترضه رجل من عجل اسمه حنظلة بن ثعلبة وقال « يا هاني اردت نجاتنا فالقينا في الهلكة » فرد الناس وقطع وضمن الهوادج (احزمتها) وضرب على نفسه قبة واقسم لا يفر حتى تفر القبة فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر فلهزم الفرس بصفوفهم وخيولهم وثبت العرب ثباتاً جميلاً فانتصروا وفر الفرس مع كثرة عددهم سنة ٣ للهجرة وتعرف هذه الواقعة في تاريخ العرب بيوم ذي قار وقد انتصف فيه العرب من المعجم وتعمت سائر العرب على اياس

(٢١) زاديه من ٦١٨ — ٦٢٨ م ليس له خبر يذكر

(٢٢) المنذر بن النعمان المنصور ٦٢٨ — ٦٣٢ م

هو آخر ملوك الحيرة قتل في البحرين يوم جوائناً وليس له من الاعمال ما يستحق الذكر

مباح - بادية المحميين

كان في بادية الشام والعراق والجزيرة والحجاز والبحرين ونجد قبائل كثيرة من البدو أهل الرحلة أكثرهم من عدنان يتولاهم امراءهم أو مشائخهم بلا دولة أو جند ولا حصون أو قلاع الا نادراً وأما فلاحهم شجاعتهم وبدائتهم . وكانت الدول المتحضرة تستعين بهم في حروبهم كما تقدم . فتسابق الغساسنة والمناذرة الى ادخالهم في رعايتهم وكل منهما تنتمي الى دولة كبرى الغساسنة للروم والمناذرة للفرس . ونشأت في اثناء ذلك دولة كندة التي ذكرها وهي تنتمي الى حمير وكانت تنازعها تلك السيادة . فاصبح عرب الشمال يتنازع السيادة عليهم ثلاث دول عربية تتناوب الفوز في ذلك على مقتضى الاحوال

وكانت قبائل البدو من الجهة الاخرى ترغب في الدخول تحت حماية احدي تلك

الدول لما فطر عليه أهل البادية من التنازع والتغازي والتخاصم . فكانت كل قبيلة تسعى في الانضمام الى دولة تستجدها أو تلجأ الى جندها عند الحاجة وقد يتسابق بعضهم الى التقرب منها للتفاخر بخدمةها كما كان بنو يربوع يتفاخرون بردافة ملوك الحيرة . وكان لكل دولة من تلك الدول صنائع ووضائع والصنائع من كانوا يصطنعونها من القبائل للغزو به والوضائع كالماشائخ . ومرت برهة من الدهر كان فيها الانتماء الى احدى تلك الدول كالفرض الواجب فمن لا ينتمي الى احداها سموه « الاحمس » والجمع الحمس . وأشهر الحمس في الجاهلية حمس قریش فكانوا لقاحاً لا يدينون الملوك ^(١)

وكانت تلك القبائل أكثر احتسكا بدولة اللخمين مما بالفسائنة وأكثر تعظيماً لامرها وتهيباً منها . فكانوا اشد رغبة في الانضمام اليها والدخول في رعايتها فاتسع سلطان اللخمين اتساعاً كبيراً ولا سيما في ابلان سطوة الفرس وضعف الروم . وقد رأيت مبلغ ذلك في أيام امرىء القيس بن عمرو صاحب قبر النمارة فانها شملت معظم القسم الشمالي من جزيرة العرب وبعض جنوبها . ثم احتلفت بعد ذلك مما لا يتيسر حصره أو تحديده ولكننا نعلم ان مجالسهم كانت مرجع المستعجدين وميدان الشعراء والمادحين . ومن شعرائهم النابغة وحسان والمثلث والمنخل ولهم مع الشعراء وقائع تدخل في مجلد كبير

ديانهم

واختلفوا في ديانة ملوك الحيرة فمن قائل انهم تنصروا على عهد امرىء القيس الاول بن عمرو في أوائل القرن الرابع وقائل ان أول من تنصر النعمان بن المنذر في آخر القرن السادس وبينهما أقوال كثيرة لا سبيل الى تحقيقها لاختلاف القائلين فيها مثل اختلافهم في عدد الملوك وفي تماثيلهم وسني حكمهم

على اننا نرى في سجل الكنيسة الشرقية Synodicon Orientale ان الحيرة كان عليها اسقف سنة ٤١٠ وان ملكها حمى النصرانية سنة ٤٢٠ م ونرى من الجهة الاخرى ان النساطرة واليعاقبة اشتد جدالهم في أوائل القرن السادس للميلاد وتنافسوا في الرئاسة ففاز النساطرة . وملوك الحيرة كانوا الى أواسط القرن المذكور على الوثنية وان المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من البشر الى العزى ^(٢) وكان بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند مضطرب الحجارة

(١) ياقوت ٥١٩ ج ٣ ثوابن الاثير ٢٩٥ ج ١ (٢) Labourt, 109 & 206

كانت مسيحية فبثت مبادئ النصرانية في ابنها فنشأ نصرانياً ويؤيد ذلك ما نقشته على ديرها وقد ذكرناه

ولكن يظهر ان النصرانية لم تثبت بعد عمرو المذكور فلما مات رجع خليفته قابوس او المنذر بن المنذر الى الوثنية ونشأ ابنه النعمان فيها يذبح الاصنام حتى تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع^(١) ويقول العرب انه تنصر على يد عدي بن زيد^(٢) وقد يتفق القولان بان يكون عدي رغبه في النصرانية والجاثليق عمده

دولة كندة

كندة على قول العرب بطن من كهلان وحكمنا فيهم مثل حكمنا في سائر عرب الشمال في الطور الثاني وقد بسطناه . وأصلهم فيما رواه الثقات من البحرين والمشقر وأنهم اجلوا عنها الى حضرموت وعددهم ٣٠٠٠٠ نفس في زمن لا يمكن تحديده . وأقاموا هناك ما شاء الله في بلد يعرف باسمهم « كندة » مرتفع عن الارض يشرف على حضرموت وتصب اوديته فيه ثم الى مهرة وقصبته الكبرى اسمها دمون^(٣) . اقام السكنديون هناك دهرأ وهم على وفاق مع الحميريين حكام تلك البلاد . وكان الحميريون يستخدمون خاصة كندة وكبارهم في بعض مصالحهم ويدخلونهم في حاشيتهم أو بطانهم

واتفق على عهد حسان بن تبع ملك حمير ان حجر بن عمرو سيد كندة دخل في خدمته لقراية بينهما - لان حساناً وحجراً كانا اخوين لام واحدة . وقد ذكرنا ما كان من فتوح حسان في جزيرة العرب شمالاً وجنوباً وكان حجر معه . فلما أراد الرجوع الى اليمن رأى ان يختصه بكرامة فولاه قبائل معد كلها وهي كما علمت من قبائل البادية التي لا تجمعها دولة فولاه عليها ورجع الى بلده فدانت معه لحجر المذكور وهو حجر بن عمرو المعروف بأكل المرار^(٤)

وذكر اليعقوبي لزوح كندة عن حضرموت سبباً آخر قال انه وقع بني القبيلتين حروب طالت حتى كادت تفنيهما وكندة اضعفهما فرأت الرحيل من اليمن فصارت الى أرض معد فجاورتهم ثم ملكوا رجالاً منهم هو أول ملوكهم واسمه مرتع بن معاوية بن نور وخلفه آخر فأخبر كما ترى في هذا الجدول :

(١) Labourt, 207 (٢) ابن خلدون ١٧١ ج ٢ (٣) الهمداني ٨٨

(٤) ابن خلدون ٢٧٢ ج ٢

مدة الحكم

٢٠	مرتع بن معاوية بن ثور
٠٠	ثور بن مرتع . حكم مدة قصيرة
٠٠	معاوية بن ثور . » » »
٤٠	الحارث بن معاوية بن ثور
٣٠	وهب بن الحارث
٢٣	حجر بن عمرو آكل المرار
٤٠	عمرو بن حجر بن عمرو آكل المرار

الحارث بن عمرو بن حجر . كان معاصراً للمنذر بن ماء السماء وقد تقدم ذكره هذا ما ذكره اليعقوبي في تاريخه ولكن الأكثرين على أن أول من ملك كندة حجر بن عمرو آكل المرار ولعل هذا هو الصواب وإن المراد بمن ذكر قبله آبؤه . وفي كل حال ليس لأحدهم عمل مذكور وأول من ذكرت أعماله حجر بن عمرو وقالوا في سبب تملكه على العرب في نجد أن سفهاء بكر غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الأمر واكل القوي الضعيف فنظر العقلاء في أمرهم فرأوا أن يملكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي ورأوا مع ذلك أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم إذ لا يطيعه قوم ويخالفه آخرون . فاجتمعوا على أن يسيروا إلى تبسج اليمن (حسان) وكان التبابعة للعرب بمنزلة الخلفاء المسلمين وطلبوا إليه أن يولي عليهم ملكاً . وكان حجر المذكور ذا رأي ووجهة فولاه عليهم . ومع اختلاف الروايات في الصورة فإن المفزى واحد وهو أن دولة كندة تابعة لدولة حمير . فقدم حجر إلى نجد ونزل بطن عاقل وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ولا سيما بلاد بكر بن وائل فنهض حجر بهم وحارب اللخميين وانقذ أرض بكر منهم . فاجتمعت كلمة القوم على احترامه وما زال كذلك حتى مات ودفن في بطن عاقل.

ملوك كندة

فانضت الحكومة إلى ابنه عمرو بن حجر بن عمرو آكل المرار ويسمونه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو وكان شديد الملك واسع الصوت كبير المطامع وفي أيامه فتح الاحباش اليمن وأذهبوا دولة حمير فضعف

شأن كندة لأنها تنتمي إليها . فوجه الحارث التفاته الى بني لحم وكان يحسددهم على تقربهم من الاكاسرة وما زال يتربص الفرص حتى رأى تغير قباز على المنذر بن ماء السماء لسبب المزدكية كما تقدم فوافقه الحارث عليها وتولى الحيرة . فمظم في أعين القبائل واستضعفوا بني لحم وتوافدوا اليه وفيهم الاشراف من معد يهنتونه ويتقربون اليه بالطاعة وطلبوا منه ان يولي عليهم من ابناؤه من يحكمهم ليبطل ما قام بينهم من القتل مما ستره في كلامنا عن أيام العرب حتى كاد يقنيهم . ففرق فيهم أربعة من أولاده تولى كل منهم بعض تلك القبائل على هذه الصورة :

١ حجر بن الحارث تولى بني أسد بن جذيمة وغطفان

٢ شرحبيل بن الحارث » بكر بن وائل بأسرها

٣ معدي كرب » » قيس عيلان وطوائف غيرهم

٤ سلمة بن الحارث » تغلب والنمر بن قاسط

اما أبوهم الحارث فلم يطل سلطانه على الحيرة فها هو الا ان مات قباز وتولى انو شروان حتى ارحح المنذر وفر الحارث بماله وأولاده على الهجن فتبعه المنذر على الخيل من تغلب واياذ وبهراء فلاحق بارض كلب ونجا فانهبوا ماله وهبانه . وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المزار فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم في ديار بني مرينا وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوك من بني حجر بن عمرو يسافون العشي يقتلونا

فلو في يوم معركة اصبوا ولكن في ديار بني مرينا

ولم تغسل جاجهم بغسل ولكن في الدماء مرمينا

تظل الطير عاكفة عليهم وتنزع الحواجب والعيونا

اما الحارث فظل في بني كلب حتى قتل فيهم واختلفوا في سبب قتله . وبقي أولاده الاربعة على ما ملكوه ولكن موت أبيهم أضعف نفوذهم . وعمل المنذر صاحب الحيرة على الانتقام لنفسه فسعى في الافساد بينهم بالتحاسد على الهدايا وذلك انه وجه الى احدهم سلمة بن الحارث أمير تغلب بهدايا ودس الى أخيه شرحبيل من قال له » ان سلمة اكبر منك وهذه الهدايا تأتيه من المنذر لا فقطع الهدايا عنه ثم أغرى بينهما حتى تحاربا . فقتل شرحبيل في معركة تعرف بيوم الكلاب خرج كل منهما بمن تحت رعايته من قبائل عدنان واقتلوا فعادت المائدة على شرحبيل . وخاف الناس ان يخبروا أخاه

سامة بقتله فلما علم جزع جزعاً كثيراً وأدرك أن المنذر إنما أراد أن يقتل بعضهم بعضاً فاصبح لا يأمن على نفسه . وخرج من تغلب والتجأ الى بكر بن وائل فاذنعت له وحسدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك . فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فأبوا خلف ليسيرن اليهم فان ظفر بهم ليدبجهم على قمة جبل اوارة حتى يبلغ الدم الحضيض . وسار اليهم في جموعه فالتقوا باوارة فاقتلوا قتالاً شديداً واجلت الوافة عن هزيمة بكر واسر يزيد بن شرحبيل السكندي قامر المنذر بقتله فقتل وقتل في المعركة بشر كثير . واسر المنذر من بكر امرى كثيرة قامر بهم فذبحوا على جبل اوارة فجعل الدم يجمد فقليل له « ايت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه الارض لم يبلغ دمهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء » ففعل فسال الدم الى الحضيض . وامر بالنساء ان يحرقن بالنار . وتسمى هذه المعركة في تاريخ العرب يوم اوارة الاول . فلما قتل الاخوان سامة وشرحبيل وذهب سلطانهما أضعف ذلك نفوذ اخويهما الآخرين حجر صاحب بني اسد ومعدى كرب صاحب قيس عيلان . ورأى بنو اسد تضعع تلك الدولة فتذكروا بحجر ملكهم وساءت سيرته فيهم . فاجتمعوا على خلافه وبدأوا بنقض الطاعة وامسكوا عن اداء الاتاة وضربوا الحياة الذين أرسلهم في طلبها . فجعل عليهم حجر بجند من ربيعة فاعمل فيهم السيف وأباح الاموال وحبس الاشراف ومنهم عبيد بن الابرس الشاعر فقال شعراً يستعطفه فرق لهم فبعث في اطلاق سراحمهم فخرجوا وفي نفوسهم غلّ فلما وصلوا اليه قتلوه طمعاً وانهزم رجاله . وهو والد امرى القيس بن حجر الشاعر المشهور

وكان امرء القيس عند مقتل ابيه غائباً فلما علم بقتله رجع وهو يعلم عجزه عن الاخذ بثأره لان عدوه قوي وعلم ايضاً ان ذلك العدو اذا عرف مقره قبض عليه فقضى برهة من الدهر وهو يتجول متنكراً في اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل فلم يجره أحد حتى أتى السماول صاحب حصن الابلق فاستجاره فاجاره . فاستودعه ادراعه وامتنعته وهو لا يرى مرجعاً يستنصره على اعدائه الا قيصر الروم لان ملوك الحيرة عمال الفرس نصروا اعداءه على جاري عادة العرب في ذلك العهد اذا تظاهروا من احدى الدولتين استنصروا الاخرى . ولم يكن لامرء القيس سبيل الى القيصر فوسط الحارث بن ابي شمر الفسائي صاحب النفوذ عند الروم يومئذ وطلب اليه ان يوصله اليه ففعل فسار امرؤ القيس الى القيصر . ويقول العرب ان القيصر بعد ان اجاب دعوته وسمع مدائحهم وشي به احد بني اسد اعدائه وقال للقيصر « ان امرء القيس شتمك »

فصدق الوشاية والبس الشاعر حلة مسمومة قتلته ولا نعرف سماً يفعل هذا الفعل .
وفي كل حال ان امرء القيس قتل ولم يذل أرباً

وتضعفت دولة كندة ولم يبق من ملوكها غير معدي كرب على قيس عيلان
وامراء صغار لهم سيادة على بعض القبائل هي بقية نفوذ آبائهم . وربما حكم الواحد منهم
بلداً او وادياً . وأشهر فروع تلك الدولة أربعة في الاماكن الآتية (١) دومة الجندل
(٢) البحرين (٣) نجران (٤) غمرني كندة . وكل من هذه الفروع دولة صغيرة
قاعة بنفسها حتى ظهر الاسلام فذهبت جميعها

أما بداية هذه الدولة فاذا اعتبرنا اول ملوكها حجير بن عمرو آكل المرار فقد
توالى بعده أربعة من أعقابه فيهم امرؤ القيس الشاعر وكان معاصراً للحارث بن جبلة
الغساني المتوفى سنة ٥٦٩ م فاذا اعتبرنا وفاة امرئ القيس في وسط القرن السادس
سنة ٥٦٠ وحسبنا ما ذكرنا من مدات الحكم لحجير وابنه عمرو وجعلنا ما بعدها
على تلك النسبة يكون لنا القائمة الآتية عن زمن وفاة كل ملك كندة على وجه
التقريب :

حجير بن عمرو آكل المرار	توفي ٢٥٠ م
عمرو بن حجير بن عمرو	» ٤٩٠ »
الحارث بن عمرو معاصر ابن ماء السماء	» ٥٤٠ »
حجير بن الحارث والد امرئ القيس	» ٥٥٠ »
امرؤ القيس	» ٥٦٠ »

عرب الصفا

امم سبأية في الشمال

فالدول الثلاث التي ذكرناها انما هي نموذج للدول التي نشأت في شمالي جزيرة
العرب في اثناء الطور الثاني من عرب الشمال او الطبقة الثالثة من العرب . ولو لم تتحاك
بالروم او الفرس ويبقى منها بقية الى ظهور الاسلام حتى تناقل القوم خبرها ودونوا
ما علموه منها لذهبت آثارها في جملة ما ذهب من آثار الدول الاخرى . وبهض الدول
الذاهبة لا يرجى كشف أخبارها لانها لم تخلف آثاراً منقوشة واليهض الآخر خلفت
آثاراً تدل عليها فاذا كشفها الناقبون ودرسها الباحثون انجلت حقيقتها واطلعنا على تمة
أخبار العرب منها

وقد اخذ الناقبون يبحثون في شمالي جزيرة العرب من اواسط القرن الماضي ..
 وذكرونا ما وفقوا الى كشفه من النقوش النبطية والتدمرية وغيرها من الاقلام الآرامية.
 على انهم وفقوا ايضاً الى كشف نقوش حميرية هي فروع من القلم المسند (السبائي)
 يدل وجودها في شمالي جزيرة العرب على ان السبائيين والاعميين توطنوا هذا الجزء
 من الجزيرة او كان لهم فيه مستعمرات او فروع او محطات . وأهم ما وفقوا الى كشفه
 من تلك الآثار وجدوه في الحراء بجواز حوران وفي العلاء بجوار وادي القرى وفي
 اماكن أخرى وكلها تشترك بشكلها الحيري اي قلم المسند . ولكن بينها فروقاً تدل

القلم الصفوي القلم التمودي القلم اللحياني السبائي

ا	١	١	١	١	١
ب	٢	٢	٢	٢	٢
ج	٣	٣	٣	٣	٣
د	٤	٤	٤	٤	٤
هـ	٥	٥	٥	٥	٥
و	٦	٦	٦	٦	٦
ز	٧	٧	٧	٧	٧
ح	٨	٨	٨	٨	٨
ط	٩	٩	٩	٩	٩
ث	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
ج	١١	١١	١١	١١	١١
د	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢
هـ	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣
و	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤
ز	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥
ح	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦
ط	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧
ث	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨
ج	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩
د	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
هـ	٢١	٢١	٢١	٢١	٢١
و	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
ز	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣
ح	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤
ط	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥
ث	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦
ج	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
د	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
هـ	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩
و	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
ز	٣١	٣١	٣١	٣١	٣١
ح	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
ط	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣
ث	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤
ج	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥
د	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
هـ	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
و	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨
ز	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩
ح	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
ط	٤١	٤١	٤١	٤١	٤١
ث	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢
ج	٤٣	٤٣	٤٣	٤٣	٤٣
د	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤
هـ	٤٥	٤٥	٤٥	٤٥	٤٥
و	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦
ز	٤٧	٤٧	٤٧	٤٧	٤٧
ح	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
ط	٤٩	٤٩	٤٩	٤٩	٤٩
ث	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
ج	٥١	٥١	٥١	٥١	٥١
د	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢
هـ	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣
و	٥٤	٥٤	٥٤	٥٤	٥٤
ز	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥
ح	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦
ط	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧
ث	٥٨	٥٨	٥٨	٥٨	٥٨
ج	٥٩	٥٩	٥٩	٥٩	٥٩
د	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠
هـ	٦١	٦١	٦١	٦١	٦١
و	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢
ز	٦٣	٦٣	٦٣	٦٣	٦٣
ح	٦٤	٦٤	٦٤	٦٤	٦٤
ط	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥
ث	٦٦	٦٦	٦٦	٦٦	٦٦
ج	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧
د	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨
هـ	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩
و	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠
ز	٧١	٧١	٧١	٧١	٧١
ح	٧٢	٧٢	٧٢	٧٢	٧٢
ط	٧٣	٧٣	٧٣	٧٣	٧٣
ث	٧٤	٧٤	٧٤	٧٤	٧٤
ج	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥
د	٧٦	٧٦	٧٦	٧٦	٧٦
هـ	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧
و	٧٨	٧٨	٧٨	٧٨	٧٨
ز	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩
ح	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠
ط	٨١	٨١	٨١	٨١	٨١
ث	٨٢	٨٢	٨٢	٨٢	٨٢
ج	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣
د	٨٤	٨٤	٨٤	٨٤	٨٤
هـ	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥
و	٨٦	٨٦	٨٦	٨٦	٨٦
ز	٨٧	٨٧	٨٧	٨٧	٨٧
ح	٨٨	٨٨	٨٨	٨٨	٨٨
ط	٨٩	٨٩	٨٩	٨٩	٨٩
ث	٩٠	٩٠	٩٠	٩٠	٩٠
ج	٩١	٩١	٩١	٩١	٩١
د	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢
هـ	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
و	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤
ز	٩٥	٩٥	٩٥	٩٥	٩٥
ح	٩٦	٩٦	٩٦	٩٦	٩٦
ط	٩٧	٩٧	٩٧	٩٧	٩٧
ث	٩٨	٩٨	٩٨	٩٨	٩٨
ج	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩
د	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

على ان كلاً منها لامة مستقلة بأدابها وعاداتها عن الاخرى . وقد سموها كل قلم منها باسم خاص يدل على محل وجوده او القوم الذين يظن انهم استخدموه وهي ثلاثة :

- (١) القلم الصفوي : سموه بذلك لانهم عثروا عليه في جبل الصفا بحوران
- (٢) القلم الاحيائي : نسبة الى بني لحيان لانهم كانوا يستخدمونه على ما يظن
- (٣) القلم النودي : سموه بذلك لظنهم ان نموداً كانت تكتبه . وفي الصفحة السابقة جدول للابجديات الثلاث المذكورة وبجانبها الابجدية السبائية الاصلية ليظهر الفرق بينها

على انهم لا يزالون حتى الآن في اوائل البحث ولم يتمكنوا من كشف نقوش توضح لهم حقيقة أصحاب هذه الخطوط ويتوقعون الوصول الى ذلك في المستقبل ويرجون من ورائه كشف حقائق هامة . لكنهم استطاعوا معرفة بعض الشيء عن الكتابة الصفوية وأصحابها مما لا يخلو ذكره من فائدة

جبل الصفا

حوران واقعة شرقي الشام تنتهي في الشرق بحبال حوران ووراءها نحو الشرق بقعة وعرة يسمونها « الحراء » ووراءها نحو الشرق الشمالي جبل بركاني الشكل يقال له جبل الصفا وفيه وجد الرواد الآثار التي يسمونها الصفوية وسموها خطها القلم الصفوي . وأول من عثر على تلك الآثار كريلوس غراهم سنة ١٨٥٧ فنبه الاذهان اليها بمقالة كتبها في مجلة الجمعية الجغرافية في لندن

وفي السنة التالية خرج وتستين قنصل بروسيا في دمشق لارتياح حوران وما جاورها وكتب رحلته سنة ١٨٦٠ وفيها نحو ٢٦٠ شكلاً من النقوش الصفوية التي وقف عليها هناك . وبعد سنتين فرغ ودتتون وفوجيه من رحلتهما السورية وكانت خاتمتها وصول فوجيه الى الصفا ونشر في تلك الرحلة نحو ٤٠٠ نقش . ثم توالى الزوار على تلك الاصقاع ومنهم برتن ودراك وستيل وأوينهايم وغيرهم

وآخر من عني بارتياح ذلك المكان رينه دوسو فجمع سنة ١٨٩٩ نحو ٤١٢ نقشاً وجمع مع مكليز سنة ١٩٠١ نحو ٩٠٠ نقش . وفعل نحو ذلك أيضاً ليتمن استاذ اللغات السامية في ستراسبورج فبلغ عدد النقوش التي جمعها الى سنة ١٩٠٥ نحو ١٧٥٠ نقشاً . ومع كثرة ما اكتشفوه من النقوش فانهم لم يتيسر لهم قراءتها الا قريباً وأول من حاول ذلك منهم مؤثر في المجلة الالمانية (Z. D. M. G.) ثم هاليقي في المجلة الاسيوية الفرنسية لسنة ١٨٧٧ وبعدها بريتوريوس وأخيراً ليتمن المتقدم ذكره . ويكتب في ذلك فصلاً إضافياً

بالألمانية ضمنه تاريخ حل تلك الكتابة^(١) وعين لفظ كل حرف ومكانه من الأبجدية كما ترى في (ش ٣٠) وكتب دوسو فصلاً ضافياً عن هذه الأبجدية فيه انتقاد وملاحظات تتعلق بنسبة هذا الحرف والحرف السبائي إلى الأصل الفينيقي أو اليوناني القديم^(٢) ومن هو السابق إلى الوجود وسنعود إلى هذا البحث في كلامنا عن الكتابة في بلاد العرب قبل الإسلام

وغاية ما وقفوا عليه بعد هذا العناية قراءة بعض الاعلام ومنها اسماء الاشخاص أو الآلهة أو الاماكن في عرض الدعاء أو الوقف أو نحو ذلك . وقلما قرأوا نقشاً فيه قائمة تاريخية صريحة . ولكنهم استفادوا من قراءة الاعلام فوائد كثيرة أكثرها تتعلق بالآلهة التي كانوا يعبدونها . وقد وفقوا إلى استخراج انساب بعض السكمان أو الامراء الذين تماقبوا في أوائل تاريخ الميلاد نشر دوسو عائلة منهم اسم جدها الأعلى قصي وابنه اسمه روح له ولد اسمه أكاب ولهذا ولدان قصي ومالك ولما ولد اسمه روح ولقصي ولد اسمه مالك (الثاني)^(٣)

ووجدوا بين معبوداتهم عدة من آلهة الجنوب وبعض آلهة الشمال وفي جملة ذلك عشتار واللات وذو الشرى وشمس وغيرها وسنعود إلى ذلك في الكلام عن اديان العرب وفي كل حال فإن معرفتنا عن عرب الصفا ضعيفة جداً وأكثر ما يقال عنهم من قبيل الظنون . والراجح من ذلك كله ان هذه الآثار المنقوشة لامة عربية أقامت في جهات حوران حوالي تاريخ الميلاد ثم اندثرت ولعل موالاة البحث توضح لنا الصحيح وتكشف لنا عن أمم أخرى

أيام العرب

العديانية والدول المعاصرة

يراد بأيام العرب الوقائع التي جرت بين القبائل البدوية في شمالي جزيرة العرب في الطور الثاني أي في الطبقة الثالثة من تاريخ العرب قبل الإسلام . وأهم هذه القبائل من عدنان وقد تفرقت بأحيائها وبطونها وقبائلها كما تقدم وكان كل منها مستقلاً بإحكامه وأعماله يتخاصمون ويتحاربون على ما تقتضيه طبيعة البداوة ويندر أن يجتمعوا تحت راية واحدة . يدل ذلك على أنهم لم يجتمعوا في الجاهلية كلها الا ثلاث مرات سيأتي ذكرها.

Dussaud, 57 (٢) Zur Entzifferung der Safâ-Inschriften (١)

Dussaud, 124 (٣)

على ان بعضها كانت تدخل في رعاية احدى الدول الكبرى المعاصرة لها على يد بعض عمالها من العرب . فتدخل في حوزة الفرس على يد المناذرة أو الروم على يد الفساسنة أو حمير على يد كندة . ولكنهم بالحقيقة لم يكونوا يخضعون لدولة الا لمصاحبة مشتركة بينهما ولا يثبتون على ولائها الا لمطعم

وكان اكثر خضوعهم لدولة حمير باليمن لانها أكبر دول العرب يؤدون لها الاتاوة كل عام . أما الدول العربية الصغرى فكانت علائقها معها بالاكثر على سبيل المحالفة . فالمناذرة مثلاً كانوا يقربونهم ليستعينوا بهم على الفساسنة وكذلك كان يفعل هؤلاء للاستعانة بهم على المناذرة شأن الدول المتحضرة في ذلك العهد من الاستعانة بالبداءة على الحضارة والعذنانية كانوا أشداء لو اتحدوا لم تقو عليهم دولة . ولكنهم كانوا لا يبرحون في انقسام وخصام فيستظل الضعيف منهم بدولة تحميهم من اخيه القوي . وكثيراً ما كانوا يلجأون الى بعض تلك الدول للحكم بينهم في ما يختصمون فيه لاحترامهم علوم الحضارة وقوانينها . فكانت القبيلة من اهل البادية اذا دخلت في رعاية حمير مثلاً طالبت اليها ان تولي عليها اميراً ويغلب ان تختار واحداً من امراء تلك القبيلة أو احد رجال تلك الدولة أو بعض المعروفين بالقوة والسطوة من احدى القبائل التي تعودت السيادة كقضاة أو غسان أو لحم أو كندة

وأشهر من تولى الرئاسة على يدو الشمال تحت رعاية دولة اليمن زهير بن جناب الكلبي من قضاة في اواسط القرن الخامس الميلاد وكان شديد البطش بأسلاً شجاعاً وله عقل وسداد رأي حتى سموه الكاهن وله وقائع مشهورة سيأتي ذكرها . واتفق في أثناء سيادته على نجد ان صاحب اليمن آتى نجداً فقدم زهير اليه فآكرمه الملك وفضله على من عرفهم من امراء العرب وولاه الامارة على بكر وتغلب وكلاهما من ربيعة فكان يحكم فيهم ويجمع الاتاوة منهم

استقلال عربنا عن اليمن

فرسخ في اعتقاد البدو بتوالي الاجيال ان الاذعان لدولة حمير فرض واجب وكان النزاع بينهم يزيدهم تعلقاً بذلك حتى رأوا ما أصابها في أثناء حروبها مع الحبشة فتبين لهم ضعفها عن حفظ استقلالها وذهبت هيبتها من قلوبهم فاخذوا يفكرون في الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة لها واحسوا بالحاجة الى الاتحاد في هذا السبيل

فأتحدوا ولم يطل اتحادهم كما طال في الاسلام اذ لم يكن الباعث عليه من قبيل الوجدان والفضل الا كبر في كسر قيد الاناوة والخروج من طاعة اليمن لقبيلة ربيعة لان البادية بكسر ذلك القيد منهم وهو كليب الفارس الباسل المشهور وكان معاصراً لزهير ابن جناب الذي ولاء صاحب اليمن على بكر وتغلب وهما اكبر قبائل ربيعة . وكان زهير يتقاضى الاناوة أو الخراج منهم في مقابل النجمة والكلاء والمرعى . وكان يخرج في حاشيته يجمع الاناوة فاصبهم في اثناء امارته ضيق واحلت ارضهم فتأخروا عن الدفع فجاءهم زهير وألح في مطالبتهم فشكوا عجزهم وأبأنوا عذرهم فلم يصنع لشكواهم . ومنهم النجمة والمرعى أو يؤدوا ما عليهم فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك . وكانت هبة الدولة قد ذهبت من نفوسهم فلما أصابهم ذلك الظلم شقوا عصا الطاعة وتقموا على زهير ورجاله فدرسوا رجلاً منهم اسمه زيابة من بني تيم الله وكان قاتكاً وأوعزوا اليه ان يقتل زهيراً غدرأ ولم يقدموا على مناوآته جهاراً لئلا يستنجد جنده . قاتاه زيابة وهو نائم وطعنه ورجع الى قومه وأخبرهم انه قتله والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلاً . وعلم هذا انه سالم فلم يحرك لئلا يجهز عليه . فلما انصرف زيابة أوعز زهير لمن معه ان يظهروا موته ويستأذنوا بكرأ وتغلب في دفعه فلما أذنوا دفنوا ثياباً ملفوفة وفروا به مجدين الى قومهم فجمع زهير الجموع وفي ذلك يقول ابن زيابة :

طعنة ما طعنت في غلس الليلى زهيراً وقد توافى الخصوم
حين يحمي له المواسم بكر أين بكر وأين منها الحلوم
خانني السيف اذ طعنت زهيراً وهو سيف مضلل مشثوم

وجمع زهير من قدر عليه من اهل اليمن وغزا بكرأ وتغلب وقاتلهم قتلاً شديداً انهزمت به بكر وقانلت تغلب بعدها تم انهزمت وأمر كليب ومهلل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى في بني تغلب وأمر جماعة من وجوههم وفرسانهم فعظم ذلك على قبائل ربيعة وتجمهروا وولوا عليهم ربيعة والد كليب ومهلل وخرجوا على زهير وأنقذوا الاسيرين منه . ودالت الايام وعاد زهير الى سطوته فوضع الاناوة أو الخراج على بني معد جميعاً

وفي أواخر القرن الخامس توفي ربيعة أمير وائل خلفه ابنه كليب وفي نفسه على اليمن أضغان لما قاساه في أسرهم فجمع معداً تحت لوائه أي ربيعة وقبضاعة ومضر واياها وزار وحارب اليمن في معركة عرفت بيوم خزاز سيأتي ذكرها وهزمهم واستقلوا من

سيطرتهم ولم يدفعوا اليهم اناوة او خراجاً من ذلك الحين . ونظرت معد الى كليب نظرها الى منقذ عظيم قولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته (١) وكان ذلك آخر عهدهم بسلطة اليمن

على ان خروجهم من هذه السلطة لم يفض الى الاستقلال التام وانشاء الدول المستقلة لتغلب البداوة على طبائعهم فكانوا اذا خرجوا من رعاية اليمن دخلوا في رعاية كندة او غسان أو لحم على غير نظام وبلا شروط وهم مع ذلك في خصام وزاع فيما بينهم او مع سواهم من الامم المعاصرة وتعرف حروبهم المشار اليها بايام العرب ويريدون بايام العرب ما حفظه التاريخ من الوقائع بين قبائل البادية من عدنان او بينها وبين قبائل اليمن أو بعض الدول . فنقسم تلك الايام الى حروب المدنانية مع سواهم وحروبهم بين انفسهم

أيام المدنانية مع سواهم

١ - يوم البيضاء بين عدنان واليمن

هذا اقدم ما حفظه التاريخ من اخبار تلك الحروب وهو حرب وقعت بين المدنانية ومذحج في اواسط القرن الرابع للميلاد وكانت مذحج قادمة من اليمن طلباً للتوسع في المعاش فنزلوا تهامة وفيها من بني معد قبائل متفرقة ومن جملتهم اعدوان وكان أمير اعدوان يومئذ طمر بن الظرب المشهور بوقته وحكمته فتضايق المعديون من مذحج فاجتمعوا تحت لواء طمر بن الظرب وهي اول مرة اجتمعت كل قبائل معد تحت لواء واحد وهي انما تجتمع لدفع جيش يمني عملاً بالمثل « أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب » وقد فازت معد تحت قيادة طمر وغلبت اليمنيين شر غلبة في مكان يقال له البيضاء وهي اول وقعة بين تهامة واليمن . ولم تجتمع معد في الجاهلية تحت لواء واحد الا ثلاث مرات الاولى تحت لواء طمر بن الظرب المذكور والثانية تحت قيادة ربيعة بن الحارث في قضاة في يوم السلان المتقدم ذكره (٢) والثالث تحت لواء كليب بن ربيعة في محاربة جيش اليمن كما رأيت وطامر المذكور هو حكم العرب المشهور الذي كانت العصا تفرع له . ويقولون في



الخريطة الثامنة — الحجاز ونجد ومشارف الشام بعد تفريق قبائل عدنان

سبب هذا التعبير انه لما شاخ قال له الثاني من ولده « انك ربما اخطأت في الحكم فيحمل عنك » قال « فاجعلوا لي اماره اعرفها فاذا زغت فسمعتم ارجعت الى الصواب » فجعلوا قرع العصا اماره يذهبونه بها فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا فاذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فيرجع الى الصواب ^(١) قالوا وهو أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم ولذلك سموه ذا الاعواد

٢ — يوم خراز بين عدنان واليمن ايضاً

وكان سببه ان أحد ملوك اليمن وقع له امرى من مضر وريعة وقضاة وكاهن من معد فارقد بنو معد وفدأ من وجوههم يكلمونه في اطلاق الاسرى فاطلقهم لكنه استبقى بعض الوفد رهينة وقال للباقيين اتوني برؤساء قومكم لا آخذ عليهم الموائيق بالطاعة لي والا قتلت أمحابكم . فرجعوا الى قومهم فاخبروهم الخبر فشق عليهم غدره بهم . وكان اكبر أمرائهم ورجل العصر يومئذ كليب وائل فبعث الى ربيعة وهي قبيلته فجتمعوا تحت رايته واجتمعت اليه معد كلها كما تقدم . فلما اجتمعوا اليه سار بهم وجعل على مقدمتهم السفاح التغلبي وامره ان يوقد على خراز ناراً ليهتدوا بها وخراز جبل ما بين البصرة الى مكة وقال له « ان غشيت العدو فارقد نارين » وكان ملك اليمن قد أرسل جنوداً من مذحج فلما علم هؤلاء باجتماع معد اقبلوا بجيوشهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة ووصلت مذحج الى خراز ليلاً فرفع السفاح نارين فلما رأى كليب النارين أقبل اليهم بالجموع فصباحهم فالتقوا في خراز واقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل وانهمزمت مذحج وانتصر المدنانيون وفي ذلك يقول الفرزدق يخاطب جريراً ويهجو ويفاخر جداده :

لولا فوارس تغلب ابنة وائل دخل المدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك واوقدوا نارين اشرقتا على النيران

٣ — يوم الصفقة او المشقر بين فارس ونعيم

سببه ان باذان نائب كسرى برويز باليمن ارسل اليه في أوائل القرن السابع للميلاد احمالا من حاصلات اليمن أو مصنوعاتهما فلما بلغت النطاق من ارض نجد اغارت عليها تميم وانتهبها وسلبوا رسل كسرى واساورته . فمرج هؤلاء على اليمامة وصاحبها هوزة بن

(١) ابن الاثير ٢٣٧ ج ١ والافاني ٣ ج ٣

علي الحنفي فلما رآهم مسلوبين أحسن وفادتهم وكساحم . وكانت له معهم ايام بيضاء في ما كان الفرس يرسلونه من التجارة الى اليمن ويسمونها « اللاطيمة » فكان هوزة اذا مرت به اللاطيمة جهز رسلها وخفرهم وأحسن جوارهم وكان كسرى يشتبهى ان يراه ليجازيه على فعله . فلما أحسن أخيراً الى هؤلاء الرسل الذين سلبتهم تميم قالوا له « ان الملك لا يزال يذكرك ويحب ان تقدم عليه » فسار معهم اليه فلما قدم عليه أكرمه وأحسن وفادته وحادثه لينظر عقله وأمر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه واقطعه أموالاً في هجر كانت تحت سيطرة الفرس وكان هوزة نصرانياً . وأمره ان يغزو بني تميم مع حملة عساكر كسرى بقيادة المكبر فسافروا الى هجر ونزلوا في المشقر وهو حصن وخافوا ان يدخلوا بلاد تميم لان العجم لا تستطيع فتحها وأهلها ممتنعون فيها . فعمد هوزة والمكبر الى الحيلة والندر فبعثا رجلاً من بني تميم يدعونهم الى الطعام وكانت سعة شديدة فاقبلوا على كل صعب وذلول فجعل المكبر يدخلهم الحصن خمسة عشرة عشرة وأقل أو أكثر على ان يخرجهم من باب آخر فكل من دخل ضرب عنقه . فلما طال ذلك عليهم ورأوا الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجلاً يستعلمون الخبر فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من كان بالباب فامر المكبر بغلق باب المدينة وقتل كل من فيها وكان يوم الفصح فاستوهب هوزة منه مائة فكساحم واطلقهم يوم الفصح فقال الاعشى من قصيدة له يمدح هوزة :

٣٣ يقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الاله بما اسدى وما صنعا

وكان يوم الصفقة في العقد الثاني من القرن السابع الميلادي بعد ظهور الدعوة الاسلامية في مكة وقبل مهاجرة النبي الى المدينة (١)

٤ — يوم الكلاب الثاني

هو تابع ليوم الصفقة الذي قتل فيه بنو تميم . وذلك ان رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قدم نجران على بني الحارث بن كعب وهم اخواله وحدثهم بما اصاب بني تميم وان أموالهم وذرايرهم في مساكنهم لا مانع لها فاجتمعت بنو الحارث من مذحج واحلافها من نهد وحزم في جيش عظيم وساروا يريدون بني تميم فحذرهم كاهن لهم ونصح لهم في الخطة التي يخذونها في نيل ما يريدون . فالتقت سعد والرباب على ماء اسمه الكلاب واقتتل القوم قتالاً شديداً وعادت الغلبة على مذحج . واما يوم الكلاب الاول فقد دخل في تاريخ بني كندة

ايام العدنانية فيما بينهم

ان المعارك الحربية التي جرت بين قبائل عدنان في القرنين الاولين قبل الهجرة تكاد تكون قاصرة على ربيعة ومضر اما بينهما او بين قبائل كل منهما . لان هذين الشعبين كانا في ذلك العهد أقوى شعوب عدنان واكثرها رجالا واشدها بدابة وتنقل في نجد واليهامة والحجاز تعيش بالغزو والحرب . وكانت متجاورة فتتقم كل منهما غفلة صاحبها وتسطو عليها وقد لا يكون لذلك السطو سبب غير الغزو طمعاً بمال الجار من ابل أو ماشية أو ماء أو متاع او للاخذ بالثار لمثل ذلك الغزو وتقسم هذه المعارك الى ثلاثة أقسام كبرى . الاول الوقائع التي جرت بين قبائل من ربيعة وقبائل من مضر . والثاني الوقائع بين قبائل ربيعة نفسها . والثالث بين قبائل مضر

١ — الوقائع بين ربيعة ومضر

أهم هذه الوقائع جرت بين قبيلة تميم من مضر وبكر بن وائل من ربيعة . وكانت تميم تحجم بين اليهامة وهجر وبكر في شمالها . فهما متجاورتان ولذلك كثر النزاع بينهما وانتشبت الحروب وتوالت الغزوات . والغالب ان تكون بكر الهامة على اثر جذب لحق بمنازلها لان ارض تميم اخصب من أرضها واشهر تلك الوقائع ١٢ واقعة فازت تميم بست منها وبكر بست

الوقائع التي فازت بها تميم على بكر

(١) يوم النباج وثبتل : وسببه حب الغزو وكان زعيم التميميين فيه قيس بن عاصم المنقري وغيره فغزوا البكرين في مكان يقال له النباج كان البكربون مخيمين فيه فلما وصل التميميون اليه امر قيس ان تسقى الخيول فسقوها ثم اراق ما بقي معهم من الماء وقال لرجاله « قاتلوا قالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم » فاغاروا على من في النباج من بكر صباحاً فقاتلوهم قتالا شديداً وانهزمت بكر وأصيب من غنائمها ما لا يحصى لكثرة

وكان قيس قد انفذ أميراً اسمه سلامة برجال ليغزو مكاناً آخر للبكرين اسمه ثبتل فلما فرغ من النباج سار الى ثبتل فرأى القوم لم يغزوا بعد فاغار عليهم برجاله وهزمهم وأصاب من الغنائم نحو ما أصاب بالنباج وفي ذلك يقول شاعرهم مرة بن زيد بن عاصم

انا ابن الذي شق المزار وقد رأى
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم
سقامهم بها الزيفان قيس بن عاصم
على الجرد يعلـكن الشكيم عوايساً
فلم يرها الراؤون الا فجاءة
وحمرات ادته الينا رماحنا
ببتل احياء اللهازم حضرا
فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا
وكان اذا ما اورد الامر اصدرا
اذا المساء من اعطافهن تحدرا
نثن عجاجاً كالذواخن اكدرا
فنازع غلاً في ذراعيه اسمرا

(٢) يوم ذي طلوح : ولهذا اليوم سبب غير حب الغزو وذلك ان رجلاً من تميم اسمه عميرة بن طارق اليربوعي (ويربوع بطن من تميم) تزوج امرأة من بكر اسمها مرية بنت جابر العجلي وسار الى أهلها ليبتني بها وخلف في بني تميم امرأة أخرى اسمها ابنة النطف . وكان لمرية أخ اسمه ابجر جاء ليزور أخته وزوجها عميرة عندها فقال لها « اني لأرجو ان آتيك بابنة النطف امرأة عميرة » يريد انه عازم على ان يأخذها منه بدل أخته فغضب عميرة وقال له « ما أراك تبغي عليّ حتى تسبيني أهلي » . فقدم ابجر على تفريطه بالكلام بين يديه وكان يجب أن يفعل ذلك سرّاً فقال ما كنت لاغزو قومك »

وخرج فتجهز ومضى في رجاله لغزو تميم ووكل بعميرة من يحرسه لئلا يسير الى قومه فينذرهم . فاحتال عميرة على الموكل بحفظه وهرب الى قومه فانذرهم فاستعدوا وخرجوا لملاقاة أعدائهم واقتتلوا في ذي طلوح وكان الفوز ليربوع وانهزمت بكر

(٣) يوم جدود : هو بين بني منقر من تميم وبكر بن وائل . وسببه ان الحوفزان الشيباني (من بكر) كانت بينه وبين بني سايط بن يربوع (من تميم) مودعة فهم الحوفزان بالقدر وجمع بني شيبان ومن حالقهم وغزا بني يربوع وهو يرجو ان يصيب منهم غرة ولكنهم علموا بقصده فاستعدوا للقائه والتقى الفريقان في جدود . وتصدى من التميميين على الحصوص بنو منقر فقاتلوا البكرين قتالاً شديداً فانهزمت بكر وخلوا السبي والاموال وتبعهم منقر فقتلوا بعضهم وامروا آخرين . وكان رئيس منقر قيس ابن عاصم المتقدم ذكره فجعل همه الحوفزان فتبعه على مهر والحوفزان على فرس فلم يدركه وقد قاربته فلما خاف ان يفوته حفزه بالرح في ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا وبذلك يقول سوار بن حيان المنقري يفاخر رجلاً من بكر ويذكر الايام التي غلبوهم فيها :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة كسته نجيماً من دم البطن اشكلا
وحمرات قهراً انزلته رماحنا فعالج غلاً في ذراعيه منقلا

فيا اك من أيام صدق نعدّها كيوم جؤاني والنباج وثيتلا
قضى الله انا يوم تفتسم العلا احق بها منكم فاعطى واجزلا
فلست بمسطيع السماء ولم تجد لعزّ بناء الله فوقك منقلا

(٤) يوم الاياد : وهو يوم اعشاش ويوم عظالي بن شيبان من بكر وبني يربوع من تميم . وسببه ان بكراً كانوا تحت كسرى أي انهم كانوا يخدعون الفرس في ما يحتاجون اليه في أسفارهم بالبادية فيقرونها ويجهزونها وكانوا يراقبون حركات حيرانهم بني يربوع ويتوقعون انحدارهم في السهل ليثبوا بهم ورئيس البكرين بسطام بن قيس الشيباني . والتقى القومان يوماً واحتدم القتال بينهما فانهمزمت شيبان بعد ان قتلت من تميم جماعة كبيرة وقتل من شيبان جماعة ايضاً وامر جماعة فيهم هاني بن قبيصة ففدى نفسه ونجا فقال متمم بن نويرة في هذا اليوم :

لعمري لعم الحى اسمع غدوة اسيد وقد جد الصراخ المصدق
واسمع قتياناً كجئة عبقر لهم ربق عند الطعام ومصدق
أخذن بهم جنبي افاق وبطنها فما رجعوا حتى ارقوا وأعتقوا

(٥) يوم الغبيط : كانت الواقعة فيه بين شيبان وتميم امر فيه بسطام بن قيس الشيباني وسببه أن بسطاماً والحوفران ومفروق بن عمرو ساروا في جمع من بني شيبان الى بلاد تميم لغزو فاغاروا على عشائر منهم متجاورين في صحراء فليج فاقتتلوا فانهمزمت التميميون وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم بنو شيبان أموالهم وساروا بها فروا بعشيرة أخرى من تميم استاقوا ابلهم . وبلغ ذلك بني يربوع فاكبروا هذا التمدي فمشوا بقيادة عتيبة بن الحارث اليربوعي يقتصون آثار بني شيبان فادركوهم في مكان اسمه غبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان ثم انهزمت شيبان واستعادت تميم ما كانوا غنموه منهم والح عتيبة المذكور في امر بسطام حتى امره . فاشار اليربوعيون على عتيبة ان يقتله لانه قتل منهم كثيرين قبلاً فابى . وسار به الى بني عامر بن صعصعة ائلاً يؤخذ فيقتل فلما توسط عتيبة بيوت بني عامر صاح بسطام « واشيباناه ولا شيبان لي اليوم » فبعث اليه عامر ابن الطفيل رئيس بني صعصعة « ان استطعت ان تلجأ الى قبتي فافعل فاني سامعك » فعلم عتيبة بذلك فأتى ابن الطفيل وقال له « قد بلغني الذي ارسلت به الى بسطام فانا نخبرك فيه خصالاً ثلاثاً » قال « وما هي » قال « اعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك فاطاهاك » قال طر « هذا لا سبيل اليه » فقال « ضم خلعتك محل رجلك فليست

عندي بشر منه « فلم يقبل فقال « تتبعني الى هذه الراية فتقارعني عنه على الموت » فابى فانصرف عتيبة بسطام فرأى بسطام عتيبة على رحل رث فقال « يا عتيبة هذا رحل أمك » قال « نعم » قال « ما رأيت رحل أم سيد قط مثل هذا » فقال عتيبة « واللات والعزى لا اطلقك حتى تأتيني أمك بهودجها » وكان كبيراً ذا ثمن كثير وهذا الذي اراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله فارسل بسطام فاحضر هودج امه وقادى نفسه بأربعمائة بعير وقيل بألف بعير وثلاثين فرساً وهودج امه وحدها وخلص من الاسر . فلما خلاص اذكى العيون على عتيبة حتى اغتم غفلته واغار عليه وأخذ الابل كلها وما لهم جميعاً

(٦) يوم شقيقة : بين شيبان من بكر وضبة من مضر قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان وكان سببه ان بسطاماً غزا بني ضبة فغلب على أمره وقتل

الوقائع التي فازت بها بكر

(١) يوم فلج : هو غزوة بسيطة سببها ان جمعاً من بكر ساروا الى الصعاب وشتوا فلما انقضى الربيع انصرفوا فمروا بالدو فلقوا اناساً من تميم فاغاروا على نعم كانت لهم ومضوا فنادى التميميون واقبلوا في آثار بكر وساروا يومين ولياتين حتى جهدهم السير وانحدروا في بطن فلج والتقوا هناك وانهزمت تميم وبلغت بكر منها ما أرادت وكان في جملة الاسرى عند بكر شاعر تميمي اسمه خالد بن مالك فاطلقه رجل من بكر اسمه عرجة وجزاً ناصيته فقال خالد :

وجدنا الرقد وقد بني تميم اذا ما قلت الارقاد زادا
هم ضربوا القباب ببطن فلج وذادوا عن محارهم ذيادة
وهم منوا عليّ واطلقوني وقد طاوعت في الجنب القيادا
أليس هم عماد الحى بكراً اذا نزلت مجللة شدادا

(٢) يوم الوقيط : بين الهازم من بكر بن وائل وبني تميم سببه ان الهازم اجتمعوا ومعهم نو عجل وعنزة من ربيعة للاغارة على بني تميم وكان عندهم اسير تميمي اسمه ناشب بن بشامة فاراد ان يحتال في ايصال الخبر الى قومه فقال للهازم « اعطوني رجلاً ارسله الى أهلي اوجهه ببعض حاجتي » فقالوا له « ترسله ونحن حضور » قال « نعم » فاتوه بخلام مولد فقال « اتيتوني باحق » فقال الغلام « والله ما انا باحق » فقال « اني اراك مجنوناً » قال « والله ما بي جنون » قال « اتقل » قال « نعم اني لما قل » قال « فالتبران اكثر ام الكواكب » قال « الكواكب وكل كثيرة » فلما كفه رملا وقال

« كم في كفي » قال « لا أدري فانه كثير » فاولم الى الشمس بيده وقال « ما تلك » قال « الشمس » قال « ما أراك الا عافلاً اذهب الى قومي فابلغهم السلام وقل لهم ليحسنوا الى أسيرهم فاني عند قوم يحسنون اليّ ويكرموني وقل لهم فليعروا جملي الاحمر ويركبوا ناقتي العيساء وليرعوا حاجتي في بني مالك واخبرهم ان الموسج قد أورق وان النساء قد اشتكت وليصوا همهم بن بشامة فانه مشثوم محدود وليطيعوا هذيل بن الاخنس فانه يائزهم ميمون واسألوا الحارث عن خبري » فصار الرسول فاني قومه فابلغهم فلم يدروا ما أراد فاحضروا الحارث وقصوا عليه خبر الرسول فقال للرسول « اقصص عليّ أول قصتك » فقصها عليه من أولها الى آخرها فقال « ابلغه التحية والسلام واخبره انا سنتوصي بما أوصي به » فعاد الرسول . وقال الحارث لقومه « ان صاحبكم بينكم أما الرمل الذي جمعه في كفه فانه يخبركم انه قد اتاكم عدد لا يحصى وأما الشمس التي ارما اليها فانه يقول ذلك اوضح من الشمس وأما جملة الاحمر فالصمان فانه يأمركم ان تعروه يعني ترحلوا عنه وأما ناقته العيساء فانه يأمركم ان تحترزوا في الدهناء وأما بنو مالك فانه يأمركم ان تنذروهم معكم وأما ابراق الموسج فان القوم قد لبسوا السلاح وأما اشتكاه النساء فانه يريد ان النساء قد خرزن الشكاه وهي أسقية الماء للفرز » فحذر بنو العبر وركبوا الدهناء وانذروا بني مالك فلم يقبلوا منهم . ثم ان الهازم وعجلاً وعزة اتوا وادركوا من بقي وقتلوا منهم مقتلة واسروا كثيرين .

(٣) يوم الزويرين : بين بكر وتميم وسببها طبعي في تلك البادية نعمي التنازع على الماء والمرعى والطعام . وذلك ان بلاد بكر اجذبت فأنجموا بلاد تميم وهي خصبة يلتمسون السكلاء والحنطة حتى تدانوا فجعلوا لا يلتقي بكري تميمياً الا قتله ولا يلتقي تميمي بكرياً الا قتله أو اخذ ماله حتى تفاقم الشر فخرج الحوفزان بن شريك الذي عرفناه والوادك بن الحارث وكلاهما من شيبان ومعهم قوم من بكر وعليهم ابو مفروق الاصم وغيره ليغيرا على تميم وامير تميم ابو الرئيس فلما تدانوا جعلت تميم بعيرين جملوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفيين معقولين وسموها زويرين يعني الهين وقالوا « لا نفر حتى يفر هذان البعيران » فلما رأى ابو مفروق البعيرين سأل عنهما فاعلموه حالهما فقال « انا زويركم » وبرك بين الصفيين وقال « قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر » فاقتتل الناس قتلاً شديداً انهزمت فيه تميم وقتل ابو الرئيس ومعه بشر كثير واجترفت بكر اموالهم ونساءهم واسروا كثيرين وفي ذلك يقول الاعشى :

يا سلم لا تسألني عافلاً كشف عند اللقاء ولا سوء مقاريف

نحن الذين هزمنا يوم صبحنا يوم الزوبرين في جمع الاحاليف
ظلوا وظلت تكرر الخيل وسظمهم بالشيب منا وبالرمد الفطاريف
تستأنس الشرف الاعلى باعينها لمح الصقور علت فوق الاطاليف
انسلا عنها نسيل الصيف فانجردت تحت اللبود متون كالزحاليف

(٤) يوم نمف قشاوة : بين شيبان (بكر) وتميم اغار بها بسطام بن قيس على بني يربوع (تميم) وهم بنمف قشاوة فاتاهم فحصى يوم ربح ومطر فوافى تميم حين سرح فاخذته كله وكر راجعاً وتداعت عليه بنو يربوع فلاحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحرث ففكر بسطام فقتله ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتله واتاهم ايضاً بجير بن ابي مليل فقتله بسطام وقتلوا من يربوع جمعاً واسروا جمعاً وعادوا غانمين

(٥) يوم مبايض : بين شيبان وتميم وسببه ان طريفاً العنبري التميمي كان جسيماً يلقب مجدعاً وهو فارس قومه حج في عام وبينما هو يطوف لقيه خبيصة بن جندل الشيباني وهو شاب قوي شجاع فاطال النظر اليه فقال له طريف « لم تشد نظرك الي ؟ » قال « أريد ان اثبتك لعل الفاك في جيش فاقتلك » فقال « اللهم لا يحول الحول حتى القاه » وكان كذلك فلم يمض العام حتى اختصمت القبيلتان واشتد القتال في مكان اسمه مبايض ودارت الدائرة على تميم وانهزموا ولم تصب تميم بمنزلها لم يفلت منهم الا القليل ولم يلو أحد وانهزم طريف فاتبعه خبيصة فقتله

(٦) يوم الشيطانين : وقع في ايام النبي قبل الهجرة وسببه ان الشيطانين وهما بلد مخصب كانا لبكر بن وائل فلما ظهر الاسلام في نجد سارت بكر الى السواد ولحقهم الوباء والطاعون الذي كان ايام كسرى شديداً فمادوا هاربين فنزلوا لعلع وهي مجدبة وقد اخصب الشيطان وفيهما تميم وبلغت اخبار الخصب الى بكر فاجتمعوا وقالوا « تغير على تميم فان في دين ابن عبد المطلب من قتل نفساً قتل بها فتغير هذه الغارة ثم نسلم عليها » فارتحلوا من لعلع واغاروا على المكان فانهمزمت تميم فقال العنبري يفخر بذلك :

وما كان بين الشيطانين ولعلع لنسوتنا الا مناقل أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله يكاد له ظهر الوديمة يطلع

ومن الوقائع بين ربيعة ومضر يوم بارق بين تميم وتغلب في ناحية السواد . ويوم آخر بين سليم وشيبان ويوم اهباد والنتيمة بين ضبة وعبس فازت فيه ربيعة . ويوم ساحوق بين عامر بن صعصعة وذبيان وغيرها . ومنها يوم ذي قار وفيه ظهرت مضر وقد ذكرنا خلاصته في تاريخ ملوك الحيرة

الوقائع بين قبائل ربيعة

او الايام بين بكر وتغلب

تريد بها ما حدث من الوقائع في ربيعة نفسها بين قبائلها واهمها ما جرى بين بكر وتغلب او حرب البسوس بين كليب وجساس وهي مشهورة وهذه خلاصتها :
 قد رأيت في ما تقدم ما بلغ اليه كليب بن ربيعة من السيادة ونفوذ الكلمة حتى اجتمعت تحت رايته كل قبائل معد والبسوة التاج وهو من تغلب . فبقي برهة من الدهر في هذه الحال . ثم دخله زهو شديد وبني على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه . ومعنى ذلك في اصطلاحهم ان الرجل اذا اعتز جانبه اتخذ لنفسه بقعة من الارض لا يجسر احداً ان يطأها او يوقع الاذى في شيء منها تشبهاً بحرم المبادئ في الجاهلية . فالتخذ كليب حرماً او حمى وتجاوز من تقدمه من أصحاب الحمى انه جعل حمايته تشمل أنواع الوحش خارج حماه فيقول « وحش أرض كذا في جوارى فلا يصاد » ولا يورد أحد مع ابله ولا يوقد ناراً مع ناره ولا يمر أحد بين بيوته ولا يحتجب في مجلسه

وتزوج كليب امرأة من شيبان (من بكر) اسمها جليلة بنت مرة لها اخ اسمه جساس بن مرة . وكان حمى كليب في أرض اسمها « المالبة » لا يقربها الا المحارب . واتفق ان رجلاً يقال له سمد الجرمي نزل ضيفاً على البسوس بنت منقذ خالة جساس المذكور وهي خالة جليلة امرأة كليب . وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وكانت نوق جساس ترعى مع نوق كليب . فخرج كليب يوماً يتمهد الابل ومراعيها ومعه جساس فنظر كليب الى سراب وانكرها واستفهم عن أمرها فقال له جساس « هذه ناقة جارنا الجرمي » فقال كليب « لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى » فاستاء جساس من ذلك لان الجرمي زيله وله عليه حق الجوار ولم يملك غضبه فقال « لا ترعى ابلي مرعى الا وهذه معها » فغضب كليب وقال « لئن عادت لاضعن سهمي في ضرعها » فقال جساس « لئن وضعت سهمك في ضرعها لاضعن سنان رمحي في لبتك » وافترقا

فذهب كليب الى امرأته وقال لها « اترين ان في العرب رجلاً يمنع مني جاره » قالت « لا اعلمه الا جساساً » فحدثها الحديث فخافت عاقبة ذلك التنافر واصبحت اذا رأت زوجها يريد الخروج الى الحمى منعه وتناشدته الله ان لا يقطع رحمه ونهت أخاها جساساً عن ان يسرح ابله فيها

وخرج كليب الى الحمى يوماً وجعل يتصفح الابل فرأى ناقة الجرمي فرمى
فرعها فانفذه فولات ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها . فلما رأى الجرمي ما حل
بناقته صرخ « يا لذل » فسمعت البسوس صراخه فخرجت اليه فلما رأت ما بناقته
وضعت يدها على رأسها وصاحت « واذلاه » تشير الى ما لحقها من الذل بسبب اذية
جارها لحرمة الجوار عندهم . ورآها حساس تفعل ذلك فخرج اليها وقال لها « اسكتي
ولا تراعي » واسكت الجرمي وقال لها « اني سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة » يعني
كليباً . وكان لكليب عين يسمع ما يقولون فنقل الحديث الى كليب فاستخف بما سمعه
وقال « لقد اقتصر عن يمينه » اما حساس فأخذ يتربص الفرص لنيل مرامه

فخرج كليب يوماً آمناً فلما بعد عن البيوت ركب حساس فرسه وأخذ رحمه وادرك
كليباً فوقف كليب فقال له حساس « يا كليب الرح وراك » فقال له « ان كنت
صادقاً اقبل اليّ من امامي » ولم يلتفت اليه فطعنه حساس قارداً عن فرسه فقال
« يا حساس اغثني بشربة من ماء » فلم يأت به شيء وقضى كليب نحبّه . فامر حساس
رجلاً كان معه اسمه عمرو بن ذهل من شيبان فجعل عليه احجاراً اثلاً تأكله السباع
وانصرف على فرسه بركضه حتى اى ابيه مرة وقال له « طعنت طعنة يجتمع بنو وائل
غداً لها رقصاً » قال « من طعنت لامك الشكل » قال « قتلت كليباً » فاجفل مرة
وقال « افعلت ؟ » قال « نعم » قال « بشئ والله ما جئت به قومك » ولم ير بداً
من التأهب للحرب فدعا قومه الى نصرته فاجابوه واجلوا الاسنة وشحذوا السيوف
وقوموا الرماح وتهاياوا للرحلة

ولما علم قوم كليب بمقتله دفنوه وقد شقوا الجيوب وخمشوا الوجوه وخرجت
الابكار وذوات الخدور والعواتق وقن للمأتم وقن لاخت كليب « اخرجني جليسة
(امرأة كليب) اخت حساس عنا فان قيامها فيه ثمانية وعار علينا » فقالت لها اخت
كليب « اخرجني من مأتمنا فانت اخت قاتلنا » فخرجت تبحر عطاها وانت ابها مرة
وكان لكليب أخ اسمه مهلهل وهو الفارس الشاعر المشهور وكان في يوم مقتل
كليب مشغلاً بالشرب فراحا الا وهو يسمع الصياح والمويل فسأل فقالوا « كليب
قتل » فقال قصيدته المشهورة التي مطلعها :

كنا نغار على العواتق ان نرى	بلامس خازجة عن الاوطان
نخرجن حين نوى كليب حسراً	مستيقنات بمسده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا	اذ حان مصرعه من الاكفان

ثم جزّ شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب وجمع إليه قومه للاتّشار . ولكنّه رأى ان يبدأ بالمخابرة فبعث رجلاً من قومه الى بني شيبان فأتوا مرة والد جسّاس وهو في نادي قومه فقالوا له « انكم اتيتهم عظيماً بقتلكم كليياً بناقة وقطعتهم الرحم وانتهكتم الحرمه وانا نعرض عليك خلا لا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مفتح . اما ان تحيي كليياً او تدفع الينا قاتله جسّاساً فنقتله به او هماماً فانه كفء له او تمككتنا من نفسك فان فيك وفاء لدمه » فقال لهم مرة « اما احياي كليياً فلست قادراً عليه واما دفعي جسّاساً اليكم فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه ولا أدري أي بلاد قصد . واما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وكلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره . واما انا فما هو الا ان نجول الخيل جولة فاكون اول قتيل فما اتعجل الموت . ولكن لكم عندي خصلتان اما احداهما فهؤلاء ابناي الباقيون نخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم . واما الاخرى فاني ادفع اليكم الف ناقة سود الحدق حمر الوبر » فغضب القوم من جوابه وقالوا « قد اسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللين من دم كليب » ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة بابيها وقومها جرت بين الفريقين عدة وقائع أولها يوم غنيزة عند فليج وكانوا على السواء ففترقوا ثم التقوا بمدبرهة من الزمان بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه وكان رئيس تغلب مهلهلا ورئيس شيبان الحارث بن مرة اخو جسّاس وكانت الدائرة على بني تغلب ولم يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرة . ثم التقوا بالذنائب وهي أعظم وقعة كانت لهم وقد ظفريها التغلبيون وقتلوا من بكر مقتلة كبيرة قتل فيها شراحيل بن مرة جد الحوقزان الذي تقدم ذكره وجد معن بن زائدة الجواد الحليم المشهور في الاسلام وقتل غيرهما . ثم التقوا يوماً آخر في وارادت فاقتلوا شديداً وكان الظفر لتغلب ايضاً وكثر القتل في بكر ومن جملة القتلى همام بن مرة اخو جسّاس وكان مهمل يحبه فلما رآه مقتولاً قال « ما قتل بعد كليب اعز علي منك ونال الله لا تجتمع بكر بعد كما على خير أبداً » والتقوا ايضاً في مواضع أخرى يطول بنا شرحها (١)

ويقال بالاجمال ان الايام التي اشتدت فيها الحرب بين الفريقين خمسة أيام : يوم غنيزة تناصفوا فيه . ويوم وارادت كان لتغلب على بكر . ويوم الحنو كان لبكر على تغلب . ويوم القصيبات اصيب بكر حتى ظنوا انهم لن يستقيلوا . ويوم قضة وهو يوم التحالق . وكان بعد ذلك أيام دون هذه منها يوم النقية ويوم الفصيل ثم لم يكن بينهما مزاحفة وانما

كانت مغاورات . ودامت الحرب بينهما أربعين سنة مات في اثنتائها الشيوخ وشاخ الشبان وشب الولدان وولدت طبقة من الناس لم تكن في الحسبان
ثم قال مهلهل لقومه « قد رأيت ان تبقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد انت
على حربكم اربعون سنة وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوزكم فلو مرت هذه السنون
في رفاهية عيش لكانت تل من طولها فكيف وقد فني الحيان وثكلت الامهات ويتم
الاولاد ونأثمة لا تزال تصرخ في النواحي ودموع لا ترافاً واجساد لا تدفن وسيوف
مشهورة ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم وتعطف
الارحام حتى تتواسوا في قتال القتل اما انا فما تطيب نفسي ان اقيم فيكم ولا استطيع ان
انظر الى قاتل كليب وأخاف ان أحكمكم على الاستئصال وانا سائر الى اليمن » وفارقهم
وسار الى اليمن قضى فيها حيناً ثم عاد الى ديار قومه فاخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة
البكري اسيراً بنواحي هجر فاحسن اسره وافرد له بيتاً فمر عليه تاجر يبيع الخمر
قدم بها من هجر وكان صديقاً لمهلهل فاهدى اليه وهو اسير زقاً من خمر فاجتمع اليه
بنو مالك فتحروا عنده ناقة وشربوا معه في بيته فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما
كان يقوله من الشعر وينوح على أخيه كليب فسمع منه عمرو ذلك فقال « انه لريان
والله لا يشرب ماء حتى يشرب زبيب » وزبيب فحل كان له لا يشرب الا مرة كل
خمسة أيام في حمارة القيظ فمات مهلهل عطشاً . وكان لوصية مهلهل تأثير على ربيعة
لانهم قلما تحاربوا فيما بينهم بعد ذلك وانما كانت وقائعهم مع مضر كما تقدم الا واقعة
جرت بقرب الفرات عرفت بيوم الفرات قبيل الاسلام بين شيبان وتغلب وقاز
بنو شيبان

الوقائع بين قبائل مضر

نريد بها ما جرى من الحروب بين القبائل المضرية وهي أكثر مما جرى بين قبائل
ربيعة او بين ربيعة ومضر . واكثر قبائل مضر دخلاً في هذه الوقائع عبس وهوازن
وذبيان وطامر بن صهصمة واسد وغطفان وقيس عيلان وكنانة وقريش . واهم هذه
الحروب بين عبس وهوازن وبين عبس وذبيان تعرف بحرب داحس والغبراء . وبين
قريش وكنانة وهي حروب الفجار . وبين طامر بن صهصمة وقبائل مختلفة كما تراء
في ما يلي

أيام عبس وهوازن

(١) يوم الرجرحان : كان زهير بن قيس بن جذيمة العبسي سيد قيس عيلان في أوائل القرن الخامس للميلاد وترى من مراجعة جداول الانساب في هذا الكتاب ان قيس عيلان تطوي على عدة قبائل كبرى منها عدوان وغطفان وعبس وذبيان وهوازن وغيرها . فلذلك كان زهير المذکور ذا شرف ورفعة وكان معاصراً للنعمان ابن امرئ القيس المتوفى سنة ٤٣١ م جد النعمان بن المنذر وقد تزوج النعمان اليه وبعث يستزيره بعض أولاده فارسل اليه أصغر ولده « شاساً » فاكرمه النعمان وحباه . فلما انصرف الى ابيه كساء حلالاً واعطاه مالا طيباً فخرج شاس يريد قومه فبلغ ماء من مياه غني بن اعصر فقتله رباح بن الاشل الغنوي واخذ ما كان معه وهو لا يعرفه . وبلغ زهيراً ان ابنه اقبل من عند الملك وكان آخر العهد به بماء من مياه غني فبذل زهير جهده في البحث بالحيلة وغيرها حتى اكتشف القاتل وعرف انه من بني غني فجعل يغير عليهم ويقتل منهم وكانوا حلفاء بني عامر بن صعصعة وهم بطن من هوازن فانتشبت الحرب بين عبس وعامر او هوازن

واتفق في اثناء ذلك ان زهيراً خرج في اهل بيته بالشهر الحرام الى عكاظ كجاري العادة فالتقى هناك بخالد بن جعفر سيد هوازن فقال له خالد « لقد طال شرنا منك يا زهير » فقال زهير « اما والله ما دامت لي قوة ادرك بها ثاراً فلا انصرام له » وكانت هوزان تؤتي زهير بن جذيمة الاتاة كل سنة في عكاظ وهو يسومها الخسف وفي انفسها منه غيظ وحققد . ثم عاد زهير وخالد الى قوميهما فسبق خالد الى بلاد هوزان فجمع اليه قومه وندبهم الى قتال زهير فاجابوه وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيراً وسار زهير حتى نزل على اطراف بلاد هوازن فقال له ابنه قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء الا آتي ذكرها « انج بنا من هذه الارض فانا قريب من عدونا » فقال له « يا عاجز ما الذي تخوفني به من هوازن وتقي شرها فانا اعلم الناس بها » فقال ابنه « دع عنك اللجاج واطمني وسر بنا فاني خائف طاديتهم » فلم يطعه

وكان خالد يجسس اخبارهم وعلم بمكان زهير فركب اليه فالتقيا واقتتلا طويلاً فقتل زهير وطادت هوازن الى منازلها وحمل بنو زهير اباهم الى بلادهم . وخالد يعلم ان زهيراً سيد غطفان وعبس وذبيان فخاف ان يطلبه فسار الى النعمان بالحيرة فاستجاره

فأجاره وضرب له قبة . اما ابناه زهير فجمعوا لهوازن فقال الحارث بن ظالم المري « اكفوني حرب هو وزن فاكتبكم خالد بن جعفر » وسار الحارث الى النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما بأكلان تمرأ فأقبل النعمان على الحارث يسأله فحسده خالد فقال للنعمان « ابيت اللس هذا رجز لي عنده يد عظيمة قتلت زهيراً وهو سيد غطفان فصار هو سيدها » فقال الحارث « سأجزيك على يدك عندي » وجعل الحارث يتناول التمر لياً كله فيقع من بين اصابعه من الغضب وكان عروة اخو خالد حاضراً فقال لاخيه « ما اردت بكلامه وقد عرفته فتاكاً » فقال خالد « وما يخوفني منه فوالله لو رأيته نائماً ما أيقظني » ثم خرج خالد وأخوه الى قبتهم فشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه . فلما اظلم الليل انطلق الحارث الى خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة « لئن تكلمت قتلتك » ثم ايقظ خالداً فلما استيقظ قال « أتعرفني » قال انت « الحارث » قال « خذ جزاء يدك عندي » وضربه بسيفه المملوب فقتله ثم خرج وركب راحلته وسار . وخرج عروة من القبة يستغيث حتى أتى باب النعمان فدخل عليه واخبره الخبر فبث الرجال في طلب الحارث — قال الحارث « فلما سرت قليلاً خفت ان اكون لم اقلته فعدت متنكراً واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى ثقينت انه مقتول وعدت فلحققت بقومي »

فاصبح الحارث بن ظالم بين طالبيين النعمان يطلبه ليقته بجاره وهو وزن تطلبه لئقتله بسيدها فاستجار بتميم فأجاروه فلما علم النعمان بذلك جهز جيشاً حمل به على تميم وأعانهم أهل خالد ببني عامر وأتى قيس بن زهير في بني عبس وذبيان فانهمزمت بنو عامر وجيش النعمان^(١) بعد معركة كبيرة في وادي رحرخان لم يشتف قيس بها

ايام داحس والغبراء

سببها ان قيس بن زهير سيد عبس المذكور سار الى المدينة يبتاع الاسلحة والادراع وغيرها من مهمات الحرب لقتال عامر والاخذ بشار ابيه . فأتى احيحة بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة يقال لها « ذات الحواشي » فباعه اياها بأبن لبون . وعاد قيس الى قومه وقد فرغ من جهازه فمر بالربيع بن زياد ودعاه الى مساعدته على الاخذ بالثار فأجابته . ولما اراد فراقه نظر الربيع عيبته فقال « ما في حقيبتك » قال « متاع عجيب » واناخ راحلته

(١) تفصيلها في ابن الأثير ٢٥٦ ج ١

فأخرج الدرع وأراه إياها. فأبصرها الريح فاعجبته ولبسها فكانت في طوله فاستبقاها عليه ثم حبسها عنده ومنعهما من قيس وترددت الرسل بينهما بنائهما غناً. فغضب قيس وأغار على ابل الريح فاستاق منها ٤٠٠ بعير وسار بها إلى مكة فباعها واشترى بها خيلاً وكان فيما اشترى من الخيل فرسان اسمها داحس والغبراء.

ثم أقام في مكة وكان أهلها يفاخرونه بما عندهم وكان قيس نفوراً فقال « نَحْنُوا كعبتكم عنا وحرّمكم وهاتوا ما شئتم » فقال له عبد الله بن جدعان « إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرّم الآمن فبِمَ نفاخرك » فقلّ قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم. وسراً ذلك قريشاً لأنهم كانوا قد كرهوا مفاخرته. فقال قيس لاختوته « ارحلوا بنا من عندهم أولاً والا تفارقم الشر بيننا وبينهم والحقوا ببني بدر فانهم اكفاؤنا في الحسب وبنو عمناء في النسب لا يستطيع الريح ان يتناولنا معهم » فلحق قيس ببني بدر وهم بطن من ذبيان.

وسعى الريح في رد بدر عن اجارته فأبوا فغضب الريح وغضبت عيس لغضبه. ثم ان حذيفة رئيس بدر كره قيساً وأراد اخراجه عنهم ولم يجد سبباً يستند اليه فاتفق خروج قيس للعمرة في مكة وفي أثناء غيابه تفاخر مالك وحذيفة في الخيل ثم تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة. ولما عاد قيس وعلم بالرهن كرهه لعلهم انه سيجر الى خصام فركب الى حذيفة وسأله ان يفك الرهن فلم يفعل كأنه رآها فرصة للتخلص من قيس وجواره وقد أضر ان يفكر به.

فاعدوا معدات السباق بين فرسي قيس وهما داحس والغبراء وفرسي حذيفة وهما الخطار والحنفاء وقادوا الخيل الى الغابة وحشدوا ولبسوا السلاح وتركوا السبق على يد عقاب بن مروان القيسي وأعدوا الامناء على ارسال الخيل. وأضر حذيفة الغدر فأقام رجلاً من بني اسد في الطريق وأمره ان ياتي داحساً في وادي ذات الاصاد فاذا وجده سابقاً فيرمي به الى أسفل الوادي. فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة جالسان على رأس الغابة في قومهما. فلما هبط داحس في الوادي طارضه الاسدي فلطم وجهه فألقاه في الماء فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد قاتته الخيل. أما راكب الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ وعاد الى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة. ثم سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطار. واخيراً جاءت الغبراء سابقة وبعدها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء له ايضاً. ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسيره على رسله فأخبر الغلام قيساً بما فعله الاسدي

فأنكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظمأً وقال جاء فرساي متتابعين . ومضى قيس واصحابه . ثم جاء الاسدي واعترف لقيس بما فعله فغضب حذيفة وزاد التنافر بين الاميرين وحذيفة يلح بطلب حقه من السبق وأرسل ابنه الى قيس في ذلك فطمع طمعة قتله ورجعت فرسه الى ابيه ونادى قيس « يا بني عمي الرحيل » فرحلوا اما حذيفة فلما أته فرس ابنه وحدها علم ان ولده قتل فصاح في الناس وزكب فيمن معه واتى منازل بني عيس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلاً فنزل اليه وقبله بين عينيه ودقوه .

وكان مالك بن زهير اخو قيس متزوجاً في فزارة ونازلاً فيهم فأرسل اليه قيس يستنجد فاجابه « انما ذنب قيس عليه » ولم يرحل اليه . فأرسل قيس الى الربيع ابن زياد يطلب منه العود اليه ويمت اليه بالعشيرة والقرابة فلم يجبه . ثم ان بني بدر قتلوا مالك بن زهير اخا قيس وكان نازلاً فيهم فبلغ خبره بني عيس وعظم عليهم الامر واسف الربيع ايضاً لموته وكان ذلك سبباً في مصالحته قيساً فاعتنقا وبكيا واجتمع العبسيون يرتون مالكا وفيهم غنرة فقال مرثيته التي مطلعها :

فلا عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها وليتهما لم يجعما لرهان

وبلغ حذيفة ان قيساً والربيع اتفقا فشق عليه ذلك واستعد للبلاء فجمع قومه من فزارة وتماقدوا على عيس وجمع قيس والربيع قومها واستعدوا للحرب والتقوا اولاً على ماء يقال له العذق وهي اول وقعة كانت بينهم وانهزمت فزارة وقتلوا قتلاً ذريعاً واسر حذيفة فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان يهدر دم بدر بن حذيفة بدم مالك اخي قيس وتساروا في ما بقي فاطلق حذيفة من الامر . ثم دخل اناس بينهما قبحوا لحذيفة رضاه بالصلح على تلك الشروط وحثوه على النكث والحرب فاغاروا على عيس واغار عيس على فزارة وتفاقم الشر فانهزمت فزارة . فماد حذيفة فجمع كل بني ذبيان فعمد العبسيون الى ضم اطرافهم وحدثت بينهم على اثر ذلك عدة وقائع على نحو ما تقدم كانت الحرب فيها سجلاً يوماً لذبيان ويوماً لعيس حدث في اثنا حوادث فتك هائلة من قتل الابناء انتقاماً . ومن اكبر وقائعهم واقعة البوار قتل فيها ٤٠٠ من فزارة واسد وغطفان وعشرون من عيس وكان الفوز فيها لعيس وقال فيها قيس قصيدته التي مطلعها :

اقام على الهبابة خير ميت واكرمه حذيفة لا يرجم

وحدثت بعدها واقعة في ذات الجراح دامت يومين وكان فيها عنزة بن شداد فظهرت شجاعته يومئذ وعلى هذه الوقائع وغيرها مما جرى بين عيس وذيان تدور قصة عنزة المشهورة . والخلاصة ان القبيلتين ملتا القتل والنهب وعادتا الى المصالحة في حديث طويل (١)

حرب الفجار

بين قريش وكنانة وقيس عيلان

هما واقعتان او يومان سبب اليوم الاول منهما ان رجلاً من كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر من هوازن (من قيس عيلان) فاعدم الكناني فوافي النصرى سوق عكاظ بقرد وقال « من يبتغي مثل هذا بما لي على فلان الكناني » فعل ذلك تعبيراً للرجل وقومه . فرأ به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله انفة مما قاله النصرى . فصرخ هذا في قيس عيلان وصرخ الكناني في كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا ثم اصطالحوا ولم تحدث حرب

أما يوم الفجار الثاني فقد وقع بعد عام الفيل بعشرين سنة في اواخر القرن السادس للميلاد ولم يكن في أيام العرب اشهر منه وانما سمي الفجار لما استحله الحيان كنانة وقيس من المحارم . وسببه ان البراض الكناني كان رجلاً قاتكاً خليعاً قد خلعه قومه لكثرة شره فخرج حتى قدم على النعمان بن المنذر ابي قابوس وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة تباع له في عكاظ او ذي الحجاز او غيرهما من أسواق العرب بالمواسم - فقال النعمان « من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ » فقال البراض « أبيت اللعن انا اجيزها على كنانة » فقال النعمان « انما اريد من يجيزها على كنانة وقيس » وكان عروة بن عتبة الكلبي (من قيس عيلان) حاضراً فقال « أكلب خليع يجيزها لك ؟ أبيت اللعن انا اجيزها على أهل الشيخ والقيصوم من أهل تهامة وأهل نجد » فغضب البراض وقال « وعلى كنانة تجيزها يا عروة » فقال عروة « وعلى الناس كلهم » فدفع النعمان اللطيمة الى عروة وسار بها وخرج البراض يتبع أثره

(١) ابن الاثير ٢٥٨ - ٢٦٧ ج ١

وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه . ولكن البراض غدرة بضربة بالسيف فقتله فلما رآه رجاله قتيلا انهزموا فاستاق البراض العير الى خير وبعث رسولا مستعجلاً الى حرب بن امية في عكاظ وهو كبير قريش يومئذ يخبره انه قتل عروة فليحذر قيساً . فنشر حرب بن امية الخبر بين أشراف قريش ومنهم عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة والد ابي جهل واجتمعوا وتشاوروا وقالوا نخشى ان تطلب قيس بثأر قتيلا ولا ترضى ان يقتل البراض به لانه خليع . واتفق رأيهم أن يخاطبوا عامر بن مالك سيد قيس بذلك فانوه وقالوا له ذلك فاجاز بين الناس وأعلم قومه ما قيل له وأوشكوا ان يصطلحوا

واتفق ان قوماً من قريش كانوا في عكاظ وبلغهم ما فعله البراض وخافوا ان يكون قومهم في ضيق فركبوا الى مكة لنصرتهم فلما بلغ رئيس قيس ذلك عدّه غدرآ من قريش (او كنانة لانهما فرعان) واقسم ان لا تنزل كنانة عكاظ ابداً . ثم ركبوا في طلبهم حتى ادركوهم في نخلة فاقتتل القوم وكادت قريش تهزم ولكنها لجأت الى الحرم احتمت به وكان معهم في ذلك اليوم صاحب الشريعة الاسلامية وسنة عشرون سنة

فلما دخلت قريش الحرم رجعت قيس عنها وواعدوهم على الالتقاء في عكاظ بالعام المقبل لانهم لا يتركون دم عروة وعادت الى بلادها يحرض بعضها بعضاً على الاخذ بالثأر ثم جمعت جموعها وجمعها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها وفيهم كنانة والاحابيش وفرقت السلاح فيهم وخرجوا وعلى كل بطن منهم رئيس وعلى الجماعة حرب بن امية (أمير الامراء) لمكانه من عبد مناف سناً ومنزلة . وكانت قيس قد تقدمت الى عكاظ قبل قريش على كل بطن منهم رئيس . ومشيت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس . وكان مع حرب بن امية اخوته سفيان وابو سفيان والعاص وابو العاص بنو امية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان وابو العاص نفسيهما وقالوا لن يبرح رجل منا مكانه حتى نموت او نظفر فيومئذ سموا العنابس أي الاسود

واقتل الناس قتالا شديداً فكان الظفر اول النهار لقيس وانهزم كثير من بني كنانة وقريش وثبت بنو امية ثبات الجبال حتى اذا انتصف النهار طاد الظفر لقريش وقتلوا كثيراً من قيس ثم انهزمت قيس ثم تداعوا الى الصلح على ان يعدوا القتلى فاي الفريقين فضل له قتل اخذ ديتهم من الفريق الآخر وفعلوا وطادوا الى الوقاق والوثام

الوقائع بين عامر بن حصصه وقبائل اخرى

عامر بن حصصه قبيلة من هوازن من قيس عيلان ولها شأن بين قبائل العرب رجاء ذكرها غير مرة في ما تقدم ولها وقائع عديدة جرت لها مع قبائل مضر وهي :

(١) يوم شعب حيلة : بين عامر بن حصصه وتميم وسبب ذلك ان لقيط بن زرارة عزم على غزو عامر الاخذ بثأر أخ له كان اسيراً عندهم ومات . فبينما لقيط يتجهز بلفه ان بني عامر وبني عبس تحالفاً فخبر القبائل الاخرى لتحالفه على عبس وعامر فاجابته أسد وغطفان واستوثقوا واستكثروا وساروا وهم لا يشكون انهم ظافرون لانهم سيفتشمون غرة القوم . وكان مع لقيط ابنته دختوس وكان يغزو بها معه ويستشيرها في اموره . وبينما هم سائرون لقيهم كرب بن صفوان من أشراف سعد فخيأهم وظل سائراً يخافوا ان يكون مسرعاً لاطلاع أعدائهم على خبرهم فاستوقفوه وسألوه لماذا لا يصحبهم بغزوهم فقال انه يبحث عن ابل ضلت منه . فأخذوا منه الموائيق ان لا يخبر أحداً بمسيرهم فمأهدهم ولكنه غضب لهذه المعاملة فلما دنا من عامر وعبس أخذ خرقة وضع بها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم . فأخذها بعضهم وجاء بها الى قيس بن زهير امير عبس فلم ما به بني الرجل بهذه الامور فقال « هذا رجل قد اخذ عليه عهد ان لا يكلمكم فاخبركم ان أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة . وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم . وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمين معهم وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة . وأما الاحجار فهي عشر ليال يأتىكم القوم بها قد اندرتكم فكونوا أحراراً واصبروا كما يصبر الاحرار الكرام »

فأثروا على حكمته واستشاروه في ماذا يحملون فقال « ادخلوا ابلدكم هذه الشعب (شعب حيلة) ثم اظمئوها هذه الايام ولا توردوها الماء فاذا جاء القوم اخرجوها عليهم وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشاً فتشغلهم وتفرق جمهم واخرجوا اثم في آثارها واشفوا نفوسكم » ففعلوا ما أمرهم به وكثر القتل في تميم وأسر جماعة من رؤسائهم وعنترة مع بني عبس وقتل لقيط وتمت الهزيمة على تميم وغطفان

(٢) يوم ذي جنب : هو ملحق بيوم شعب حيلة حدث بعده سنة لان بني عامر لما اصابوا ما اصابوه من تميم في ذلك اليوم رجوا ان يستأصلوهم واسكنهم فشلوا

- (٤) يوم الجفار : حدث بعد يوم النساء بسنة ولا أهمية له
 (٥) يوم المروت : وهذا ايضاً بين تميم وطامر
 (٦) يوم الرقم : هذا بين طامر وغطفان
 وهناك وقائع اخرى بين العدنانية وبين مضر نفسها او غير ذلك أغفلناها لقلة أهميتها

حضر العدنانية في مكة

مكة

اختلف المؤرخون في أصل اسم مكة والارجح عندنا انه آشوري او بابلي لان «مكا» في البابلية «البيت» وهو اسم الكعبة عند العرب . ويدل ذلك على قدم هذه المدينة كانها سميت بذلك من عهد العماقة على اثر هجرتهم من بين النهرين فسموا المسكن بها اشارة الى امتيازها بالبناء الحجري عن سائر ما يحيط بها من البادية . واختلفوا ايضاً في بدء بنائها كما اختلفوا في الامم التي توالى عليها . والاشهر ان اول من سكنها العماقة وهو يؤيد أصلها البابلي . قالوا وخاف العماقة عليها جرهم وهي فرقة من الفحطانية نزحت من اليمن قديماً . ثم جاءها بنو اسماعيل كما تقدم ثم الازد بعد سيل العرم (على زعمهم) . ثم خزاعة فكنانة فقريش وكانت تتوالى هذه الامم وتعاون فتزل الواحدة على اثر الاخرى حتى تغلب عليها وتخلفها وتبقى من تلك بقية مما يطول شرحه فنكتفي بالمعقول منه

لم يرد ذكر مكة او الكعبة في كتب قدماء اليونان الا ما جاء في كتاب دiodorus الصقلي في القرن الاول قبل الميلاد في اتناء كلامه عن النبطيين مما قد يراد به مكة وهو قوله «ووراء أرض الانباط بلاد بني (زومين) وفيها هيكل يحترمه العرب كافة احتراماً كثيراً» فلعله يريد الكعبة واما بنو زومين فربما أراد بهم جرهم او غيرهم من قبائل العرب التي تولت مكة . والغالب انه يريد جرهم التي يسمونها الثانية اذ يؤخذ من اسماء ملوكها انها تولت ذلك المسكن حوالي تاريخ البلاد وهذه اسماؤهم عن أبي الفداء :

١	جرم	٥	ثقيلة	٩	الحارث
٢	عبد ياليل	٦	عبد المسيح	١٠	عمرو
٣	جرشم	٧	مضاض	١١	بشر
٤	عبد المدان	٨	عمرو	١٢	مضاض

فوجود اسم عبد المسيح بين ملوك هذه الدولة يدل على قرب عهدهما من النصرانية . فاذا صح ذلك خالف ما يقوله العرب عن زوج اسماعيل في جرم الثانية واسماعيل قبل الميلاد بتسعة عشر قرناً . وتخرج ذلك اما ان يكون اسماعيل زوج في جرم الاولى أو ان يكون المراد بزواج اسماعيل زواج بعض أعمقائه أو قبيلته مما لا سبيل الى تحقيقه لضياع الأدلة واختلاط الروايات . وفي كل حال فان الاسماعيلية أو قبيلة منهم والجرهمية اقاموا معاً في مكة وما يابها حتى جاءتهم خزاعة وهي طائفة من عرب اليمن الذين يقول العرب انهم هجروا بلادهم بعد سيل العرم ورئيسها عمرو بن لحي نزلت مكة وأخرجت جرهما منها . وعمرو بن لحي هذا هو المشهور بادخال الوثنية على عرب الحجاز واليه ينسبون كثيراً من أوابد الجاهلية . وفي الحديث النبوي « رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار » يعني احشائه ^(١)

وقالوا ليست خزاعة وحدها أخرجت جرهما من مكة وإنما استعانت على ذلك بكنانة بطن من مضر . وقد عرف اليونان كنانة وذكروا برييلوس في القرن الاول للميلاد وعين حدودها وهي توافق المعلوم عند العرب من سكنهااتهم ولما اجتمعت كنانة وخزاعة على جرم فرت الى اليمن على ما يقولون . ثم تنازعت خزاعة وكنانة وغابت خزاعة واستقلت بامر السكبة وجمعت لمضر أعمالاً تتولاها في الحج وهي الاجازة بالناس يوم عرفة والافاضة بهم غداة النحر من جمع الى منى ونساء الشهور الحرام

فاقام بنو خزاعة وبنو كنانة على ذلك مدة والولاية لخزاعة دونهم . وفي أثناء ذلك تشعبت بطون كنانة ومضر كلها وصاروا أحياء وبيوتات متفرقين وهم اذ ذاك يقيمون بظواهرها وصارت قريش فرقتين قريش البطاح وقريش الظواهر فقريش البطاح ولد قصي بن كلاب وسائر بني كعب بن لؤي . وقريش الظواهر من سواهم . وكانت خزاعة بادية لكنانة ثم صار بنو كنانة بادية لقريش ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح . ويراد بقريش الظواهر من كان على اقل من مرحلة . ومن الضواحي

من كان على أكثر من ذلك وصار من سوى قريش وكنانة من قبائل مضر من
الضواحي احياء بادية وظمونا ناجية من بطون قيس وخندف من اشجع وعبس
وفزارة ومرة وسليم وسعد وطامر وغيرهم كما تقدم

ونظراً لتحضر كنانة وقريش في مكة واستئثارها بمكان الحج كان لها التقدم على
سائر مضر ولكن كنانة قبل قريش وكان التقدم في قريش كله لبني لؤي بن غالب بن
فهر بن مالك وسيدهم قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
قصي بن كلاب

لقصي بن كلاب شأن كبير في تاريخ مكة لانه أحدث فيها أموراً مهمة كما يظهر
على يلي :

خلف كلاب ابنه قصياً في حجر امه وهي يمنية فتزوجها ربيعة بن حرام من
عذرة وقصي طفل فاحتلمته الى بلاد بني عذرة وكان لها من كلاب ايضاً ولد آخر اسمه
زهرة تركته في مكة لانه كان كبيراً . ولما شب قصي وعرف نسبه رجع الى قومه .
وكان الذي يلي البيت (الكعبة) يومئذ رجل من خزاعة اسمه حليل بن حبشية
فاعجبه قصي فتزوجه ابنته فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي .
ولما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه مات حليل فرأى قصي انه احق بالكعبة
ومكة من خزاعة وقد اطعمه بذلك فضلاً عما فطر عليه من الانفة وحب الاستقلال
ان حليلاً حماء لما عجز كان يعطي مفاتيح الكعبة لابنته فظلت بيدها وكان قصي ربما
أخذها وفتح الباب للناس أو أغلقه . فلما مات حليل أوصى بولاية البيت لقصي فابت
خزاعة عليه ذلك فغشي برجال قريش ودعاهم الى نصرته فأجابوه وكتب الى أخيه
رزاح في عذرة مستجيذاً بهم فقدم مع اخوته من ربيعة ومن تبعهم من قضاة في جملة
الحاج لنصرة قصي . وحدثت بسبب ذلك حروب وتنازعات انتهت بولاية البيت لقصي
واستقر بمكة وجمع قريشاً من منازلهم بين كنانة الى مكة وقطعها أرباعاً فانزل كل رهط
منهم في منزله كانه قدامهم من البداوة الى الحضارة . وكان ذلك في أواخر القرن الرابع
للميلاد أو أوائل الخامس للميلاد

وقصي أول من أصاب من قريش ملكاً أطاعه به قومه فصار له لواء الحرب
وحجابه البيت . وتيمنت قريش برأيه فصرفوا مشورتهم اليه فأتخذوا دار الندوة أزاء
الكعبة في مشاوراتهم وجعلوا بابها الى المسجد فكانت يجتمع الملام من قريش في
مهماتهم . ثم تصدى لاطدام الحاج وسقايتهم باعتبار انهم أضياف الله وزوار بيته وفرض
على قريش خراجاً يؤدونه اليه وزيادة على ذلك كانوا يردفونه به فخر شرفهم كله وكانت

له الحجابة والسقاية والرقادة والندوة واللواء

ولما أسن قصي وكان يكره عبد الدار لانه كان ضعيفاً وأخوه عبد مناف قد شرف عليه في حياة أبيه فاوصى قصي لعبد الدار بما كان له من الحجابة واللواء والندوة والرقادة والسقاية يجبر له بذلك ما نقصه من شرف عبد مناف . وكان امره في قومه كالدين المتبع لا يعدل عنه ثم هلك وقام بامره في قومه بنوه من بعده

أقاموا على ذلك مدة وسلطان مكة لهم ثم ظهر بنو عبد مناف على بني عبد الدار ونافسهم على ما بأيديهم ونازعوهم فافترق أمر قريش وصاروا فرقتين وكانت بطون قريش قد صارت ١٢ بطناً وهي :

(١) بنو الحارث بن فهر (٢) بنو محارب بن فهر (٣) عامر بن لؤي (٤) عدي ابن كعب (٥) سهم بن عمرو (٦) بنو جحج بن عمرو (٧) بنو تميم بن مرة (٨) بنو مخزوم بن يقظة (٩) بنو زهرة بن كلاب (١٠) بنو أسد بن عبد العزى (١١) بنو عبد الدار (١٢) بنو عبد مناف — فاجمع بنو عبد مناف على انتزاع ما بأيدي بني عبد الدار مما جمعه لهم قصي وزعيمهم في ذلك عبد شمس اسن ولده وانقسمت قريش بين هذين البطينين فكان مع عبد مناف بنو أسد وزهرة وتيم والحارث وأنحاز الباقي الى عبد الدار الا عامر والمحارب فاعتزلا الحزبين وتعاقد أصحاب كل حزب حلفاً أكدوه بالطيب فاحضر بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً غمسوا فيها أيديهم فسمي حلف المطيبين . وأجمعوا للحرب وتأهبوا لها ثم تداعوا للصلح وارضوا بني عبد مناف ان تكون لهم السقاية والرقادة ويختص بنو عبد الدار بالحجابة واللواء^(١) فرضي الفريقان وتماجز الناس ورئيس بني عبد مناف هاشم بن عبد مناف

وتوفي هاشم في غزة من أرض الشام وخلف ابنه عبد المطلب صغيراً في يثرب عند أمه وهي من بني عدي فكفله عمه المطلب فاحتمله الى مكة وردفه على بعيه وتوفي المطلب بعد حين فاصبح عبد المطلب خليفته على بني هاشم واقام الرقادة والسقاية للحاج على أحسن ما كان قومه يقيمونها بمكة قبله وكانت له رقادة على ملوك اليمن من حمير والحبشة وكان في جملة الذين وفدوا على ذي يزن الحميري لما تولى الملك

وولد لعبد المطلب عشرة أولاد منهم عبد الله والد محمد صاحب الشريعة الاسلامية وست بنات . ويذكرون انه أراد حفر بئر زمزم لرؤيا رآها فاعترضته قريش ومنعوه ولم يكن له من الولد من ينصره فغذّر إذا ولد له عشرة أولاد ييلفون معه حتى يمنعوه لينحرون احدهم عند الكعبة جرياً على عادتهم في ذلك العهد . فلما كملوا عشرة ضرب

عليهم بالقداح عند هبل الصنم الاعظم وذلك ضرب من الاستمخارة عندهم فخرجت القداح أن يذبح ابنه عبد الله ونحير في امره فاشار عليه بعضهم أن يستشير عرافة كانت لهم في المدينة ففعل فاشارت أن يفتديه بالابل ففداه بمئة منها .

واقعة الفيل

وفي أيام عبد المطلب حدثت واقعة الفيل وعرف ذلك العام بها فقيل عام الفيل وسببها أن أبرهة الحبشي لما أقام في اليمن وبني القليس كما تقدم أراد أن يجعلها حج العرب فيصرف الناس إليها بدل الكعبة وتحدثت العرب بذلك فغضب رجل من النساء من بني فقيم فذهب إلى القليس ونجسها بالافذار ورجع . فلما علم أبرهة أن الذي فعل ذلك من أهل الكعبة غضب وحلف ليسيرن إليها ويهدمها وتجهز وركب هو على فيل اسمه محمود ووراءه عدة افيال على عادة الاحباش . ولما تسامع العرب خبر حملته على مكة خافوا وجعلوا يتنافرون من طريقه حتى دنا من مكة فبعث رجالا انتهبوا اموال أهلها وفي جملة ذلك ٢٠٠ بعير لمبد المطلب سيد قريش وانفذ اليه رسولا يقول « لم آت لحربكم بل أتيت لهدم الكعبة » وطلب عبد المطلب مقابلة أبرهة فلما لقيه قال له « لم آت لاحي الكعبة فان لها رباً يحميها وإنما جيئت اطلب ابي » فردها اليه . فرجع إلى قريش وأمرهم أن يخرجوا من مكة ويتحرزوا في الجبال فاطاعوه وأما أبرهة فحدث في معسكره اضطراب وأصيبوا بالوباء والعرب يقولون ان طيراً خرجت من البحر يقال لها ابابيل رمهم بالحجارة فلم يصب احد بحجر الا هلك فتراجعوا عن مكة وزادت الكعبة بذلك كرامة وتقديساً

ورجع عبد المطلب إلى مكة وقد زاد رفعة وعلم أن بعض ملوك ساسان كان قد اهدى الكعبة تمثالين من ذهب واسيافاً دقتها جرمهم في زمزم عند خروجها فامر بحفرها واستخرج التمثالين وضربهما حلية للكعبة وضرب الاسياف باب حديد لها . وكان لقريش خصائص وطادات وآداب تمتاز بها عن سائر العرب سيرة ذكرها في كلامنا عن طادات العرب وآدابهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب

المدينة (يثرب)

تاريخها

ومن مدن الحجاز العامرة أيضاً المدينة (يثرب) وأهلها من غير عدنان يزعمون ان أصلهم من اليمن في جملة من هاجرها بعد سيل العرم ولها تاريخ قديم لا يعرف أوله والمشهور عند العرب ان المدينة اول من نزلها العالليق أقام فيها منهم قبائل تسمى هف وسعد بن هفان وبنو مطرويل ثم نزلها اليهود من أقدم أزمانهم . قيل انهم أتوها من أيام موسى في أثناء حروبه مع الكنعانيين ولهم في ذلك حديث طويل قالوا « لما وطىء موسى الشام وأهلك أهلها بعث بعثاً من رجاله الى الحجاز وفيها العالليق وأمرهم أن لا يستبقوا أحداً ممن بلغوا الحلم الا من دخل في دينه فقدموا عليهم فقاتلهم فاظهروهم الله عليهم فقتلهم وقتلوا ملكهم الارقم واسروا ابناً له شاباً جميلاً كأحسن من رأى في زمانه فضنّوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى تقدم به على موسى فيرى فيه رأيه فاقبلوا وهو معهم وقبض الله موسى قبل قدومهم فلما قربوا وسمع بنو اسرائيل بذلك تلقوهم وسألوهم عن اخبارهم فاخبروهم بما فتح الله عليهم . قالوا فما هذا الفتى الذي معكم فاخبروهم بقصته فقالوا ان هذه معصية منكم لمخالفتكم أمر نبيكم والله لا دخان علينا بلادنا أبداً فخالوا بينهم وبين الشام . فقال ذلك الجيش « ما بلد ان منعتم بلدكم خير لكم من البلد الذي فتحتموه وقتلتم أهله فارجموا اليه » فعادوا اليها فاقاموا بها « (١) ذلك ما يرويه العرب عن أول سكنى اليهود المدينة . وكان اليهود أهل مدينة وذكاء وتجارة فالبثوا ان اقتنوا الضياع والاموال وأصبحت تجارة المدينة وثروتها في أيديهم . فرغب اخوانهم في الزواج اليهم ولا سيما على اثر ما اصابهم من الذل في دولة الروم وخصوصاً بعد ظهور النصرانية وانتصار القياصرة لها . فكان اليهود يتوافدون الى المدينة عشائر وأفراداً فراراً من الاضطهاد او الظلم فتكاثروا في المدينة وظهر منهم عدة قبائل أشهرها قريظة والنضير وهذل

ثم نزلها الاوس والخزرج وهم بطون من الازد الذين يقول العرب انهم من كهلان وانهم نزحوا من اليمن في جملة النازحين بعد سيل العرم وقد ذكرنا رأينا في ذلك عند كلامنا عن الدول القحطانية خارج اليمن . نزل الاوس والخزرج هنا وهم في ضنك من العيش وكان على اليهود ملك شديد احتيد باولئك النازحين فاستجاروا بالفساسنة وقيل

(١) ياقوت ٤٦١ ج ٤ والاغانى ٩٤ ج ١٩

بالتبابعة قاذوهم وانتقموا لهم بمحدث طويل لا قائدة من ذكره (١) خلاصته ان الذين اتوا لاغاثتهم مكروا باليهود وقتلوا رؤساءهم فصارت الاوس والخزرج من يومئذ أعز أهل المدينة وسار ذكرهم وصار لهم الاموال ونزلوا المدينة وبنوا بها القصور والاطام وهم الذين عرفوا بعد الاسلام بالانصار لانهم نصرروا النبي لما هاجر اليهم

الحروب بين الاوس والخزرج

ولم يزل الاوس والخزرج في اتفاق واجتماع حتى وقع الاختلاف بينهم وجرت الوقائع وأول حرب جرت بينهم تعرف بحرب سمير وكان سببها ان رجلاً من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن العجلان نزل على مالك بن العجلان السامي فخالفه وأقام معه فخرج كعب يوماً الى سوق بني قينقاع فرأى رجلاً من غطفان معه فرس وهو يقول « لياخذ هذا الفرس أعز أهل يثرب » فقال رجل فلان وقال رجل آخر احيحة بن الجلاح الاوسي وقال غيرها فلان بن فلان اليهودي أفضل أهلها . فدفع كعب الفرس الى مالك بن العجلان فقال كعب ألم أقل لكم ان حليفي مالكاً أفضلكم . فغضب من ذلك رجل من الاوس من بني عمرو بن عوف يقال له سمير وشتمه وافترقا وبقي كعب ما شاء الله . ثم قصد سوقاً لهم بقباء فقصده سمير ولازمه حتى خلت السوق فقتله وأخبر مالك بن العجلان بقتله فارسل الى بني عمرو بن عوف يطلب قاتله فارسلوا « انا لا ندري من قتله » وترددت الرسل بينهم هو يطلب سميراً وهم ينكرون قتله ثم عرضوا عليه الدية فقبلها . وكانت دية الحليف فيهم نصف دية الذئب منهم قابي مالك الا أخذ دية كاملة وامتنعوا من ذلك وقالوا نعطي دية الحليف وهي النصف ولج الامر بينهم حتى آل الى الحاربة فاجتمعوا والتقوا واقتلوا قتالا شديداً وافترقوا ودخل فيها سائر بطون الانصار . ثم التقوا مرة اخرى واقتلوا حتى حجز بينهم الليل وكان الظفر يومئذ للاوس فلما افترقوا أرسلت الاوس الى مالك يدعونه الى ان يحكم بينهم المنذر بن حرام التجاري الخزرجي جد حسان بن ثابت بن المنذر فاجابهم الى ذلك فاتوا المنذر فحكم بينهم المنذر بان يدوا كعباً حليف مالك دية الصريح ثم يعودوا الى سنتهم القديمة . فرضوا بذلك وحلوا الدية وافترقوا وقد شبت البغضاء في قلوبهم وتمكنت العدواة بينهم

وتوالت بينهم بعد ذلك عدة وقائع سفكت فيها الدماء هي من قبيل أيام العرب التي قدمناها . فن أيام الاوس والخزرج ايضاً حرب كعب بن عمرو المازني جرت بين

بني خنجا من الاوس وبني مازن بن النجار من الخزرج . وحرب بني عمرو بن عوف من الاوس وبني الحرث من الخزرج وكانت شديدة فاز بها الخزرج . وحرب الحصين ابن الاسلت بين بني وائل بن زيد من الاوس وبني مازن بن النجار من الخزرج فاز بها الخزرج . وحرب ربيع الظفري بين بني ظفر من الاوس وبني مالك بن النجار من الخزرج فاز بها الخزرج ايضاً . ومن أيامهم حرب قارع وحرب حاطب ويوم الربيع ويوم البقيع ^(١) فازت الاوس في الاخيرين منها . وكانوا اذا فرغوا من المعركة تصالحوا على الديات ولا يلبثون ان يعودوا الى الحصار لاسباب يرجع اكثرها الى الافة والاريجية من دفاع عن عرض او انتصار لجار او نحو ذلك

الطائف

ومن مدن الحجاز التي يمد أهلها حضراً الطائف وهي بلد حدائق وبساتين وفاكهة ورياحين كان أهلها من عدوان الذين منهم حكم العرب عامر بن الظرب وقد ذكرنا خبره في ما تقدم . وكثر عددهم حتى قاربوا سبعين ألفاً بنى بعضهم على بعض فهاكوا وقتل عددهم وكان قسي بن منبه (وهو ثقيف) صهراً لعامر بن الظرب وكان بنوه بينهم فلما ضعف امر عدوان تغلبت عليها ثقيف وهم فرع من هوازن ^(٢) ولها ذكر كثير في صدر الاسلام وبعده



تم الجزء الاول

فهارس الجزء الاول من كتاب العرب قبل الاسلام

اول - فهرس الفصول

صفحة	صفحة
٦٩	٣ المقدمة
٧١	٩ تمهيد
٧٦	٩ مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام
٧٨	١٠ المصادر السكتانية
٨٣	١٨ المصادر المنقوشة على الآثار
٨٥	٢٤ قاعة الكتب التي استعناها
٨٨	٢٩ جغرافية بلاد العرب
٨٩	٣١ العرب (من هم)
٨٩	٣٦ أقسام تاريخ العرب
٩٢	الطبقة الاولى
٩٤	العرب البائدة او عرب الشمال في
٩٥	الطور الاول
٩٧	٣٧
١٠١	٣٨ المعالقة في العراق
	٤٠ دولة حمورابي
	٤٣ تمدنها
١٠٣	٤٩ هل هي عربية
١٠٤	٥٢ المعالقة في مصر (هيكلوس)
١٠٧	٥٦ هل هم عرب
١٠٩	٦٠ بقايا المعالقة
١١١	٦٠ عاد
١١٢	٦٣ عمود
١١٣	٦٦ طسم وجديسر
١١٦	٦٨ دولة الانباط
	مدينة بطرا
	ملوك الانباط
	تمدن الانباط
	هل هم عرب
	دولة تدمر
	زنبوبيا
	الزباء وزنبوبيا
	هل التدمريون عرب
	آثار تدمر
	تمدنها
	امم متفرقة
	غزو المصريين بلاد العرب
	غزو الاشوريين بلاد العرب
	غزو الفرس وغيرهم بلاد العرب
	الطبقة الثانية
	دول اليمن او الجنوب
	ما يقوله العرب عن دول اليمن
	ما يقوله اليونان عنها
	أصل حكومات اليمن
	الدولة المعينية
	ملوك معين
	أصل المعينيين
	الدولة السبائية

صفحة		صفحة	
١٧٧	ربيعه	١١٦	أصل السبأين
١٧٨	مضر	١١٨	دولة سبأ الحقيقية
١٨٠	الدول القحطانية خارج اليمن	١٢١	دولة حمير أو العصر الحميري
١٨٤	دولة الفساسنة بالشام	١٢٢	ملوك حمير
١٨٥	ملوك غسان	١٢٥	العصر الحبشي في اليمن
١٩١	ملوك غسان في تواريخ اليونان	١٣١	دول اليمن الصغرى
١٩٥	مملكة الفساسنة وآثارها	١٣٥	عُدن اليمن القديم
١٩٧	دولة الاعميين في العراق	١٣٥	النظام الاجتماعي
١٩٩	الحيرة	١٣٨	الصناعة والزراعة والتعدين
٢٠١	ملوك الحيرة	١٤١	العمارة
٢١٢	مبلغ سيادة الاعميين	١٤٤	قصور اليمن
٢١٣	ديانتهم	١٤٩	الاسداد
٢١٤	دولة كنده	١٥٠	سد مأرب
٢١٥	ملوك كنده	١٥٥	أصل وضع سد مأرب
٢١٨	عرب الصفا	١٥٨	من بناء
٢٢٠	أيام العرب	١٦٠	التجارة في بلاد العرب
٢٢٢	استقلال عدنان عن اليمن	١٦٣	الحضارة فيها
٢٢٤	أيام العدنانية مع سواهم		الطبقة الثالثة
٢٢٧	أيام العدنانية في ما بينهم	١٦٤	العدنانية أو الاسماعيلبة (أصولهم)
٢٢٧	الوقائع بين ربيعة ومضر	١٦٥	الفروق بينهم وبين القحطانية
٢٣٣	الوقائع بين قبائل ربيعة	١٦٧	أقدم أخبار العدنانيين
٢٣٧	الوقائع بين قبائل مضر	١٦٩	تفرق عرب عدنان
٢٤١	حرب الفجار	١٧٠	قضاة
٢٤٣	وقائع بين عامر بن صعصعة وغيرهم	١٧٢	دول قضاة
٢٤٤	حضر العدنانية في مكة	١٧٦	أماز
٢٥١-٢٤٩	المدينة والطائف	١٧٦	اياد

ثانيا - فهرس الصور

صفحة	رقم الشكل	صفحة	رقم الشكل
٩٩	١٧ أسزحدون	٢١	١ يوسف هاليفي
	١٨ عرب على جالم يطاردون	٢٢	٢ ادوارد غلازر
١٠٠	الاشوريين	٤٢	٣ حورابي بين يدي اله الشمس
١١٥	١٩ الابجدية الحيرية	٤٣	٤ القلم المساري القديم
١٢٩	٢٠ حصن الغراب	٤٨	٥ أتناض مدرسة حورابية
١٣٠	٢١ خرطوش أبرهة	٦٤	٦ قصر البنت في الحجر
١٣٧	٢٢ نقود السبائيين في اليمن	٦٩	٧ خزنة فرعون في بطرا
١٤٠	٢٣ فلاح يعني يحرث الارض	٧٤	٨ نقود الحارث الثالث
١٤٥	٢٤ بقايا قصر غمدان	٧٧	٩ نقود ملوك النبطيين
١٨٤	٢٥ قصر بصرى في حوران	٨٠	١٠ الحرف الآرامي
١٩٤	٢٦ قلعة صلخد في حوران	٨١	١١ كتابة نبطية في مدائن صالح
١٩٦	٢٧ بقايا قصر المشتى	٨٦	١٢ زنبويا
١٩٦	٢٨ بقايا القصر الابيض	٩٠	١٣ بقايا الرواق الاعظم في تدمر
٢٠٢	٢٩ كتابة عربية بخط نبطي	٩١	١٤ نقش تدمري على عمال زنبويا
٢١٩	٣٠ القلم السبائي وفروعه في الشمال	٩٣	١٥ نقود زنبويا ووهب اللات
		٩٧	١٦ سرجون الثاني ملك اشور

ثالثاً - فهرس الخرائط

صفحة	
٥٣	الخريطة الاولى : بلاد العرب في القرن العشرين قبل الميلاد
١٠٤	» الثانية : بلاد العرب في أيام دول اليمن القديمة
١٤٢	» الثالثة : مدينة مأرب بعد خرابها
١٤٤	» الرابعة : حرم بلقيس
١٥٣	» الخامسة : سد مأرب أو سيل العرم
١٥٨	» السادسة : مشارف الشام والعراق أيام غسان ولخم
١٩٥	» السابعة : منازل الفساسة وقصورهم
٢٢٤	» الثامنة : الحجاز ونجد بعد تفرق قبائل عدنان

تمت الفهارس



(ايضاح) جاء في وصف الخريطة الخامسة صفحة ١٥٣ التباس يجب ان يوضح على هذه الصورة فيقرأ « خريطة سد مأرب أو سيل العرم كما شاهده ارنو وماليني وغلازر في أواسط القرن الماضي » ثم « وصفت لتاريخ العرب الخ »

To: www.al-mostafa.com